ثَلْجُ الفُؤاد

بشرح

الاقتصاد في الاعتقاد

للإمام عبد الغني المقدسي (٥٤١-٦٠٠)

تأليف

أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشرح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وبعد: فلقد اعتنى أئمتنا، وعلماؤنا المتقدمون، والمتأخرون بأبواب العقيدة أشد الاعتناء، فهمًا، وعملًا، ودعوة، وكتابة، بين مختصرٍ، ومتوسطٍ، ومطولٍ.

ومن تلك الكتب النافعة: كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام أبي محمد عبدالغني بن عبد الواحد المقدسي؛ الذي يدل على قوة كاتبه، وثباته، ورسوخه في العلم والعقيدة الصحيحة، فهو مع صغر حجمه لم يسبقه كتاب حوى ما حوى من مسائل الاعتقاد.

وفي أثناء شرحي لكتاب: «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» لصديق بن حسن القنوجي رأيت القنوجي ﵀ قد نقل فصولًا بكمالها، وعبارات أخرى من الاقتصاد في الاعتقاد.

فأحببت أن أنقل ما كتبته على عبارات المقدسي في قطف الثمر، وأجعله على نفس الكتاب مع تكملة ما ذكره المقدسي ﵀ ولم ينقله صديق بن حسن ﵀ في قطف الثمر.

لا سيما وقد سبق لي إفراد التحقيق وقد طُبع ودُرِّس ولله الحمد.

ثم أردت أن أفرد شرحه فلقد كان كثير من ذلك شبه جاهز في شرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر.

كتبه أبو عمرو عبد الكريم بن أحمد بن حسين الحجوري العمري.

دار الحديث بدمَّاج، اليمن/ صعدة ٨/ ٤/ ١٤٢٩.

عملي في هذا الكتاب

١ - قمت بتخريج الآيات من مواضعها من السور.

٢ - قمت بضبط نصه، و تصحيحه.

٣- قمت بتخريج الأحاديث، والحكم عليها؛ صحة، أو حسنًا، أو ضعفًا.

٤- خرجت الآثار التي ذكرها المؤلف مع الحكم عليها.

٥- وضعت له عناوين (لفصوله) حيث أنه لم يبوب غالبه.

٦- فهرست مواضيعه.

٧- قابلت على المخطوطة، وقارنت بينها هي والمطبوع بتحقيق أحمد بن عطية الغامدي، ورمزت للخلاف بينهما في الحاشية، ورمزت للمخطوطة بـ(خ)، وللمطبوع بـ(ط).

٨- قمت بشرحه بشرح متوسط بين البسط والاختصار، وكثير منه استفدته من كتابي «الفقه الأكبر بشرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»؛ نظرًا لأن مؤلف قطف الثمر (صديق بن حسن القنوجي) نقل أكثر كتاب الاقتصاد في كتابه قطف الثمر؛ فليعلم هذا.

٩- جعلت المتن بين قوسين مسبوقًا بقوله هكذا: قوله:(بسم الله الرحمن الرحيم):

ثم أذكر شرحه عقبه.

ترجمة المؤلف رحمه الله

هو الحافظ، الإمام، الزاهد، أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر الجماعيلي، المقدسي، فلسطيني الأصل، نشأ بدمشق، وتُوفي بمصر.

ولد سنة (٥٤١) بجماعيل، كان أمير المؤمنين في الحديث.

ذكره ابن النجار في تاريخه، فقال:

حدث بالكثير، وصنف تصانيف حسنة في الحديث، وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان، والتجويد، قيِّما بجميع فنون الحديث، عارفًا بقوانينه، وأصوله، وعلله، وصحيحه من سقيمه، وناسخه ومنسوخه، وغريبه، ومشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته، ومعرفة أحوالهم.

وكان كثير العبادة، ورعًا، متمسكًا بالسنة على قانون السلف...، وكان لا يرى منكرًا إلا غيَّره بيده، أو لسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، ولقد رُأي مرة يهريق خمرًا، فجبذ صاحبه السيف فلم يخف من ذلك، وأخذه من يده، وكان -رحمه الله- قويًّا في بدنه، وفي أمر الله، وكثيرًا ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير، والشَبَابَات.

كان سلفيًّا، صافي المعتقد، على طريقة السلف الصالح -رحمهم الله، ورحمه-، ولم يزل بدمشق يحدث، وينتفع به الناس إلى أن تكلم في الصفات، والقرآن بشيء أنكره

عليه أهل التأويل من الفقهاء، وشنعوا به عليه، وعقد له مجلس بدار السلطان حضره القضاة، والفقهاء، فأصرَّ على قوله، وأباحوا إراقة دمه، فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء، والأكراد، وتوسطوا في أمره أن يخرج من دمشق إلى ديار مصر، فأُخرج إلى مصر، وأقام بها إلى أن مات -رحمه الله- وهو على عقيدته الصحيحة، ولم يتنازل عنها لأقوال المبتدعة.

مصنفاته:

مصنفاته كثيرة، تفوق الخمسين مؤلفًا، منها:

١ - الكمال في أسماء الرجال، وهو عمدة تهذيبي الحافظين المزي وابن حجر.

٢ - عمدة الأحكام الصغرى، ولي عليها تحقيق صغير يحمل في المخبإ، وكبير في مجلد، بحمد الله تعالى.

٣- عمدة الأحكام الكبرى.

٤ - الصفات.

٥ - محنة الإمام أحمد.

٦ - تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين.

٧- المصباح في عيون الأحاديث الصحاح.

٨- الاقتصاد في الاعتقاد، وهو هذا الكتاب.

٩- الترغيب.

١٠ - الجامع الصغير لأحكام البشير النذير.

روى عنه خلق كثير من المحدثين ببغداد، ودمشق، ومصر، ودمياط، وأصبهان، والإسكندرية.

تُوفيَّ يوم الاثنين ٢٣ ربيع أول (سنة ٦٠٠).

وقد جمع الحافظ ضياء الدين سيرة عبد الغني المقدسي في جزأين، قاله ابن رجب.

ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٣-٤٧١) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب(٢/ ٥-٣٤) ومنها نقلت، وتذكرة الحفاظ(٤/ ١٣٧٣-١٣٨١).

الاقتصاد في الاعتقاد

هذا الكتاب ثابت إلى مؤلفه، وقد ذكره الحافظ ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٩) من مؤلفاته، وقال: جزء كبير، وله مخطوطة موجودة.

والكتاب نفيس في بابه؛ وفيه مواضيع لا أشك أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله استفاد منها في عقيدته المشهورة بـ (الواسطية)، وراجع على سبيل المثال صفة الاستواء؛ تجد أن شيخ الإسلام نقل في الواسطية من الاقتصاد.

وصف المخطوط

قد سبقت لي خدمة على كتاب الاقتصاد في الاعتقاد؛ بتخريجه، وقد طُبع ولله الحمد.

ولكن بعد البحث لم تتيسر لي مخطوطة، ثم بعد ذلك يسر الله بها، فحصلت عليها من شبكة الانترنت أهداها لي بعض إخواني الأفاضل الذين لهم خبرة بهذا، جزاه الله خيرًا.

والمخطوطة توجد في وزراة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.

رقم المخطوط: خ(٩٩٦) (١).

اسم الناسخ: محمد بن عبد الرحمن بن حيدر الزبيري الحنبلي.

سنة النسخ: ١٢٢٣.

عدد الأوراق: ١٢ق (١-١٢).

حجم الورقة: ٢٢ في١٦.٣ سم.

عدد الأسطر:(٢٠-٢٥).


صور المخطوط

وقف ونظر عليه لابراهيم بن صالح بن عيسى

هذه عقيدة الشيخ الامام والحبر الهمام الحافظ تقي الدين الشيخ عبد الغني
ابن عبد الواحد المقدسي الحنبلي رحمة الله تعالى بمنه وكرمه آمين

١

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر وأعن
الحمد لله المنفرد بالكمال والبقاء والعز والكبرياء الموصوف بالصفات والأسماء
المنزه عن الاشباه والنظراء الذي سبق علمه في بريته بحكم القضاء من
السعادة والشقاء واستوى على عرشه فوق السماء وصلى الله على الهادي
الى المحجة البيضاء والشريعة الغراء محمد سيد المرسلين والانبياء وعلى
آله وصحبه الطاهرين الاتقياء صلاة دائمة الى يوم اللقاء وفقنا الله
واياك لما يرضيه من القول والنية والعمل واعاذنا واياك من الزيغ والزلل
ان صالح السلف وخيار الخلف وسادة الائمة وعلماء الامة اتفقت اقوالهم
وتطابقت آراؤهم على الايمان بالله عز وجل وانه واحد احد فرد صمد لم يلد ولم يولد
حي قيوم سميع بصير لا شريك له ولا وزير ولا شبيه ولا نظير ولا عدل ولا
مثل وانه عز وجل موصوف بصفاته القديمة التي نطق بها كتابه العزيز الذي
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وصح بها النقل
عن نبيه وخيرته من جميع خلقه محمد سيد البشر الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته
وجاهد في الله حق جهاده واقام الملة واوضح المحجة واكمل الدين وقمع
الكافرين ولم يدع لمحتج مجالا ولا لقائل مقالا فروى طارق بن شهاب
قال جاء يهودي الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال يا امير المؤمنين آية
في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود اليوم الذي نزلت فيه لاتخذنا
ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا فقال اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان

الصفحة الأولى من المخطوط

خصصها أبو عبد الله وقد تلقتها العلماء بالقبول لهذه الأخبار كما جاءت وقال محمد بن الحسن
الشيباني صاحب أبي حنيفة اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن
والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من
غير تفسير ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه فإنهم لم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال
بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء وقال عباد بن العوام قدم
علينا شريك بن عبد الله فقلنا إن قوما ينكرون هذه الأحاديث إن الله ينزل
إلى السماء الدنيا والرؤية وما أشبه هذه الأحاديث فقال إنما جاء بهذه الأحاديث
من جاء بالسنن في الصلاة والزكاة والحج وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث
[illegible]
[illegible]
حصل الاتفاق عليه من خيار الأمة ودع أقوال
مما صح عن الله ورسوله وصالح سلف الأمة مما
مذموما ملوما وإن اغتر كثير من المتأخرين
من كان عندهم محقورا مبغوضا مبعدا مدحورا
بأقوالهم ورجعوا إلى اتباعهم فلا تغتر بكثرة أهل الباطل فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء رواه مسلم وغيره وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وفي رواية
[illegible]
قيل من الناجية قال ما أنا عليه وأصحابي رواه جماعة من الأئمة
واعلم أنها من طوائف ثلاثة فطائفة ردت أحاديث الصفات وكذبوا رواتها فهؤلاء أشد
ضررا على الإسلام وأهله من الكفار وأخرى قالوا بصحتها وقبولها ثم تأولوها فهؤلاء أعظم
ضررا من الطائفة الأولى والثالثة جانبوا القولين الأولين وأخذوا بزعمهم وآرائهم وهم يكذبون
نادى ذكرهم إلى القولين الأولين وكانوا أعظم ضررا من الطائفتين الأوليين نحو السنة اللازم
السكوت عن ما لم يرد به نص عن الله ورسوله أو يتفق المسلمون على إطلاقه وترك التعرض له
بنفي وإثبات كما لا يثبت إلا بنص شرعي كذلك لا ينفى إلا بدليل سمعي نسأل الله سبحانه أن يوفقنا
لما يرضيه من القول والعمل والنية وأن يحيينا على الطريقة التي يرضيها ويتوفانا عليها وأن يلحقنا
بنبيه وخيرته من خلقه محمد المصطفى وآله وصحبه ويجمعنا معهم في دار كرامته إنه سميع قريب مجيب
وصلى الله على سيدنا
وكل حديث في هذه العقيدة إما أخرجه فهو متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما
تم بعون الله تعالى هذا المعتقد المرضي
وعلى آله وصحبه وسلم
بقلم الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الرحمن بن
الزبيري بلدا الحنبلي مذهبا السلفي
اعتقادا غفر الله له ولوالديه

الصفحة الأخيرة من المخطوط

النص المشروح

البسملة

قوله:(بسم الله الرحمن الرحيم):

بدأ المصنف ـ رحمه الله ـ كتابه بالبسملة تأسيًا بالكتاب العزيز المنزل على النبي ﷺ، اقتداءً بالنبي ﷺ في مكاتباته للملوك، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّأْمِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: وَكَانَ دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ.
قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ، فَأُجْلِسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟

قَالَ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: أَيَتَّبِعُهُ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

قَالَ قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟

قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟

قَالَ قُلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا يُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْهُ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا، قَالَ: وَاللهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لَا.

ثُمَّ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ، فَقُلْتَ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى الله ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يُزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟

قَالَ: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ وَالْعَفَافِ.

قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَمْ أَكُ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ

قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]»...الحديث.

رواه البخاري برقم (٤٥٥٣)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

وكذا مكاتبات الرسول ﷺ ففي صحيح مسلم برقم (١٧٨٤) عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللهِ فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللهُمَّ، فَقَالَ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ» قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَاتَّبَعْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ»، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَكْتُبُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا».

وأما حديث أبي هريرة: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر».

رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٧٧) وغيره، وهو ضعيف جدًا في سنده أحمد بن محمد بن عمران الجندي. انظر الإرواء رقم (١).

والباء في بسم الله متعلقة بمحذوف وتقديره فعلًا خاصًا مؤخرًا لائقًا بالمقام، فإن كان في قراءة التقدير أقرأ، وإن كان في التأليف أُأَلف، وهكذا.

وتقديره فعلًا أولى من تقديره اسمًا عامًا؛ لأنا لو قدرناه اسمًا لكان عامًا ولكان مصدرًا والمصدر لا يعمل محذوفًا على الصحيح.

وأيضًا الخاص أولى بالمقام من العام لأنه أدل بالمطلوب.

ولأن الأصل في العمل الفعل على الصحيح فيكون الجار والمجرور متعلق بالفعل، وقلنا مؤخرًا لأمرين:

١-الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظًا وتقديرًا، فالله تعالى مقدم ذاتًا، فقدم ذكرًا ليوافق الاسم المسمى.

٢-لإفادة التخصيص؛ لأن ما حقه التأخير إذا قدم أفاد التخصيص ففي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] تقديم ما حقه التأخير وهو إياك فقدم ذلك تيمنًا بالبدء باسم الله سبحانه وتعالى.

وأما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١] فَقَدَّم المقصود الأهم في الآية وهو القراءة لأنها أول ما نزل عليه ﷺ فكان الأنسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء والاهتمام بها.

وحذفت همزة الوصل في الاسم خطًا كما حذفت لفظًا، وكتبت الباء متصلة بالسين لكثرة الاستعمال تخفيفًا(١).

وهي (أي الباء) للاستعانة وللتبرك.

والعبد لا بد له في كل وقت وحال من منتهى يطلبه هو إلهه، ومنتهى يطلب منه مستعانه، وذلك هو صمده الذي يصمد إليه في استعانته وعبادته في الناس.

وأما تعريف الاسم في اللغة فهو: ما دل على مسمى.

وفي العرف: ما دل مفردًا على معنى في نفسه ولم يقترن بزمن.

وأما اشتقاقه فقال البصريون مشتق من السمو وهو العلو؛ لأنه يدل على مسماه فيعليه ويظهره.

وقال الكوفيون: من السمة وهي العلامة.

والراجح: الأول؛ لأنه يصغر على سُمي، ولو كان من السمة لكان يصغر على الوسيم.

---

(١) انظر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل(١/ ٣٧).

الاسم والمسمى:

وهل الاسم هو المسمى أم غيره؟

هذه المسألة من المسائل التي لم يتكلم فيها السلف رحمهم الله تعالى، وإنما أحدث القول فيها أهل الكلام، فاحتاج أهل السنة والجماعة إلى تبيين القول فيها، وفيها ثمانية أقوال:

الأول: إن الاسم غير المسمى، وهذا قول الجهمية، ومرادهم أن أسماء الله غير الله، وما كان غيره فهو مخلوق، وقد اشتد نكير السلف عليهم؛ حتى قال الشافعي والأصمعي وغيرهما: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه أنه زنديق.

الثاني: إن الاسم هو المسمى وهذا قول كثير بعض المنتسبين إلى السنة كالبغوي واللالكائي وأنكر أكثر أهل السنة هذا القول لئن الاسم لو كان هذا المسمى لكنت إذا قلت (نار) احترق لسانك، وهذا ليس مرادهم بل مرادهم اللفظ فإذا قيل يا زيد مثلًا فليس المراد دعاء اللفظ بل المراد دعاء المسمى باللفظ، وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى.

الثالث: إن الأسماء ثلاثة: فتارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الوجود، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق، وتارة لا يكون هذا المسمى ولا غيره كالعليم القدير وهذا القول هو المشهور عن أبي الحسن الأشعري في أحد قوليه.

الرابع: إن الاسم من المسمى، وقد كان هذا في كلام الإمام أحمد.

وتارة قال: الأسماء الحسنى له، أي المسمى ليس من الأسماء.

الخامس: إن أسماء الباري لاهي عين الباري، ولا هي غيره، وهذا قول بعض الكلابية.

السادس: إن الاسم: يراد به المسمى تارة، كقولك قال الله اسمه الله، ويراد به اللفظ، والدال عليه تارة أخرى كقولك الله اسم عربي والرحيم من أسماء الله تعالى، وهذا قول ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص١٢٧).

السابع: إن القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف فيها قول لأحد من الصحابة أو التابعين، فالواجب الإمساك والتوقف عن القول في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا، وهذا قول إبراهيم الحربي وأبي جعفر بن جرير الطبري.

الثامن:إن الاسم للمسمى، وهذا قول جمهور أهل السنة وهؤلاء وافقوا الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الأعراف:١٨٠].

ومن السنة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا؛ مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ».

رواه البخاري برقم (٢٧٣٦) ومسلم برقم (٢٦٧٧)وهذا سياقه.

ووافقوا المعقول وهو الراجح.

راجع مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥-٢١٣) ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى.

قوله:(الله):

أي في بسم الله: هذا علم ربنا وإلهنا معبودنا، وهو أعرف المعارف على الإطلاق.

حاز كل كمال على الإطلاق ومدح وثناء وكل مجد وبر وعطا، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ فَقَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ -وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ- وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

رواه مسلم برقم (٤٨٦).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية، وساقها، ثم قال:

وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وكيف نحصي خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبر، فله ومنه.

فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه.

فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.

وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد رب العالمين وحُمِد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به، وإليه، ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئًا منه منتهيًا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]، إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

انتهى من فتح المجيد (ص٢٠-٢١).

مالك يوم الدين: ورب العالمين وإله الأولين والآخرين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[النمل:٤٠].

وبيده ملكوت كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[الحجر:٤٠]، ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فيا عجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

وهل هو مشتق أم جامد؟

على قولين:

أحدهما: زعم السهيلي وتبعه ابن العربي أنه غير مشتق، وقال: لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل اشتقاقه.

ولا شك أنه إن أريد بالاشتقاق ما قاله فهو معنى باطل.

ثانيهما: قال الكسائي والفراء وسيبويه وجمهور أصحابه: أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام فصارتا لامًا واحدة مشددة ومفخمة (أي أنه مشتق).

ولا شك أن من قال بالاشتقاق ولم يرد المعنى السابق، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي صفة الإلهية كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما جوابكم عن هذه الأسماء؟

لكان جوابهم: إننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى؛ لأنها متولدة منها تولد الفرع من أصله.

فكذلك يكون القول في هذا، والنحاة عندما يطلقون المصدر والمشتق ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

فلفظ (الله) مشتق مأخوذ من الإله وهو دائمًا المألوه أي المعبود.

ولكونه مستحقًا للألوهية مستلزم لصفات الكمال فلا يستحق أن يكون معبودًا لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه سبحانه فهو باطل ومردود.

وهو لفظ عربي على الصحيح عند الأكثر.

قوله: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):

اسمان مشتقان من رحم بجعله لازمًا بنقله إلى باب فعُل بضم العين وبتنزيله منزلة اللازم إذ هما صفتان مشبهتان وهي لا تشتق من متعد.

فالرحمن ذو الرحمة الواسعة جدًا؛ لأن وزن فعلان في اللغة: يدل على الامتلاء زيادة، وهو أبلغ من الرحيم من هذه الحيثية.

الرحيم اسم يدل على الفعل وهو ذو الرحمة الكثيرة.

وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع، وتصوير بليغ؛ وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا، فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها.

انتهى من بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١/ ١٤):

وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل، واختلف القدماء فيما إذا كان الكتاب كله شعرًا فجاء عن الشعبي منع ذلك، وعن الزهري قال مضت السنة أن لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم، وعن سعيد بن جبير جواز ذلك، وتابعه على ذلك الجمهور، وقال الخطيب هو المختار. اهـ.

قوله:(وبه نستعين) (١):

قال الله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

والاستعانة: هي طلب العون والتأييد والتوفيق من الله.

فإن طلبت الإعانة من غير الله فيما يقدر عليه المطلوب منه جاز.

كما في الدر النضيد (ص٧-٨) وغيره.

وأقسام الاستعانة أربعة:

١ - أن يعبد غير الله ويستعينه، فهذا كفر.

٢-أن يعبد الله ويستعين غيره، وهذه إن كان فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك.

٣-أن يستعين بالله وإن عبد غيره، وهذا شرك.

٤-أن لا يعبد إلا الله ولا يستعين إلا به، وهذا هو الواجب على المسلم.

---

(١) زيادة في (خ).

قوله: (رب يسر):

طلب التيسير من الله قبل المسألة من أسباب نجاحها، قال الله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[الكهف:٨٨].

وقال الله تعالى عن موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه:٢٥-٢٨].

وهذا هو مقصود الشرع قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الدخان:٥٨].

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

وقال الله جل في علاه:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥-٦].

قوله: (وأعن):

وكذا طلب العون من الله تعالى مطلوب قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

و من دعاء رسول الله ﷺ: كان يَقُولُ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى إِلِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي».

رواه الترمذي برقم (٣٥٥١) وأبو داود (١٥١٠) وأحمد (١/ ٢٢٧)عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وهو حديث صحيح.

وقد تقدم طلب العون ضمنًا في البسملة (فالباء للاستعانة والتبرك).

وقد تقدم قريبًا الكلام على الاستعانة.

الحمد

قوله:(والحمد لله وحده):

الحمد لله في اللغة: الثناء وهو ضد الذم.

واصطلاحًا: هو ذكر محاسن المحمود مع محبته وتعظيمه وإجلاله، فإن تكرر فهو الثناء.

انظر مدارج السالكين (١/ ٣٦) ط دار الحديث، وشرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين (ص٢٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ – ثَلَاثًا- غَيْرُ تَمَامٍ» فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ؛ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

رواه مسلم برقم (٣٩٥).

واللام في الحمد للاستغراق فجميع المحامد كلها لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:٩٣].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:١١١].

وقال تبارك وتعالى:﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

وغيرها من الآيات الكثيرة.

وهذا يتضمن مدحه تبارك وتعالى بصفات الكمال المطلق، ونعوت الجلال الأعظم مع محبته وتعظيمه والخضوع له جل شأنه.

وإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ فيما صح عنه من اسم أو صفة.

فلا يكون حامدًا لله عز وجل من جحد شيئًا من صفاته تبارك وتعالى، أو أسمائه، أو لم يحقق كمال عبوديته من خضوع وذل والتجاء، فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وعلى جميع نعم الله الظاهرة والباطنة.

أما من ظن أن له إله يحمد وليس موصوفًا بصفات، فهذا يحمد معدومًا وهذا إله الجهمية.

فإذا لم يكن متصفًا بالعلم، والقدرة، والقوة، والقهر، والعلو، والكرم، وكذا جميع الصفات الثابتة، فعلام يحمد إلا إذا كانت نفي عيوب ونقائص تتضمن إثبات أضدادها من الكمالات الثبوتية، وإلا فالنفي المحض لا حمد فيه ولا مدح ولا كمال، فالحمد حقيقة تابعة لثبوت أوصاف الكمال، فالحمد مستلزم لإثبات هذه الأوصاف وإنكارها نفي للحمد.

راجع مدارج السالكين (١/ ٢٥-٢٨).

وقد ثنى المصنف رحمه الله تعالى بعد البسملة بالحمد لله اقتداءً بكتاب الله عز وجل في سورة الفاتحة، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

وكذا كان النبي ﷺ يفتتح خطبه بالحمد والثناء على الله عز وجل ففي صحيح مسلم برقم (٨٦٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ

الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ، لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ».

قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ.

قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ».

قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ.

وفي الصحيحين وغيرهما جملة كبيرة من خطب الرسول ﷺ.

وأما حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»، فضعيف لاضطراب الرواة على الزهري، والصحيح فيه الإرسال، وراجع الإرواء برقم (٢).

والحمد يكون في مقابل النعمة، ويقال عند المحنة، ولذا فمورده اللسان والقلب.

بخلاف الشكر، فالشكر هو البذل في مقابل نعمة، قال الشاعر:

الشكر بذل العبد ما أولاه ... مولاه من نعماه في رضاه

فالشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[سبأ:١٣].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٨٣٧) ومسلم برقم (٢٨١٩) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تفَطَّرَ رِجْلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

ورواه البخاري برقم (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠) عن المغيرة رضي الله عنه.

وقال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير

فالحمد يقتضي المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواءً كان الإحسان إلى الحامد، أو لم يكن.

والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر.

فالله سبحانه محمود على جميع أسمائه وصفاته ومشكور على نعمه، فيهما عموم وخصوص وجهي.

فالحمد أعم سببًا من حيث الموجب له من نعمة، أو غيرها، وأخص متعلقًا من حيث أنه يتعلق باللسان والقلب فقط.

والشكر أعم من الحمد متعلقًا من حيث الأداة من حيث أنه متعلق باللسان والقلب والجوارح.

وأخص سببًا من حيث الموجب له وهو النعمة فقط.

وشروط الحمد ثلاثة هي:

الأول: إذا أعطاك الله شيئًا تعرف من أعطاك: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: ٥٣].

الثاني: أن ترضى بما أعطاك الله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

الثالث: ما دامت قوته في جسدك لا تعصيه.

انظر تفسير القرطبي (١/ ١٣٤).

قوله: (حسبنا الله ونعم الوكيل):

هذا تفويض للأمر إلى الله تعالى، وتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾[الكهف:٣٩].

ومعنى حسبي الله: أي كافيَّ، قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ

بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ **[الزمر:٣٦]**.

قوله: (قال الشيخ الإمام العالم، الزاهد، الحافظ، تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الحنبلي المقدسي رحمه الله تعالى) [1]:

تقدمت ترجمة المؤلف.

قوله:(الحمد لله):

تقدم الكلام عليها.

قوله:(المتفرد بالكمال):

المتفرد ليس اسمًا لله تعالى، ولكنه إخبار.

والله عز وجل له الكمال المطلق ذاتًا، وأفعالًا، وصفاتًا؛ قال الله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى(٦/ ٧٢):

وثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة، دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له، وتفصيل محامده، وأن له المثل الأعلى، وإثبات معاني أسمائه، ونحو ذلك، كله دال على هذا المعنى.

قوله:(والبقاء):

---

(١) من قوله:«والحمدلله وحده» إلى هنا، ليس في(خ).

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

قوله: (والعز):

قال الله تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام:٩٦].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨].

وقال الله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سبأ:٢٧].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢].

فاسم العزيز ثابت لله تعالى، وكذا صفة العزة، ورب هذه بمعنى صاحب أي صاحب العزة.

والعزة: صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل، ومعنى العزة الغلبة والمَنَعة، وتكون بمعنى امتناع على من يرومه من أعدائه، وتكون بمعنى القوة والصلابة،

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٢٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وعِزَّتكَ، ويَزْوي بَعْضُها إلى بَعْض».

رواه البخاري برقم (٦٦٦١). ومسلم(٢٨٤٨).

قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

هو العزيز فلا يرام جنابه	أنى يرام جناب ذي
وهو العزيز القاهر الغلاب	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي	فالعز حينئذ ثلاث معاني
وهي التي كملت به	من كل وجه عادم النقصان

وهذه معان العز الثلاثة.

قوله:(والكبرياء):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣].

وتقدم حديث أبي هريرة قبل قليل.

قوله:(الموصوف بالصفات):

وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢].

قوله:(والأسماء):

قال الله تعالى: ﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠].

وقال تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤].

قوله: (المنزه عن الأشباه، والنظراء):

قال الله تعالى: ﴿**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم:٦٥].

وهل هنا استفهامية بمعنى النفي، ويأتي النفي بصيغة الاستفهام لفائدة عظيمة وهي التحدي.

فليس له شبيه، ولا نظير، ولا عدل، ولا شريك، ولا سمي.

قال الله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿**فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢٢].

قوله:(الذي سبق علمه في بريته بمحكم القضاء، من السعادة، والشقاء):

قال الله جل في علاه:﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٥٢].

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٤٣].

وقال الله جل وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[سبأ:٣].

وبقية الكلام سيأتي إن شاء الله في باب القدر.

قوله:(واستوى على عرشه فوق السماء):

سيأتي إن شاء الله الكلام على الاستواء في موضعه.

الصلاة على النبي ﷺ

قوله: (وصلى الله على الهادي إلى المحجة البيضاء، والشريعة الغرَّاء، محمد سيد المرسلين والأنبياء، وعلى آله وصحبه الطاهرين الأتقياء، صلاة دائمة إلى يوم اللقاء):

الصلاة لغة الدعاء، قال الله جل في علاه: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[التوبة: ١٢].

والصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى.

ومن الملائكة الاستغفار والدعاء.

ومن غيرهم التضرع، والدعاء بخير، والتعظيم لأمره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦].

صفة الصلاة على النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

رواه البخاري برقم(٣٣٦٩)ومسلم(٤٠٧).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «فَقُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

رواه البخاري برقم (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا التَّسْلِيمُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ».

رواه البخاري برقم (٤٧٩٨).

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ».

روا مسلم برقم (٤٠٥).

والمشهور من عمل أهل العلم أنهم يقولون: ﷺ في غير الصلاة، وهذا اختصار لها لكن بعضهم أهمل (وعلى آله)، والذي ينبغي هو ذكرها.

والسلام على النبي ﷺ ذُكر في حديث عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى الله قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلَامُ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: «التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ - فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرْ بَعْدُ مِنَ الْكَلَامِ مَا شَاءَ».

رواه البخاري رقم (٦٢٣٠) ومسلم(٤٠٢).

وأيهما أفضل أن تقول: عليه الصلاة والسلام، أم صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما فهمه بعض أهل العلم ؟

لا شك أن ظاهر القرآن يحتمل قوله: عليه الصلاة والسلام، وما في معناه، لكن الذي ورد في سنة رسول الله ﷺ، والسنة شارحة وموضحة للقرآن.

وهل يُصلى على غير النبي ﷺ؟

أما إذا كان على سبيل التبعية كالصلاة على آل النبي ﷺ تبعًا للصلاة عليه كقولك ﷺ، فهذا جائز بالإجماع.

كما قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١/ ٤٨١):

وأما الأنبياء إذا أفردوا فالصلاة عليهم جائزة لورود الأدلة بذلك وهي كثيرة، وكذا الملائكة.

وأما من عداهم فتكره الصلاة عليهم، وقد كرهه الجمهور.

أما ما استدل به من أجاز ذلك من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: «اللهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: « اللهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى».

رواه البخاري برقم (١٤٩٧) ومسلم (١٠٧٨).

ونحو هذا، فهو خاص بالنبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**﴾[التوبة:١٠٣].

فعن ابن عباس أنه قال: لا تصلوا صلاة على أحد إلا على النبي ﷺ ولكن يُدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار لهم.

رواه الإمام إسماعيل بن إسحاق الجهني القاضي المالكي (١٩٩-٢٨٢) بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، وهو صحيح.

ولم يكن السلف رضوان الله عليهم يقولون أبو بكر ﷺ، ولا عمر ﷺ وهكذا.

وعمل السلف أنهم لم يكونوا يقولون هذا لا للمتصدق، ولا لغيره، يدل على أنه خاص بالنبي ﷺ، ولكن كما قال: ابن عباس يُدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار لهم.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٧/ ١٨٤):

وَأَمَّا قَوْل السَّاعِي: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى فُلَان، فَكَرِهَهُ جُمْهُور أَصْحَابنَا، وَهُوَ مَذْهَب اِبْن عَبَّاس، وَمَالِكٍ، وَابْن عُيَيْنَةَ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَف.

وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاء: وَيَجُوز ذَلِكَ بِلَا كَرَاهَة لِهَذَا الْحَدِيث، قَالَ أَصْحَابنَا: لَا يُصَلَّى عَلَى غَيْر الْأَنْبِيَاء إِلَّا تَبَعًا؛ لِأَنَّ الصَّلَاة فِي لِسَان السَّلَف مَخْصُوصَة بِالْأَنْبِيَاءِ - صَلَاة الله وَسَلَامه عَلَيْهِمْ-، كَمَا أَنَّ قَوْلنَا: (عَزَّ وَجَلَّ) مَخْصُوص بِالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَكَمَا لَا يُقَال: مُحَمَّد عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا جَلِيلًا، لَا يُقَال: أَبُو بَكْر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ صَحَّ الْمَعْنَى.

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابنَا فِي النَّهْي عَنْ ذَلِكَ هَلْ هُوَ نَهْيُ تَنْزِيهٍ أَمْ مُحَرَّمٌ أَوْ مُجَرَّد أَدَب، عَلَى ثَلَاثَة أَوْجُه: الْأَصَحّ الْأَشْهَر أَنَّهُ مَكْرُوه كَرَاهَةَ تَنْزِيهٍ؛ لِأَنَّهُ شِعَار لِأَهْلِ الْبِدَع، وَقَدْ نُهِينَا عَنْ شِعَارهمْ، وَالْمَكْرُوه هُوَ مَا وَرَدَ فِيهِ نَهْي مَقْصُود، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ يَجُوز أَنْ يُجْعَل غَيْر الْأَنْبِيَاء تَبَعًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَيُقَال: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد وَأَزْوَاجه وَذُرِّيَّته وَأَتْبَاعه؛ لِأَنَّ السَّلَف لَمْ يَمْنَعُوا مِنْهُ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِهِ فِي التَّشَهُّد وَغَيْره.اهـ.

والسلام بمعنى التحية، والسلامة من النقائص والرذائل.

وقيل المعنى اسم الله عليك واستدل له بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام ومن يبك حولًا كاملًا فقد

وكلا المعنيين صحيح، وتقدمت صفة السلام.

والجمع بين الصلاة والسلام على النبي ﷺ هو الأفضل والأكمل للآية السابقة.

مذهب السلف في الأسماء والصفات

قوله:(اعلم وفقنا الله وإياك لما يرضيه من القول والنية، والعمل، وأعاذنا وإياك من الزيغ والزلل):

الزيغ والزلل بمعنى: وهو الانحراف، قال الله تعالى:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[آل عمران:٧].

وقال تعالى:﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٠٩].

قوله:(أنَّ صالح السلف):

الصالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق عباده، ولفظ الصالح ضد الفاسد فإذا أطلق لفظ صالح فهو الذي صلح جميع أمره قال الله تعالى في هؤلاء: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

والسلف يُطلق في اللغة على المتقدم قال ابن منظور في لسان العرب(٦/ ٣٣١):

من تقدَّمَك من آبائك وذوي قَرابَتِك الذين هم فوقَك في السنِّ والفَضْل واحدهم سالِفٌ.اهـ

ومنه قوله في حديث أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ**».

رواه مسلم برقم(٢٢٨٨) وأبهم فيه شيخه، وقد رواه ابن حبان، كما في الإحسان رقم (٦٦٤٧)، وهو حسن.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ : «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**» ...الحديث.

رواه البخاري برقم (٦٢٨٥و ٦٢٨٦) ومسلم برقم (٢٤٥٠).

وفي الاصطلاح يطلق على أصحاب القرون المفضلة؛ لتقدمهم وسبقهم في الخير.

قوله:(وخيار الخلف، وسادة الأئمة، وعلماء الأمة، اتفقت أقوالهم، وتطابقت آراؤهم):

تعريف الخلف: هو ضد السلف من حيث الزمن، أما من حيث السير فالمراد هنا الذين يسيرون بسيرهم.

وفي قوله هنا: (اتفقت أقوالهم، وتطابقت آراؤهم) نقل للإجماع على المعتقد الصحيح الذي سار عليه أئمة الإسلام قديمًا وحديثًا؛ وذكره المؤلف هنا.

الإيمان بالله

قوله:(على الإيمان بالله عز وجل):

الإيمان لغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنك تقول آمنت بكذا، وأقررت بكذا، وصدقت فلانًا ولا تقول آمن فلانًا.

إذًا فالإيمان يتضمن معنى زائد على مجرد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف المستلزم لقبول الأخبار، والإذعان للأحكام.

راجع الصارم المسلول (ص٥١٩) وكتاب الإيمان (ص١١٠) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح الواسطية للعثيمين رحمهما الله (ص٤١).

واصطلاحًا: هو قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهناك مزيد للإيمان في موضعه (فصل الإيمان).

والإيمان بالله عز وجل يقتضي الاعتقاد الجازم بأنه لا رب سواه، والخضوع لأمره تعالى وتفويض الأمر إليه، والكفر بأعدائه.

والإيمان بالله يتضمن أمورًا أربعة هي:

الأول: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى له الوجود المطلق.

فليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، كما روى مسلم برقم(٢٧١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ،وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣]، والآيات والمعجزات على إثبات وجود الله كثيرة جدًا.

الثاني: الإيمان بربوبية الله تعالى، وأنه المنفرد بذلك، وأنه لا شريك له ولا معين له.

والرب: من له الخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله سبحانه وتعالى، ولا ملك إلا هو، ولا أمر إلا له سبحانه وتعالى قال جل في علاه: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك:١].

فالله هو المنفرد بالخلق وحده، أما ما ورد عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ الله ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَتُوبُ إِلَى الله، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَاذَا أَذْنَبْتُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ؛ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ».

رواه البخاري برقم (٢١٠٥) ومسلم برقم (٢١٠٧).

فأثبت لغير الله خلقًا، فالجواب أن الخلق هو الإيجاد، وهذا خاص بالله تعالى.

أما تحويل الشيء من صورة إلى أخرى فإنه ليس خلقًا في الحقيقة، وإنما يسمى خلقًا باعتبار تكوينه.

ثم إن هذا الأمر ما يسميه الأصوليون أمر تعجيز، ولو كان خلقًا حقيقة لما كان فيه تعجيزًا لهم.

والله هو المتفرد بالملك وحده، فإن قلت: قد أثبت الله للمخلوق ملكًا، كقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾[النور:٦١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون:٦].

فالجواب: أن ملك الله عز وجل ملكًا عامًا مطلقًا يتصرف فيه كيف يشاء؛ بإيجاد وإبادة، وإحياء وإماتة، أما ملك المخلوق فملك قاصر، وفي حدود ما شرعه الله عز وجل.

ومثل هذا يقال فيما إذا أورد إشكال في التدبير أن للإنسان تدبيرًا؟ فيجاب عليه كما تقدم.

وأمر الله عز وجل شامل للأمر الكوني والأمر الشرعي.

فالأمر الكوني فيما قدر الله في الكون، وحذر منه، وتوعد بالعقاب عليه، والأمر الشرعي فيما قدره الله، وشرعه للعباد، ورغب فيه، ووعد بالثواب عليه، فكما أنه سبحانه وتعالى مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرعه حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعًا في العبادات، أو حاكمًا في العبادات، فقد أشرك به، ولم يحقق الإيمان به تعالى.

والرب من أسمائه تعالى ثابت بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ:١٥].

وقال: ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[يس:٥٨].

وفي صحيح مسلم برقم (٤٧٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ الله ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ

رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

وأثبته اسمًا لله عز وجل جماعة من أهل العلم منهم: سفيان بن عيينة والخطابي والقرطبي وابن القيم وابن الوزير وابن حجر والسعدي وابن عثيمين وغيرهم.

ويطلق الرب بمعنى السيد، ولا يقال في غير الله رب – أي بغير الألف واللام- إلا مضافًا، كـ(رب إبله، ورب البيت)، وهكذا.

ولا يقال الرب معرفًا بالألف واللام مطلقًا إلا لله عز وجل؛ لأنه مالك كل شيء.

واختلف في اشتقاقه، وهو مشتق من التربية؛ لأن الله مدبر لخلقه ومربيهم ومصدر الرب الربوبية.

وهذا القسم والذي قبله مجرد الاقتصار على الإيمان بهما لا يصير صاحبه مؤمنًا بل لا بد أن يتوفر معهما غيرهما.

فإن الله يقول: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[لقمان:٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[العنكبوت:٦٣].

فهم مقرون بوجود الله، وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، ومع هذا لم يدخلوا في الإسلام حتى يحققوا توحيد الألوهية، ويؤمنوا بتوحيد الأسماء والصفات.

ومن العجب أنك ترى من يدعي العلم، وينتسب إليه، وصنف في هذا القسم زاعمًا أنه التوحيد، وأعرض صفحًا عن توحيد الألوهية!

ولم ينقل إنكار توحيد الربوبية إلا عن الشذَّاذ من الناس كفرعون مع إقراره به في الباطن، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤].

وكذا أهل الطبيعة من ملاحدة الاشتراكية الزنادقة الكفرة الفجرة الذين يقولون: لا إله، والحياة مادة، فأخزاهم الله أيما خزي، ومزقهم كل ممزق ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[ص:٣].

الثالث: الإيمان بانفراده بالإلوهية، وذلك بأن يكون عبدًا لغير الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥].

فهو المألوه أي المعبود الحق لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[البقر:١٦٣].

وكل آلهة سوى الله فهي باطلة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧].

والذي قبله -أي الربوبية- إفراده تعالى في أفعاله، وهذا إفراده تعالى في أفعال العبد، فلا يصرف شيء من العبادة لغير الله تعالى.

وهذا القسم هو الذي من أجله وقع الصراع بين الإسلام والكفر، ومن أجله بُعثت الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وقــال جــل شــأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

قال الله جل في علاه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأحقاف:٢١].

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[**فصلت:١٤**].

وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [**البقرة:١٣٣**].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنَ الهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [**الأعراف:٧٣**].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنَ الهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[الأعراف:٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[**العنكبوت:١٦**].

وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[**الزخرف:٤٥**].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[**يس: ٦٠**].

وفي هذا القسم ضل المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستباح دمائهم، وأموالهم، وأرضهم، وديارهم، وسبى نسائهم وذراريهم؛ لأنهم لم يؤمنوا بالألوهية، قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾[ص:٥].

ومن أخل بهذا النوع، وصرف شيئًا منه لغير الله من عبادة؛ أو نذر، أو توكل، وما أشبهه فهو مشرك، وإن أراد بذلك القربة من الله، قال الله تعالى عنهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾[الزمر:٣].

وهذه الأقسام لا يجحدها، ولا ينكرها أحد من أهل القبلة، المنتسبين إلى الإسلام.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٨٩-٩٠):

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن.

فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لإهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

فـ: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾: توحيد، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: توحيد، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: توحيد، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾: توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:١-٧]: الذين فارقوا التوحيد.

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياءه ورسله. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[آل عمران:١٨-١٩].

فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به. اهـ

الرابع: الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، وهو الإقرار بكل ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من اسم، أو صفه ومعانيها، أو حكمها الواردة في الكتاب والسنة، وأن له الكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال.

وهذا هو الذي كثر فيه الخوض، والأخذ والرد بين المسلمين، ولا يتم إيمان المسلم إلا بتحقيق هذا النوع، بل ومنهم من يسلب عنه الإيمان بالكلية لعدم إقراره وتصديقه به.

مع شرفه وفضله، وإن شرف كل علم بشرف معلومه.

ولا شك ولا ريب أن أجل معلوم هو رب السماوات والأرض، ورب العرش الكريم.

وشرف كل شيء بشرف ما أضيف إليه، ولهذا فعلم الأسماء والصفات أجل العلوم، وأشرفها، وأفضلها؛ لأنه متعلق بالواحد الأحد الحي القيوم بالجبار المتكبر العزيز الحميد من له الحكمة البالغة، والمشيئة النافذة، ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[الأنبياء:٢٣].

وقال تعالى:﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [القصص:٦٨].

فمن لم يعرف الله فكيف يعبده وهو يجهله؟ قال الله تعالى:

﴿**وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[الأعراف:١٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الحشر:٢٤].

وكل اسم متولد عنه صفة من غير عكس.

وتقدم لنا حديث عائشة في الصفات، بل فسر بعضهم (له الأسماء الحسنى) قال: ولله الصفات.

والصحيح أنها الأسماء وهي تتضمن الصفات كما تقدم، ودعاء الله بأسمائه أن يطلب بكل اسم ما يليق به تقول: يا رحيم ارحمني، ويا رازق ارزقني، ويا تواب تب علي، وإن دعوت باسم عام قلت: يا الله اغفر لي.

وأما دعاء صفاته، وكلماته فكفر باتفاق المسلمين فهل يقول: المسلم يا كلام الله اغفر لي؟، وارحمني؟، وأعني؟، أو يا علم الله يا قدر الله، أو يا عزة الله أو يا عظمة الله، أو نحو ذلك، أو سُمع من مسلم، أو كافر أنه دعاء ذلك من صفات الله وصفات غيره، أو يطلب من الصفة جلب منفعة، أو دفع مغفرة، أو إعانة، أو نصر، أو إغاثة، أو غير ذلك.

انتهى من تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام (١/ ١٨١).

فيتعبد الله على مقتضى صفاته تبارك وتعالى.

ما يقدح في توحيد الأسماء والصفات:

يقدح فيه الإلحاد في أسماء الله، وصفاته الذي حذر الله منه، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠].

وهو أنواع:

الأول: أن تسمى الأصنام بها كما سمى المشركون اللات من إله، والعزى من العزيز.

الثاني: تسمية الله بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له تعالى أبًا، والفلاسفة موجب الوجود بذاته، أو علة فاعلة.

الثالث:وصفه تعالى بما تقدس عنه وتنزه من النقائص كقول اليهود عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين: إنه فقير، وقولهم: يد الله مغلولة.

الرابع: تعطيل الأسماء والصفات عن معانيها وهذا أقسام:

١- نفي الأسماء والصفات مطلقًا، كمن يقول: لا موجود، ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت...إلخ، وهو مذهب غلاة المعطلة.

٢- تعطيل الأسماء مع معانيها، مع إثباتها دون الصفات، وهذا مذهب الجهمية.

٣- إثبات الأسماء ومعانيها، دون الصفات، وهو مذهب المعتزلة.

٤- إثبات الأسماء ومعانيها، وإثبات بعض الصفات دون معانيها، وهذا مذهب الأشاعرة والماتريدية.

٥- تمثيل صفات الله بصفات خلقه كقولهم يد الله كيد المخلوق، وهذا مذهب الممثلة كالكرَّامية.

والذي يجب على المسلم تجاه هذا الأمر أن يحذر ما تقدم، وأن يعتقد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ على اعتقاد أهل الحديث والسنة كما قال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣-٤):

إن أصحاب الحديث المتكلمين بالكتاب والسنة – حفظ الله أحيائهم، ورحم الله أمواتهم- يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه، وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه...، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين تحريف المعتزلة، والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيفونهما بكيف، أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكيف والتشبيه، ومن عليهم بالتعريف، والتفهيم حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعليل، والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى:١١] اهـ.

ثمرات الإيمان بالله :

١ -تحقيق توحيد الله بحيث لا يتعلق الإنسان بغير الله في رجاء، أو رغبة، أو رهبة، وبالتالي يتم إيمانه ويكمل.

٢-كمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

٣- تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

قوله: (وأنه واحدٌ(١)):

قال الله تعالى:﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣].

وقال الله سبحانه وتعالى:﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[فصلت:٦].

وقال الله جل في علاه:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[الحج:٣٤].

وقال الله تبارك وتعالى:﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٦].

قوله:(فردٌ):

اسم (الفرد) لا يثبت أنه من أسماء الله تعالى، وقد جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(١) في (ط) «أحد».

رواه ابن أبي الدنيا في الشكر برقم (١٥٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي ﷺ برقم (٥٧٥)، وإسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٢٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات برقم (١٦٠)، وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير عند آية البقرة: [١٨٦]، من طريق: محمد بن يزيد الرفاعي ثنا أبو بكر بن عياش ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حدثني جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]، فقال النبي ﷺ: «**اللهم، إنك أمرت بالدعاء، وتوكلت بالإجابة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة لك والملك، لا شريك لك، أشهد أنك فرد صمد...**» الحديث.

ومحمد بن يزيد الرفاعي قال البخاري: رأيتهم مجتمعين على ضعفه. كما في التهذيب، والتقريب.

والكلبي هو: محمد بن السائب كذَّاب، وأبو صالح هو مولى أم هانئ، اسمه: باذام، ضعيفٌ، ويرسل، وقال ابن معين: ليس به بأس، وإذا روى عنه الكلبي؛ فليس بشيء، كما في تهذيب التهذيب.

ورواه الحاكم في: معرفة علوم الحديث (ص٢١٦) من طريق محمد بن فضيل عن الكلبي...فذكره، وليس فيه الشاهد، وهو قوله: فردٌ.

ولكن يغني عن هذا الوتر ففي صحيح البخاري برقم (٢٧٣٦) ومسلم برقم (٢٦٧٧)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ».

والواحد قال تعالى:﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[الرعد: ١٦].

وقال الله تعالى:﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[الزمر: ٤].

قوله: (صمدٌ):

قال الله جل في علاه: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ ﴾[الإخلاص:١-٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ».

رواه البخاري برقم (٤٩٧٤).

قوله: (لم يلد ولم يولد) [١]:

قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٣]، وهذا من الصفات المنفية فلم يلد؛ لأن الوالد محتاج إلى الولد بالخدمة والنفقة، ولأنه ليس بفان لم يلد فيورث، فلا شيء يلد إلا وهو فان بائد، وفي هذا رد على اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

ولم يولد: أي ليس بمحدث بعد إن لم يكن ولد فكان؛ لأنه تعالى فليس له ولد ولا يولد، وهو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر

---

(١) زيادة في (خ).

فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، وقد تقدم الحديث فهو دائم لم يبد ولا يزال ولا يفني.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

هو أول هو آخر هو ظاهر هو باطن هي أربع بوازن

ما قلبه شيء كذا ما بعده شيء تعالى الله ذو سلطان

ما فوقه شيء كذا ما دونه شيء وذا تفسير ذي البرهان

قال ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (١٣٢):

ولما كان يرد على الذهن فرض أَثَمَّ يكون الشيء لا والد ولا ولد ولا مولودًا، لكنه متولد؛ نفي هذا الوهم الذي قد يرد فقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤].

قوله: (حيٌّ، قيُّوم):

قال الله تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران:٢].

وقال الله تعالى:﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[طه:١١١].

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ

اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

رواه مسلم برقم (٨١٠).

قوله:(سميعٌ، بصيرٌ):

قال الله تعالى:﴿ وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر:٢٠].

وقال الله جل في علاه:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[غافر:٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وَعَنْ أَبِي يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:٨٥]، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ.

رواه أبو داود برقم(٤٧٢٨) وَقَالَ عَقِبَهُ:

وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ.اهـ

قلت: حديث صحيح.

قوله:(لا شريك له، ولا وزير، ولا شبيه (له) [(١)]، ولا نظير، ولا عِدْلَ، ولا مثل):

هذه الكلمات معانيها متقاربة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤].

وقال تعالى:﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ».

رواه البخاري برقم (٤٩٧٤).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[النحل:٦٠].

قوله:(وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة التي نطق بها كتابه العزيز الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢]):

---

(١) قوله: «له» ليس في (خ).

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢].

وهذه الأوصاف وصف بها نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾[النساء:١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾[النساء:٨٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ».

رواه البخاري برقم (٧٣٧٥) ومسلم برقم (٨١٣).

قوله: (وصحَّ بها النقل عن نبيه وخيرته من (جميع)[1] خلقه محمد سيد البشر، الذي بلغ رسالة ربه، ونصح لأمته، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وأقام الملة، وأوضح المحجَّة، وأكملَ الدين، وقمع الكافرين، ولم يدع لملحدٍ مجالًا، ولا لقائل مقالًا):

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[النور:٥٤].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:٥٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا

---

(١) زيادة في (خ).

الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[التغابن:١٢].

وقال الله جل في علاه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالى:﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[المائدة:٩٢].

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء:٥٩].

وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:٨٣].

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟

قَالَ: أَجَلْ. وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ؛ لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا.

رواه البخاري برقم(٢١٢٥).

قوله:(فروى طارق بن شهاب، قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر (يهود نزلت نعلم) (١) اليوم الذي نزلت فيه لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال: إني لأعلم اليوم الذي نزلت، والمكان، نزلت على رسول الله ﷺ ونحن بعرفة عشية جمعة):

رواه البخاري برقم (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧)، وليس عندهما قوله: (نعلم اليوم الذي نزلت فيه).

وقوله: (عشية) عند أحمد (١/ ٢٨ برقم ١٨٨).

والآية بتمامها قال الله جل في علاه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[المائدة:٣].

---

(١) في (خ) «اليهود».

وفيها رد على أهل الكتاب؛ حيث ذكر ربنا يأسهم من ديننا، وعدم حاجة المسلمين إلى شيء من دين أخل الكتاب لاكتمال الإسلام الحنيف.

وقد الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٠٥) أن هذا الرجل هو كعب الأحبار.

قوله:(فآمنوا بما قال الله سبحانه في كتابه، وصحَّ عن نبيه، وأَمِرُّوه كما ورد):

أي أثبتوا ما أثبته الله عز وجل لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ كما ورد به النص (بالمعنى الذي جاء به النص)؛ فالنصوص جاءت بألفاظ ومعانٍ وليست ألفاظًا مجردة عن المعاني.

التكييف

قوله: (من غير تعرض لكيفية):

التكييف: هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل، يقال: كَيَّفَ الشيء جعل له كيفية معلومة.

وهذا اللفظ لم يرد في الكتاب والسنة لكن ورد ما يدل على النهي عنها؛ وذلك أنه مما استأثر الله به إذ الصفة تابعة للموصوف، والموصوف لا يعلم كيف هو إلا هو، فالصفة كذلك، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، والله لم يخبرنا عن كيفية ذاته ولا عن كيفية صفاته.

وتكيفيها قول على الله بلا علم، والله تعالى يقول: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعرف:٣٣].

وقال تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء:٣٦].

وليس المراد بنفي الكيفية أنه ليس لصفاته تعالى كيفية أصلًا، بل المراد نفي علمنا بالكيفية، فمثلًا يد الله عز وجل لها كيفية لكننا لا نعلم كيفيتها فالمنفي هو علمنا بكيفيتها.

وقد جاء رجل إلى الإمام مالك فقال: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥].

فكيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال:

الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به أن يخرج.

وهو صحيح، رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٨٠) ضمن عقائد السلف، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٨برقم ٦٦٤)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث صـ١٨٠-١٨٣ـ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥ برقم ٨٦٧)، وفي الاعتقاد صـ١١٩ـ، وأبونعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١).

وإنما حكم عليه مالك بالبدعة وأمر بإخراجه؛ لأنه سأل عن شيء لم يسأل عنه الصحابة الكرام؛ ولأنه أراد معرفة الكيف وهو لا سبيل إليه.

وقال شيخ الإسلام:

والمؤمنون يرون حقًا ربهم وإلى السماء بغير كيف ينزل

والمراد: بغير كيف معلوم لنا، وليس المراد نفي الكيفية.

التمثيل

قوله:(أو اعتقاد شَبَهِيهٍ[١]، أو مثلية):

التمثيل: جعل الشيء على حقيقة معينة مع تقيدها بما يماثل، والتمثيل غير جائز بالنص، قال الله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى:١١]، وقوله تعالى: ﴿**فَلا تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ**﴾[النمل:٧٤].

وكذا الإجماع القديم كما في مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٧)، قال رحمه الله:

وكذلك التمثيل منفي بالنص، والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه، ونفى التكييف، إذ كنه الباري غير معلوم للبشر اهـ.

والتشبيه جعل الشيء على حقيقة معينة مشابهة له.

فالتمثيل يقتضي المماثلة والمطابقة، أما التشبيه فلا، فيكفي فيه أنه يشبهه أي يساويه في أكثر الصفات.

والتعبير بالتمثل أول من التعبير بالتشبيه لأمور:

الأول: لأنه اللفظ الذي عبر به القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:١١].

---

(١) هذه الكلمة في (ط): «شَبَهٍ».

الثاني: لأن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح؛ لأنه لا يوجد شيئان من الأعيان، أو الصفات إلا وبينهما اشتراك في بعض الوجوه، وهذا الاشتراك هو نوع التشابه، فالتمثيل أدل على المراد.

الثالث: بعض الناس يفهم أن التشبيه إثبات الصفات، ولذا يسمون أهل السنة مشبهة، فإذا سمعوا لفظ من غير تشبيه فهموا أن المراد نفي الصفات، وهذا لا يفهم من عبارة التمثيل فالتعبير بالتمثيل أولى.

والتشبيه ينقسم إلى قسمين:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق: وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق في أحد ثلاثة أمور:

أحدها: في الأفعال: كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقًا.

ثانيها: في الحقوق كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقًا في الألوهية؛ فعبدوها مع الله تعالى، قال تعالى عنهم: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

ثالثها: كفعل غلاة الصوفية حيث قال قائلهم لا رحمه الله:

إن لم تكن آخذًا يوم المعاد ... فضلًا وإلا فقل يا زلة القدم

وقال:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح

وقال المتنبي يمدح البحتري(١):

فكن كما شئت يامن لا شبيه له   وكيف شئت فما خلق يدانيك

الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق كقول المشبهة: إن لله يدين كأيدينا وسمع كسمعنا.

وأول من عُرف بهذا هشام بن الحكم الرافضي ـ الخبيث، وكذا داود الجواربي وهذه عقيدة الكرامية والهشامية وغيرهم.

وكلا القولين كفر بالله عز وجل، وكل مشبه معطل والعكس؛ لأن المعطل لم يفهم من صفات الله إلا ما يليق بالمخلوق فأراد بزعمه الفاسد تنزيهه، فمثل أولًا، ثم عطل، ثم بعد ذلك شبهه بالمعدومات، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وأهل السنة والحديث بريئون من أوصاف أهل الضلال، فإثباتهم بريء من التكييف والتمثيل، ونفيهم بريء من التحريف والتعطيل.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح الطحاوية (٩٨-١٠٦):

اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظًا مجملًا يراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿لَيْسَ

---

(١) هو عبد الله بن يحيى البحتري.

﴿كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، رد على الممثلة المشبهة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، رد على النفاة المعطلة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم، ويُراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات، فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة؛ لأن العبد موصوف بهذه الصفات.

ولازم هذا القول أنه لا يقال له: حي، عليم، قدير؛ لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك، وهم يوافقون أهل السنة على أنه موجود، عليم، قدير، حي، والمخلوق يقال له: موجود حي عليم قدير، ولا يقال: هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه عاقل؛ فإن الله سمى نفسه بأسماء وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المسمّى كالمسمّي، فسمّى نفسه: حيًا، عليمًا، قديرًا، رؤوفًا، رحيمًا، عزيزًا، حكيمًا، سميعًا، بصيرًا، مَلِكًا، مؤمنًا، جبارًا، متكبرًا، وقد سمّى بعض عباده بهذه الأسماء، فقال: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾[الأنعام:٩٥]، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات:١٠١]، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات:٢٨]، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢]، ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ﴾[يوسف:٥١]، ﴿وَكَانَ

﴿وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾[الكهف:٧٩]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾[السجدة:١٨]، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر:٣٥].

ومعلوم أنه لا يماثل الحي الحي، ولا العليم العليم، ولا العزيز العزيز، وكذلك سائر الأسماء، وقال تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء:١٦٦]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[فاطر:١١]، ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[فصلت:١٥].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به**». قال: ويسمى حاجته، رواه البخاري(١).

وفي حديث عمار بن ياسر الذي رواه النسائي وغيره عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ما كانت الحياة**

---

(١) رواه البخاري برقم (١١٦٢).

خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصدَ في الغنى والفقر، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين» (١).

فقد سمى الله ورسوله صفات الله علمًا وقدرة وقوة، وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً**﴾[الروم:٥٤]، ﴿**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ**﴾[يوسف:٦٨]، ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة، ونظائر هذا كثيرة، وهذا لازم لجميع العقلاء.

فإن من نفى صفة من صفاته التي وصف الله بها نفسه، كالرضى والغضب، والحب والبغض، ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم! قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيته وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبته، إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئًا من الصفات! قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى، مثل: حي، عليم، قادر، والعبد يسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلًا لما يثبت للعبد، فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

---

(١) صحيح، رواه النسائي برقم (١٣٠٤)، والحاكم (١/ ٥٢٤).

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى، بل أقول: هي مجاز، وهي أسماء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة!

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود وحق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه، وليس هو مماثلًا له.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئًا، بل أنكر وجود الواجب.

قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه، وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غنيّ عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك. وقد علم بالحس والضرورة وجود موجود حادث كائن بعد أن لم يكن، والحادث لا يكون واجبًا بنفسه، ولا قديمًا أزليًا، ولا خالقًا لما سواه، ولا غنيًا عما سواه، فثبت بالضرورة وجود موجودين: أحدهما واجب، والآخر ممكن، أحدهما قديم، والآخر حادث، أحدهما غنيّ، والآخر فقير، أحدهما خالق، والآخر مخلوق، وهما متفقان في كون كل منهما شيئًا موجودًا ثابتًا.

ومن المعلوم أيضًا أن أحدهما ليس مماثلًا للآخر في حقيقته، إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع، وأحدهما يجب قدمه وهو موجود بنفسه، والآخر لا

يجب قدمه ولا هو موجود بنفسه، وأحدهما خالق والآخر ليس بخالق، وأحدهما غني عما سواه، والآخر فقير.

فلو تماثلا للزم أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب القدم، موجودًا بنفسه غير موجود بنفسه، خالقًا ليس بخالق، غنيًا غير غني، فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما، فعلم أن تماثلهما منتفٍ بصريح العقل، كما هو منتفٍ بنصوص الشرع.

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلًا قائلًا بالباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مشبهًا قائلًا بالباطل، والله أعلم. وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك، والعبد أيضًا مختص بوجوده وعلمه وقدرته، والله تعالى منزه عن مشاركة العبد في خصائصه.

وإذا اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة، فهذا المشترك مطلق كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه.

وهذا موضع اضطرب فيه كثير من النظار، حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد.

وطائفة ظنت أن لفظ «الوجود» يقال بالاشتراك اللفظي، وكابروا عقولهم، فإن هذه الأسماء عامة قابلة للتقسيم، كما يقال: الموجود ينقسم إلى واجب وممكن، وقديم وحادث، ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام، واللفظ المشترك كلفظ

«المشتري» الواقع على المتاع والكوكب، لا ينقسم معناه، ولكن يقال: لفظ «المشتري» يقال على كذا و على كذا، وأمثال هذه المقالات التي قد بسط الكلام عليها في موضعه.

وأصل الخطأ والغلط: توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتًا في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقًا كليًا، بل لا يوجد إلا معيّنًا مختصًا، وهذه الأسماء إذا سمّي الله بها كان مسماها معيّنًا مختصًا به، فإذا سمي بها العبد كان مسماها مختصًا به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟

ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك، فالمشار إليه واحد، لكن بوجهين مختلفين.

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى وزادوا فيه على الحق، فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا، وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه، فالنفاة أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه، ولكن أساؤوا في نفي المعاني الثابتة لله تعالى في نفس الأمر، والمشبهة أحسنوا في إثبات الصفات ولكن أساؤوا بزيادة التشبيه.

واعلم أن المخاطب لا يفهم المعاني المعبَّر عنها باللفظ إلا أن يَعرف عينها أو ما يناسب عينها، ويكون بينهما قدر مشترك ومشابهة في أصل المعنى، وإلا فلا يمكن

تفهيم المخاطبين بدون هذا قط، حتى في أول تعليم معاني الكلام بتعليم معاني الألفاظ المفردة، مثل تربية الصبي الذي يعلم البيان واللغة، ينطق له باللفظ المفرد ويشار له إلى معناه إن كان مشهودًا بالإحساس الظاهر أو الباطن، فيقال له: لبن، خبز، أُم، أب، سماء، أرض، شمس، قمر، ماء، ويشار له مع العبارة إلى كل مسمى من هذه المسميات، وإلا لم يفهم معنى اللفظ ومراد الناطق به، وليس أحد من بني آدم يستغني عن التعليم السمعي، كيف وآدم أبو البشر ـ أول ما علمه الله تعالى أصول الأدلة السمعية وهي الأسماء كلها، وكلّمه وعلّمه بخطاب الوحي ما لم يعلمه بمجرد العقل.

فدلالة اللفظ على المعنى هي بواسطة دلالته على ما عناه المتكلم وأراده، وإرادته وعنايته في قلبه، فلا يعرف باللفظ ابتداء، ولكن لا يعرف المعنى بغير اللفظ حتى يعلم أولًا أن هذا المعنى المراد هو الذي يراد بذلك اللفظ ويعنى به، فإذا عُرف ذلك ثم سمع اللفظ مرة ثانية عرف المعنى المراد بلا إشارة إليه.

وإن كانت الإشارة إلى ما يحس بالباطن، مثل الجوع والشبع والري والعطش والحزن والفرح، فإنه لا يعرف اسم ذلك حتى يجده من نفسه، فإذا وجده أشير له إليه، وعرف أن اسمه كذا، والإشارة تارة تكون إلى جوع نفسه أو عطش نفسه، مثل أن يراه أنه قد جاع فيقول له: جعت، أنت جائع، فيسمع اللفظ ويعلم ما عينه بالإشارة أو ما يجري مجراها من القرائن التي تعين المراد، مثل نظر أمه إليه في حال

جوعه وإدراكه بنظرها أو نحوه أنها تعني جوعه، أو يسمعهم يعبرون بذلك عن جوع غيره.

وإذا عرف ذلك فالمخاطب المتكلم إذا أراد بيان معانٍ، فلا يخلو إما أن يكون مما أدركها المخاطب المستمع بإحساسه وشهوده، أو بمعقوله، وإما أن لا يكون كذلك. فإن كانت من القسمين الأولين لم يحتج إلا إلى معرفة اللغة، بأن يكون قد عرف معاني الألفاظ المفردة ومعنى التركيب، فإذا قيل له بعد ذلك: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[البلد:٨-٩].

أو قيل له: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٨]، ونحو ذلك، فهم المخاطب بما أدركه بحسِّه.

وإن كانت المعاني التي يراد تعريفه بها ليست مما أحسه وشهده بعينه، ولا بحيث صار له معقول كلي يتناولها حتى يفهم به المراد بتلك الألفاظ، بل هي مما لا يدركه بشيء من حواسه الباطنة والظاهرة، فلابدّ من تعريفه من طريق القياس والتمثيل والاعتبار بما بينه وبين معقولات الأمور التي شاهدها من التشابه والتناسب، وكلما كان التمثيل أقوى، كان البيان أحسن، والفهم أكمل.

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه لما بيّن لنا أمورًا لم تكن معروفة قبل ذلك، وليس في لغتهم لفظ يدل عليها بعينها، أتى بألفاظ تناسب معانيها تلك المعاني، وجعلها أسماء لها، فيكون بينها قدر مشترك، كالصلاة، والزكاة، والصوم،

والإيمان، والكفر، وكذلك لما أخبرنا بأمور تتعلق بالإيمان بالله وباليوم الآخر، وهم لم يكونوا يعرفونها قبل ذلك حتى يكون لهم ألفاظًا تدل عليها بعينها، أخذ من اللغة الألفاظ المناسبة لتلك بما تدل عليه من القدر المشترك بين تلك المعاني الغيبية والمعاني الشهودية التي كانوا يعرفونها، وقرن بذلك من الإشارة ونحوها ما يعلم به حقيقة المراد، كتعليم الصبي، كما قال ربيعة بن أبي عبدالرحمن:

الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم.

وأما ما يخبر به الرسول من الأمور الغائبة، فقد يكون مما أدركوا نظيره بحسهم وعقلهم، كإخبارهم بأن الريح قد أهلكت عادًا؛ فإن عادًا من جنسهم، والريح من جنس ريحهم، وإن كانت أشد، وكذلك غرق فرعون في البحر، وكذا بقية الأخبار عن الأمم الماضية، ولهذا كان الإخبار بذلك فيه عبرة لنا، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾[يوسف:١١١].

وقد يكون الذي يخبر به الرسول ما لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يشبه مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر، فلابدّ أن يعلموا معنى مشتركًا وشبهًا بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم، فإذا كان ذلك المعنى الذي في الدنيا لم يشهدوه بعد، ويريد أن يجعلهم يشهدونه مشاهدة كاملة ليفهموا به القدر المشترك بينه وبين المعنى الغائب، أشهدهم إياه، وأشار لهم

إليه، وفعل قولًا يكون حكاية له وشبهًا به يعلم المستمعون أن معـرفتهم بالحقـائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغائبة.

فينبغـي أن يعـرف هـذه الـدرجات: أولها: إدراك الإنسـان المعـاني الحسـية المشاهدة. وثانيها: عقله لمعانيها الكلية.

وثالثها: تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعاني الحسية والعقلية.

فهذه المراتب الثلاث لابدّ منها في كل خطاب، فإذا أخبرنا عن الأمـور الغائبـة فلابدّ من تعريفنا المعاني المشتركة بينهـا وبـين الحقـائق المشـهودة والاشـتباه الـذي بينهما، وذلك بتعريفنا الأمور المشهودة، ثم إن كانت مثلها لم يحتج إلى ذكـر الفـارق، كما تقدم في قصص الأمم، وإن لم يكن مثلها بيّن ذلك بذكر الفارق، بأن يقال: ليس ذلك مثل هذا، ونحو ذلك، وإذا تقرر انتفاء المماثلة كانت الإضافة وحدها كافيـة في بيان الفارق، وانتفاء التساوي لا يمنع منه وجود القدر المشترك الـذي هـو مـدلول اللفظ المشترك ، وبه صرنا نفهم الأمور الغائبة ولولا المعنى المشترك ما أمكـن ذلـك قط.اهـ

التأويل

قوله:(أو تأويل يؤدي إلى التعطيل):

التأويل مأخوذ من آل، وأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ومنها صرف اللفظ عن ظاهره لغير دليل وهو التحريف.

وأهل التحريف يسمونه تأويلًا ترويجًا لباطلهم، والواقع أنه تحريف لأمور:

أحدها: أنه اللفظ الذي ورد به القرآن قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[النساء:٤٦].

ثانيها: أنه أدل على الحال، وأقرب للإنصاف والعدل؛ لأنه تأويل بغير دليل، فما كان بغير دليل فالإنصاف أن يسمى تحريفًا.

ثالثها: لأن التأويل يحمل معنى صحيحًا ومعنى فاسدًا، وهذا من المعنى الفاسد، فمن النصح للأمة أن تسميه باسمه الحقيقي لكي يحذروه؛ لأنهم إذا سمعوا التحريف نفروا عنه بخلاف التأويل.

رابعها: لأن التأويل ليس مذمومًا كله وهو على ثلاثة أقسام:

الأول: بمعنى التفسير، وكثيرًا ما يستعمله ابن جرير بقوله: تأويل قوله تعالى كذا؛ أي تفسير قوله تعالى.

الثاني: بمعنى عاقبة الشيء، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[الأعراف:٥٣]، أي عاقبته.

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره وهذا على قسمين:

أ- صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يدل عليه، فهذا محمود مثل قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧]، أي تَرَكهم، وهذا التأويل لدليل وهو قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم:٦٤].

ب- صرف اللفظ عن ظاهره لغير دليل، وهو الذي درج عليه أهل التحريف.

وهذا مراد المصنف هنا، لكن فيما تقدم أن التعبير عن هذا بلفظ التحريف أفضل وأولى من لفظ التأويل، وقد عدل عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية فلم يذكرها.

والتحريف: تبديل معنى الكلم وتغييره عن مواضعه، أي عن أماكنه ومدلولاته ووجوهه الصحيحة، فكل من حرف، أو عطل في نصوص الكتاب والسنة فيه شبه باليهود في تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتعمدهم ذلك: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣].

ولذلك لعنهم الله وعاقبهم بقسوة قلوبهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:١٣].

فقلوبهم لا تلين للحق، منزوعة الخير، مرفوع منها التوفيق، فلا يؤمنون ولا يهتدون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٦].

قوله:(ووسعتهم السنة المحمدية، والطريقة المرضـية، ولم يتعـدوها إلى البدعـة المردية (الرَّدية) [١]، فحازوا بذلك الرتبة السنية، والمنزلة العلية):

لأنهم ألزموا أنفسهم اتباع السنة، وترك البدعة وأهلها، قال تعـالى:﴿وَاعْلَمُـوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِـنَ الْأَمْـرِ لَعَنِـتُّمْ وَلَكِـنَّ اللهَ حَبَّـبَ إِلَـيْكُمُ الْأِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُـوبِكُمْ وَكَـرَّهَ إِلَـيْكُمُ الْكُفْـرَ وَالْفُسُـوقَ وَالْعِصْـيَانَ أُولَئِـكَ هُـمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

(١) ليس في (خ).

صفة الاستواء

قوله:(فمن صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ونطق بها كتابه، وأخبر بها نبيه: أنه مستوٍ على عرشه كما أخبر عن نفسه، فقال: عز من قائل في سورة الأعراف[٥٤]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقال في سورة يونس عليه السلام[٣]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾):

خلق: أوجد وأنشأ الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض من عدم، وأحكمهما وأتقنهما في ستة أيام.

واليوم من طلوع الشمس إلى غروبها.

والصحيح أن هذه الستة الأيام من أيامنا هذه إذ لا دليل يدل على خلاف ما هو معروف، وهذا المتبادر إلى الذهن.

خلق الأرض في أربعة أيام والسماء في يومين، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [فصلت:٩-١٢].

فالحاصل أن خلق الأرض كان في يومين، وتقدير الأقوات فيها في يومين، فخلق الأرض مع تقدير الأقوات في أربعة أيام، وخلق السماء في يومين، فالجملة ستة أيام.

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره (٧/ ٢١٩):

وذكر هذه المدة ولو أراد خلقها في لحظة لفعل؛ إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون، ولكنه أراد أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور، ولتظهر قدرته للملائكة شيئًا بعد شيء، وهذا عند من يقول خلق الملائكة قبل خلق السماوات والأرض.

وحكمة آخرى خلقها في ستة أيام؛ لأن لكل شيء عنده أجلًا، وبين هذا ترك معاجلة العصاة بالعقاب؛ لأن لكل شيء عنده أجلًا، وهذا كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السماوات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾[ق:٣٨-٣٩]، بعد أن قال: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا**﴾[ق:٣٦] اهـ.

وأما قوله في آية فصلت السابقة أن خلق الأرض قبل خلق السماوات، وفي سورة النازعات يقول الله تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾[النازعات:٢٧-٣٠].

الشاهد: الأرض بعد ذلك دحاها أي أن دحو الأرض بعد خلق السماء، فما الجمع؟

الجواب: أن الله خلق الأرض قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، ومعنى دحاها: أخرج منها ماءها ومرعاها كما هو تفسيرها بعدها، وهذا جمع ابن عباس رضي الله عنهما.

إشكال آخر: في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٢٩]. فكيف تقول: إن الدحو بعد خلق السماء، وفي الآية التصريح بخلق جميع ما في الأرض؟

الجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: المراد بخلق جميع ما في الأرض قبل السماء تقدير لقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾.

قال الشاعر:

وأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

الثاني: أنه تعالى خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل ما فيها، فكان كل ما فيها كأنه خلق لوجود أصله فعلًا.

راجع دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للإمام الشنقيطي (ص١٤-١٦)، وهو ضمن أضواء البيان المجلد العاشر.

الثالث: إن كان ما فيها خلق قبل السماوات حقيقة، لم يخلقه بعد خلق السماء إنما أخرجه، ومعنى الدحو: إخراج الماء والمراعي من الأرض، وقد خلق قبل خلق السماء والله أعلم.

وفي هذه الآية إثبات صفة الاستواء لله تعالى كما يليق بـه، وكـذا في أربـع آيـات بعدها.

قوله:(وقال في سورة الرعد[٢]: ﴿ الذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُـمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾):

العَمَد محرك العين والميم بالفتح، وبعضهم يقول: بضـم عُمُـد، وهـو القيـاس؛ لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالـث منهـا حـرف علـة فجميعـه مضـموم الحروف؛ لأن مفرد عَمد عمود، ولكن هذه الكلمة سمعت بالفتح، قال النابغة:

وخيس الجن إني قد أذنت لهـم   يبنون تدمر بالصـفاح والعمـد

والقرآن خير دليل على ذلك، لكن قراءة حمزة عُمُد.

والعمد جمع عمود، وهو ما يعمد به الشيء، أو البناء.

ويقال لها سوارٍ ودعائم.

وقوله:(ترونها):

فيها قولان:

الأول: أن السماوات ليس لها عمد لا مرئية ولا غير مرئية، وأن هنالـك تقـدير في الآية، وتقديرها رفع السماوات ترونها مرفوعة بغير عمد.

قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/ ٦٤): ولا ملجئ إلى مثـل التكلـف. اهـ.

فنرجح أي أن معنى الآية رفع السماوات بغير عمد، وتكون (ترونها) جملة مستأنفة، وهذا قول الجمهور: أن الله رفع السماوات بغير عمد.

الثاني: أن لها عمدًا لكن لا ترونها، وهو مروي عن الضحاك وعطاء ومجاهد وعكرمة، وعن ابن عباس قال: لها عمد على جبل قاف، والصحيح الأول، وجملة ترونها تأكيد للنفي.

راجع تفسير ابن جرير، وتفسير القرطبي، وغرائب القرآن، وزاد المسير.

قوله:(وقال في سورة طه [٥]: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقال في سورة الفرقان [٥٩]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾، وقال في سورة السجدة[٤]: ﴿اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقال في سورة الحديد[٤]: ﴿هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

فهذه سبعة مواضع أخبر الله فيها سبحانه أنه على العرش):

معنى الاستواء:

تفاسير السلف في معاني الاستواء تدور على ثلاثة معاني.

١ - علا.

٢ - ارتفع.

٣- صعد.

وعلى هذا أجمع أئمة الإسلام، وذكر ابن القيم في النونية أربعة قال:

فلهم عبارات عليها أربع	قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك أر	ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك صعد الذي هو رابع	وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره	أدرى من الجهمي بالقرآن

قلت: وأبو عبيدة معمر بن المثنى، والشيباني هو: عمرو بن العلاء.

لكن الإمام الذهبي لم يرتضِ استقر من معاني الاستواء، قال كما في مختصر العلو (ص٢٨٠)، قلت: لا يعجبني قوله استقر، بل أقول كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم.

وقال الألباني (ص٤١) في معرض الرد على من قال: إن ابن تيمية يثبت الاستقرار على العرش:

فأين رأيت ابن تيمية يقول بالاستقرار على العرش، علمًا بأنه أمر زائد على العلو، وهو مما لم يرد به الشرع، ولذلك رأينا مؤلفنا الحافظ الذهبي فقد أنكر على بعض القائلين بصفة العلو التعبير عنها بالاستقرار. اهـ.

ومعنى لفظ استوى في اللغة العربية التي خوطبنا بها نوعان:

الأول: مطلق لم يوصل معناه بحرف، وهذه بمعنى كمل وتم كقوله تعالى: ﴿**لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى**﴾ [القصص:١٤].

الثاني: مقيد بحرف، وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: مقيد بـــ (إلى)، وذكر في القران في موضعين:

أ- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٢٩].

ب- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[فصلت:١١]، وهذا المقيد بـ (إلى) بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

ثانيها: مقيد بـ(على)، وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف:١٣].

ثالثها: مقرون (بالواو التي تعدي الفعل إلى المفعول معه)، وهذا بمعنى ساوى، ومثاله: استوى الماء والخشبة يعني ساواها(١).

فلفظ استوى في عبارات السلف، واللغة كلها بمعنى الصعود والارتفاع العلو.

فصفة الاستواء صفة حقيقية فعلية ثابتة لله تعالى كما يليق به بإجماع السلف الصالح، ولم يقع اختلاف في هذه الصفة في زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

المخالفون للسلف في الاستواء:

وإنما ظهر الخلاف في إنكار هذه الصفة في أوائل القرن الثاني الهجري حين أظهر الجعد بن دهم إنكار هذه الصفة، فقالت الجهمية والمعتزلة والحرورية

---

(١) راجع مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٦-١٢٧).

والماتريدية (١) إن معنى استوى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إنه استولى وملك وقهر وغلب.

واستدلوا ببيت الأخطل:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم

والرد عليهم من أوجه عديدة:

الأول: أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من الصحابة والتابعين.

الثاني: الذين قالوا هذا التفسير لم ينقلوه عمن يعتمد، وإنما هو محض تخمين، ولو كان معقولًا في اللغة التي نزل بها القرآن لعلم في القرآن، بل قد أنكر الخليل أن يكون في اللغة استوى بمعنى استولى.

الثالث: أن هذا البيت الذي استدلوا به لم يثبت في نقل صحيح أنه من شعر العرب، فهو مصنوع، وأنكره أهل اللغة، وهو غير معروف من دواوين العرب وأشعارهم.

الرابع: إذا كنا في حديث رسول الله ﷺ لا نحتج به إلا إذا صح، فكيف ببيت شعر مخالف للكتاب والسنة واللغة؟!

الخامس: العجيب كيف يحتج هؤلاء بمثل هذا البيت المصنوع، وهم في حديث رسول الله ﷺ لا يقبلون خبر العدل الثبت الثقة (الآحاد)؟

وأيضًا البيت منسوب لرجل نصراني!

---

(١) انظر الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات(٢/ ٣١٨).

السادس: وقيل أصل البيت: بشر قد استولى على العراق، وهذا إن ثبت وشتان!

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في لاميته ردًا عليهم:

قبحًا لمن نبذا القرآن وراءه وإذا استدل يقول قال

السابع: والاستواء خاص بالعرش، وأما الاستيلاء فهو عام في سائر المخلوقات.

الثامن: إن أتى بلفظة (ثم) التي معناها الترتيب حيث قال: (ثم استوى على العرش).

أي بعد أن خلق السماوات والأرض، والعرش موجود قبل ذلك كما تقدم الدليل، فلو كان المعنى استولى، فهل ما كان الله مستوليًا على العرش قبل ذلك؟!

قال ابن القيم في نونيته:

نون يهود ولام جهم هما في وحي رب العرش

فاليهود قال الله لهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:٥٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ، فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ**».

رواه البخاري برقم(٣٤٠٣) ومسلم برقم (٣٠١٥).

أي حنطة، وهؤلاء الجهمية فعلوا كفعلهم قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وهم قالوا استولى.

التاسع: الغالب أن لفظة الاستيلاء تكون بعد مغالبة، فمن ذا الذي يغلب الله، وأين التمثيل، أو التشبيه الذي يفر منه هؤلاء؟

انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ١٤٣-١٤٩)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٦-١٥٢)، والتنبيهات السنية (ص ١٢٨-١٣١)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٣١٦-٣٢٧).

موقف الأشاعرة من الاستواء:

وأما الأشاعرة فتأولوا الاستواء بأحد تأويلين:

أحدهما: الاستيلاء كقول الجهمية وغيرهم، وهو تأويل نفاة العلو من متأخريهم.

ثانيها: أنه فعل فعله الله في العرش سماه استواءً، وهذا قول الأشعري، وكثير من أصحابه الذين يثبتون العلو، ولكن ينفون قيام الصفات الفعلية به، ومعنى الاستواء عند هؤلاء: إن الله يحدث في العرش قريبًا فيصير مستويًا عليه من غير أن يقوم بنفسه فعل اختياري...إلخ.

فهؤلاء اثبتوا الاستواء دالًا على العلو فقط، ولذا جعلوه من صفات الذات، ولم يثبتوا صفة فعل تقوم بالله.

والرد عليهم:

أما الفريق الأول فيما تقدم من الرد على الجهمية والمعتزلة والحرورية.

وأما الثاني فمن وجوه:

الأول: أنه تحريف اللفظ عن مدلوله المراد في الشرع.

الثاني: خلاف فهم السلف الصالح.

الثالث: خلاف معناه في اللغة.

العلو

قوله:(وروى أبو هريرة (رضي الله تعالى عنه)[١] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي. فهو عنده فوق العرش**»):

رواه البخاري برقم (٧٥٥٤)، وهذا لَفْظُه، ومسلم برقم (٢٧٥١).

قوله:(وروى العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ ذكر سبع سموات وما بينها، ثم قال: «**وفوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش ما بين أعلاه وأسفله ما بين سماء إلى سماء، والله تعالى فوق ذلك**». رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه القزويني):

هذا الحديث روي بألفاظ وفيه المسافة بين السماوات والأرض، وهي صحيحة، والباقي ضعيف.

وحديث العباس رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٧)، وأبو يعلى برقم (٦٧١٣)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» برقم (١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٨) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه

---

(١) في (ط):«رضي الله عنه»، وكذا في (ط) في جميع رضي الله عنه، بدون زيادة «تعالى» .

الذهبي، من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن العباس، مرفوعًا فذكر نحوه. وهو الحديث المشهور بحديث الأوعال.

وأخرجه أحمد (٢/ ٢٠٧) وقال: نحوه، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» رقم (٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٥٧٧)، وأبو داود برقم (٤٧٢٣)، والترمذي رقم (٣٣٢٠)، وابن ماجه رقم (١٩٣)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٢٧٣)، وابن خزيمة برقم (١٤٤)، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » برقم (٦٥٠و٦٥١)، والآجري في «الشريعة» رقم (٦٦٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٨٤)، وأبوالشيخ في «العظمة» (٢٠٤)، وابن منده في «التوحيد» رقم (٦٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (٦)، والجوزقاني في «الأباطيل» برقم (٧٢) وقال عقبة: هذا حديث صحيح.

كلهم من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس، فذكره. إلا أن فيه: «.... بعدما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة...».

وسماك بن حرب حسن الحديث.

وعبدالله بن عميرة الكوفي، مجهول عين . وقال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس كما في تهذيب التهذيب.

وجا عن أبي هريرة.

رواه أحمد (٢/ ٣٧٠)، والترمذي برقم (٣٢٩٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٨)، وأبوالشيخ في «العظمة» برقم (٢٠١ و٢٠٢)، والجوزقاني في «الأباطيل» برقم (٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٤٩)، وابن أبي حاتم البزار كما في «تفسير ابن كثير» أول «سورة الحديد» (٤/ ٢٦٦).

كلهم من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة، مرفوعًا فذكره.

وقال الجوزقاني عقب الحديث: هذا حديث باطل... والعلة فيه إرسال الحسن عن أبي هريرة، فإنه لم يسمع من أبي هريرة شيئًا.اهـ

وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٢٩٩-٣٠٠)، وابن جرير في «التفسير» (٢٨/ ١٥٤) عن معمر عن قتادة، فذكره مرسلًا.

قال ابن كثير رحمه الله:...ولعل هذا هو المحفوظ، والله أعلم.

وهذه الطريق من إرسالها، فرواية معمر عن قتادة ضعيفة، كما في «شرح علل الترمذي» لابن رجب (٢/ ٥٠٨-٥٠٩).

وجاء عن أبي ذر رضي الله عنه:

رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» رقم (١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٨٥٠)، والجوزقاني في «الأباطيل» رقم (٦٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» رقم (٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي

نصر عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره. وفيه زيادة: «ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله عز وجل...».

ولعل قول ابن كثير في «التفسير» (٤/ ٢٦٦) : لكن في إسناده نظر، وفي متنه غرابة ونكارة، من أجل هذه اللفظة.

ورواه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (٢٠٨٧)، وأبوالشيخ في «العظمة» برقم (٢٠٠)، والجوزقاني في «الأباطيل» رقم (٦٤) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي نصر عن أبي ذر، فذكره.

قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد، وأبو نصر أحسبه حميد بن هلال، ولم يسمع من أبي ذر.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث منكر، رواه عن الأعمش فخالف فيه أبامعاوية. فقال عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي نصر، وكان الأعمش يروي عن الضعفاء ويدلس.اهـ

وذكر المسافة بين السماوات جاء هذا عن عبد الله بن مسعود موقوفًا:

رواه ابن خزيمة برقم (١٤٩و١٥٠)، والدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ٤٢٢)، وفي «الرد على الجهمية» ص(٢٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ برقم ٨٩٨٧)، وأبوالشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٨-٦٨٩)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود، به موقوفًا.

وهو حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود إمام في القراءة، لكنه حسن الحديث.

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٠) برقم (٨٥١) من طريق عبدالرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة، به.

إلا أنه ذكر بدل «العرش» «الكرسي» وإبدال «الكرسي» بدل «العرش» يعتبرشاذًا، إذ أن عبدالرحمن بن مهدي خالف يزيد بن هارون وأسد بن موسى عند ابن خزيمة، وموسى بن إسماعيل عند الدارمي، وهدبة بن خالد عند الطبراني.

ورواه ابن خزيمة (١/ ٢٤٣-٢٤٤)، والطبراني في «الكبير» برقم (٨٩٨٦) عن حماد عن عاصم عن المسيب بن رافع عن وائل بن ربيعة عن عبدالله قال: «بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام».

وقد رواه عن حماد، يزيد بن هارون عند ابن خزيمة، وهدبة بن خالد عند الطبراني، وقد خالفا الذين رووه عن حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود وهم: يزيد بن هارون نفسه عند ابن خزيمة وابن عبد البر، وأسد بن موسى وهدبة بن خالد نفسه عند الطبراني، وموسى بن إسماعيل عند الدارمي.

فطريقهم هذه شاذة. زد على ذلك: أن وائل بن ربيعة ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٤٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» مختصرًا برقم (٦٥٩) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن عاصم، به. والحسن ضعيف.

ورواه أبوالشيخ في «العظمة» (٣/ ١٠٤٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩١-٢٩٢) من طريق المسعودي (وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة) عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود، فذكره. وزاد أبوالشيخ عن أبي وائل وزر بن حبيش والمسعودي اختلط.

ورواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٤٧) من طريق أبي عمر حفص بن سليمان البزار عن عاصم فذكره، إلا أن في روايته «والعرش والكرسي فوق الماء، والله تعالى فوق العرش وبكل مكان». وأبوعمر حفص بن سليمان متروك.

فالراجح الطريق الأولى وهي الوقف وهي حسنة.

قوله:(وقالت أم سلمة زوج النبي ﷺ، ومالك بن أنس في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر):

أما أثر أم سلمة فضعيف، رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٦٣)، وأبو عثمان الصابوني في: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٧٧-١٧٩)، وابن قدامة المقدسي في: إثبات صفة العلو، برقم (٨٢)، وابن منده في: التوحيد، برقم (٨٨٧)، وابن بطة في: الإبانة (٣/ رقم: ١٢٠)، والذهبي في العلو صـ٦٠ـ.

من طريق أبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري، قال: حدثنا أبو عمير الحنفي عن قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة...، فذكره.

لكن عند أبي عثمان الصابوني في: عقيدة السلف، بدل: (أبي عمير الحنفي): (أبو المغيرة الحنفي)، وعنده: (عن الحسن عن أبيه)، بدل: (عن الحسن عن أمه).

وعند ابن بطة: (عمير بن عبدالحميد الثقفي)، بدل: (أبي المغيرة الحنفي).

وعند ابن منده في التوحيد: (أبو المغيرة النضر بن إسماعيل الحنفي).

وقال الذهبي عَقِبَه: فأما عن أم سلمة؛ فلا يصح؛ لأن أبا كنانة ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه.اهـ

ولم أجد ترجمة لأبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري، والمُتَرْجَم في الميزان، ولسانه: محمد بن أشرس السلمي النيسابوري، وهو منهم، وأبو عمير الحنفي قد قال الذهبي: إنه لا يعرفه.

وعند الصابوني: أبو المغيرة الحنفي، وهو: عمير بن عبدالمجيد الحنفي، وكذا عند ابن بطة في: الإبانة ثنا عمير بن عبدالمجيد، إلا أنه قال: الثقفي، مترجم في الجرح والتعديل (٦/ ٣٧٧)، ولسان الميزان، وغيرهما، وهو ضعيف.

وعند ابن منده: أبو المغيرة النضر بن إسماعيل، وهو ضعيف جدًّا، كما في التهذيب، إلا أنه في التهذيب: البجلي الكوفي إمام مسجدها.

والحسن هو: ابن أبي الحسن البصري، وأمه: خيرة مولاة أم سلمة، روى عنها خمسة، وذكرها ابن حبان في: الثقات، واحتج بها مسلم في: الصحيح؛ فهي حسنة الحديث.

وعند الصابوني: (عن أبيه) بدل (عن أمه).

ووالد الحسن البصري قال الحاكم في: معرفة علوم الحديث (ص٢٠٠): هو: يسار، وفي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (ص٤٣٥) قال: يسار بن عبد الهذلي، أبو عزة، بفتح العين والزاي المشددة، البصري، صحابي، وله حديث، وعنه أبو قلابة. اهـ والله أعلم.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥):

وقد روى مثل هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. اهـ

وأما أثر مالك بن أنس فصحيح، رواه الدارمي في الرد على الجهمية صـ٢٨٠ـ ضمن عقائد السلف، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٨برقم ٦٦٤)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث صـ١٨٠-١٨٣ـ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥ برقم ٨٦٧)، وفي الاعتقاد صـ١١٩ـ، وأبونعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١).

قوله:(وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إِلَّا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى** »):

رواه مسلم برقم (١٤٣٦) -١٢١، ورواه البخاري برقم (٣٢٣٧) بلفظ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**»، وبنحوه في: صحيح مسلم برقم (١٤٣٦) -١٢٠.

قوله:(وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر من في السماء صباحًا ومساءً**»):

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**».

قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهَةِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ. فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ**» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «**لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي**» قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ

بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**» قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، أَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**».

رواه البخاري برقم (٤٣٥١) ومسلم برقم (١٦٤)-٤٤.

قوله:(وروى معاوية بن الحكم السلمي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال لجاريته: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «اعتقها؛ فإنها مؤمنة»).

رواه مسلم بن الحجاج، وأبو داود، وأبو عبد الرحمن النسائي):

رواه مسلم برقم (٥٣٧)، و أبو داود برقم(٩٣٠-٩٣١)، والنسائي برقم(١٢١٨)، ولفظه عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ،

قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**» قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**» قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: «**كَانَ نَبِيٌّ مِن الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ**» قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

قوله:(ومن أجهلُ جهلًا، وأسخفُ عقلًا، وأضلُّ سبيلًا ممن يقول: إنه لا يجوز أن (يقول) [1]: أين الله؟ بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: «**أين الله؟**»):

الذين يقولون إنه لا يجوز أن يقال أين الله: هم المعطلة؛ أهل التحريف من جهمية ومعتزلة وأضرابهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه كما في مجموع الفتاوى(٥/ ٣١٩-٣٢٠):

وقال ابن كلاب أيضًا: ورسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته وأعلمهم جميعا يجيز (الأين) ويقوله ويستصوب قول القائل: إنه في السماء وشهد له بالإيمان عند ذلك؛ وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون (الأين)، ويحرمون القول به.

---

(١) في (ط) «يقال».

قال: ولو كان خطأ كان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له، وكان ينبغي أن يقول لها: لا تقولي ذلك فتوهمي أنه عز وجل محدود، وأنه في مكان دون مكان.

ولكن قولي إنه في كل مكان؛ لأنه هو الصواب دون ما قلت.

كلا فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه وأنه أصوب الإيمان، بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله، ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد له؟

قال: ولو لم يشهد بصحة مذهب الجماعة في هذا الفن خاصة إلا ما ذكرنا من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي وقد غرس في تبينه في الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد؛ لأنك لا تسأل أحدًا من الناس عنه عربيًا ولا عجميًا ولا مؤمنًا ولا كافرًا فتقول : أين ربك ؟ إلا قال في السماء.

إن أفصح أو أومأ بيده أو أشار بطرفه، إن كان لا يفصح؛ ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل، ولا رأينا أحدًا إذا دعاه إلا رافعًا يده إلى السماء، ولا وجدنا أحدًا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول : في كل مكان، كما يقولون وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم فتاهت العقول، وسقطت الأخبار، واهتدى جهم ورجلان معه نعوذ بالله من مضلات الفتن .

فهذا وأمثاله كلام ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأتباعه. اهـ

قوله:(وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه (قال)[١]: كانت زينب بنت جحش تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زَوَّجَكُنَّ أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات. رواه البخاري):

رواه البخاري برقم (٧٤٢٠).

قوله:(وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ ذكر المؤمن عند موته، وأنه يُعرج بروحه حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل.

رواه الإمام أحمد، والدارقطني، وغيرهما):

حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح، رواه أحمد (٢/ ٣٦٤-٣٦٥)، وابن ماجه برقم (٤٢٦٢ و٤٢٦٨)، والنسائي في «الكبرى» برقم (١١٤٤٢)، والطبري في «تفسيره» برقم (٢٠٧٧٠)، وابن منده في «الإيمان » برقم (١٠٦٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ... فذكره نحوه.

ورواه النسائي (١٨٣٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» رقم (٣٠١٤)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٧٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥٢-٣٥٣)، وأبونعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٤-١٠٥)

من طريق قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة... فذكره. وهو صحيح.

---

(١) في (خ) «قالت».

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، والترمذي برقم (١٠٧١) من طريق سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال... فذكره.

ورواه البزار كما في «كشف الأستار» برقم (٨٧٤) من طريق أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه.

هذا حديث صحيح، وجاء عن جماعة من الصحابة، وسأذكر لفظه في عذاب القبر إن شاء الله.

قوله:(وروى أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من اشتكى منكم، أو اشتكى أخٌ له فليقل: ربُّنا اللهُ الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اغفر لنا حوبَنا، وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ»**.

رواه أبو القاسم الطبري سننه):

ضعيف، رواه أبو داود برقم (٣٨٩٢) وابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٥٤)، واللالكائي الطبري في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٦٤٧-٦٤٨) عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء فذكره.

وفي سنده زيادة بن محمد منكر الحديث.

وقد رواه أحمد (٦/ ٢١) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخ عن فضالة بن عبيد قال: علمني النبي ﷺ فذكره.

وهو ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم ضعيف، وجهالة أشياخه.

قوله:(وفي هذه المسألة أدلة من الكتاب والسنة يطول بذكرها الكتاب):

قد جمعها الإمام الذهبي في العلو، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية.

قوله:(ومنكرُ أن يكون الله في جهة العلو بعد هذه الآيات والأحاديث مخالف لكتاب الله، و[1]منكرٌ لسنة رسول الله):

لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾ [المرسلات:٥٠].

ويقول عز وجل: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [العنكبوت:٥١].

ويقول تعالى: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل:٦٤].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ؛ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ؛ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ».

رواه أبو داود(٣٦٤٦) وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله تعالى (١/ ٥٢٩-٥٣٠)

وكلامه عربي فصيح: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء:١٩٥]، لا يحتمل التجهيل، يفهمه كل عربي، ومعناه واضح ليس فيه تعمية، أو تخليط.

---

(١) زيادة الواو ليست في (ط).

فكل من يسمع هذه الآيات والأخبار وهو ذو فهم صحيح وعقل صريح يفهم منها أن لله صفة الاستواء، وهي كما تليق به تعالى.

قوله:(وقال مالك بن أنس: الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان):

صحيح رواه أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» برقم (١٦٩٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (١١)، والآجري في «الشريعة» برقم (٦٥٢ و٦٥٣)، وابن قدامة في «العلو» ص(١١٥) عن مالك بن أنس، به.

وزاد أبو داود والآجري: «لا يخلو من علمه مكان».

وفي رواية أخرى للآجري: «لا يخلو منه مكان».

وانظر «مختصر العلو» للألباني رحمه الله ص(١٤٠).

قوله:(وقال الشافعي: خلافة أبي بكر (حقٌّ)[1] قضاها الله في سمائه، وجمع عليها قلوب أصحاب نبيه ﷺ):

ضعيف جدًا، رواه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ص(١٢٤-١٢٥) بلفظ: خلافة أبي بكر رضي الله عنه حق، قضاها الله في سمائه، وجمع عليها قلوب أصحاب نبيه ﷺ. اهـ ورضي الله عنهم.

وهو ضعيف جدًا، في سنده: أبوالقاسم يعلى بن علقمة الأبهري، لم أجد له ترجمة، والهكاري، وهو: أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف. قال ابن عساكر: لم

---

(١) زيادة في (ط).

يكن موثوقًا به. وقال ابن النجار:... حدث بالكثير، وانتقد عليه، وكان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات، وفي حديثه أشياء موضوعة، ورأيت بخط بعض أصحاب الحديث أنه كان يضع الحديث بأصبهان.

ولقب بشيخ الإسلام، ولعله من أجل عبادته وزهده. وراجع «لسان الميزان» (٤/ ٢٣٦-٢٣٧).

قوله:(وقال عبدالله بن المبارك: نعرف ربنا فوق سبع سماوات بائنًا من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ها هنا، وأشار إلى الأرض):

صحيح، رواه عبد ا لله بن أحمد في «السنة» برقم (٢٢) بلفظ: سألت عبد الله بن المبارك: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا عز وجل؟ قال: على السماء السابعة على عرشه، ولا تقول كما تقول الجهمية: إنه ها هنا على الأرض.

تنوع الأدلة الدالة على العلو:

وقد تنوعت الأدلة في إثبات علو الله تبارك وتعالى على خلقه على ثمانية عشر نوعًا، هي:

الأول: التصريح بالفوقية مقرونًا بأداة (من) الـمُعَيِّنة للفوقية بالذات، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النمل:٥٠].

الثاني: التصريح بالفوقية مجردة عن الأداة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام:١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

الرابع: التصريح بصعود بعض الأشياء إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] .

الخامس: التصريح برفع بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الزمر:١].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات أنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٩٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

التاسع: التصريح بأنه سبحانه في السماء، قال تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦].

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونًا بـ(على)، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥].

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إليه في الدعاء، كما في حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ.

رواه مسلم برقم (٨٩٥).

الثاني عشر: التصريح بنزول الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، وسيأتي الكلام على النزول في فصل مستقل، والنزول يكون من أعلى إلى أسفل.

الثالث عشر: الإشارة حسًا إلى العلو كما أشار النبي ﷺ في خطبة الوداع بإصبعه إلى السماء، والحديث جاء عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما.

الرابع عشر: التصريح بشهادته عليه الصلاة والسلام للجارية لما قالت: إن الله في السماء بأنها مؤمنة، ففي صحيح مسلم (٥٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا»، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

الخامس عشر: التصريح البَيِّن بأن الله في السماء، كما تقدم قبله.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء؛ ليطلع إلى إله موسى، ويزعم أن موسى كاذب في هذا، قال تعالى: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر:٣٦-٣٧].

السابع عشر: إخبار النبي ﷺ أنه تردد بين موسى وربه ليلة عرج به، والحديث في الصحيحين عن مالك بن صعصعة وأبي ذر، وسيأتي إن شاء الله.

الثامن عشر: الأدلة على رؤية أهل الجنة لربهم سبحانه وتعالى، وفيها دلالة على أنهم يرونه من فوقهم وسيأتي فصل للرؤية وأحاديث الرؤية إن شاء الله تعالى.

انتهى بتصرف من شرح الطحاوية (٢/ ٣٨٠-٣٨٦)، وراجع مختصر الصواعق (٢/ ٢٠٥- فما بعد).

صفة الوجه

قوله:(ومن الصفات التي نطق بها القرآن، وصحَّت بها الأخبار: الوجه.

قال الله عز وجل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨].

وقال عز وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧] .

وروى أبو موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**جنات الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتهما، وآنيتهما، وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما، وآنيتهما، وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»):

رواه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم برقم (١٨٠)، وعندهما: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان...**» الحديث.

وأما قوله: «**جنات الفردوس أربع، ثنتان من ذهب حليتهما**»، وهو عند أحمد (٤/ ٤١٦)، والدارمي برقم (٢٨٦٤)، والطيالسي- كما في مسنده برقم (٥٢٩)، وعبد بن حميد برقم (٥٤٤)، وغيرهم من طريق أبي قدامة الحارث بن عبيد الإيادي عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ، فذكره.

وأبو قدامة الحارث بن عبيد ضعيف، كما في تهذيب التهذيب.

قوله:(وروى أبو موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع، فقال: «**إنَّ الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار، لو كشفها لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه كل شيء أدركه بصره**»، ثم قرأ: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[النمل: ٨].

رواه مسلم):

رواه مسلم رقم (١٧٩)، وليست عنده الآية.

في هامش المخطوطة عند قوله سبحات وجهه، قال :«قوله: سبحات وجهه: أي نور وجهه عز وجل».

راجع مجموع الفتاوى(٢/ ٤٠٢) و(٥/ ٧٤).

قوله:(فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب، وخبر الصادق الأمين، فيجب الإقرار بها، والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات):

صفة الوجه صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وقد ذُكرت في كتاب الله تعالى في أحد عشر موضعًا وهي:

الأول: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢].

الثاني: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ [الروم:٣٨].

الثالث: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩].

الرابع: قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

الخامس: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ [الإنسان:٩].

السادس: قال الله جل في علاه: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾[الليل:١٩-٢٠].

السابع: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢].

الثامن: قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف:٣٨].

التاسع: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

العاشر: قال الله جل في علاه: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ﴾ [الرعد:٢٣].

الحادي عشر: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة:١١٥].

على خلاف في الآية الأخيرة فجعلها ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٥) من الأدلة على إثبات صفة الوجه لله تعالى.

وجعلها النفاة حجة لهم في مورد النزاع، فجعلوا يستدلون بها على نفي الوجه لله تعالى.

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٦/ ١٥-١٦) أنها ليست من آيات الصفات مطلقًا، وأن المراد بها جهة الله وقبلة الله.

وفي البخاري برقم (٦٧٣٣)، ومسلم برقم (١٦٢٨) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُم المطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِن الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً للهِ فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَح الْخَاتَمَ

إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً. فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ».

رواه البخاري برقم (٢٣٣٣) ومسلم(٢٧٤٣) وهذا لفظه.

قال البخاري في كتاب التوحيد:

باب قول الله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨].

واستدل بحديث جابر برقم (٧٤٠٦) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٥٢] قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» فقال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر».

والأدلة من السنة كثيرة جدًا على أثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق به، وحرَّف أهل البدع صفة الوجه بالذات، والأدلة ترد عليهم.

فمثلًا في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

فلو كان المراد الذات لكان النعت بـ«ذي» لربك، ولكنه تابع للمنعوت، وهو وجه، فرفع، فدل على أن المراد إثبات هذه الصفة لله تعالى.

وكذا أولوه بالملك، وملكه كل شيء، فلو كان الملك هو المراد لكان معنى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾، كل شيء هالك، إلا كل شيء، وهذا باطل.

راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٤٢٧-٤٣٤)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٧١).

صفة النزول

قوله:(وتواترت الأخبار، وصحَّت الآثار بأنَّ الله عز وجل ينـزل كـل ليلـة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان به، والتسليم له، وترك الاعـتراض عليـه، وإمـراره مـن غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول.

فروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنـه أنَّ رسـول الله ﷺ قـال: «**ينـزل ربنـا عـز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقـى ثلـث الليـل الآخـر، يقـول: مـن يـدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر**»):

رواه البخاري برقم (١١٤٥)، وليس عنده: «**حتى يطلع الفجر**».

ومسلم برقم (٧٥٨)-١٦٨، وعنده: «**يضيء**» بدل: «**يطلع**» في الرواية الثانيـة، وفي رواية أخرى: «**ينفجر**».

قوله:(وفي لفظ: «ينزل الله عز وجل»، ولا يصح حمله عـلى نـزول القـدرة، ولا الرحمة، ولا نزول الملك):

أي فالمراد بهذه الأدلة نزول الرب تبارك وتعـالى، ولا يصـح حملـه عـلى نـزول القدرة أو الرحمة أو الملك لأمور:

الأول: أن الأصل عـدم الحـذف، أو التقـدير؛ والـنص ورد بنـزول الله تبـارك وتعالى.

الثاني: أنه يقول: من يدعوني فأستجب له، فلا يصلح لواحد من هؤلاء أن يقول: من يدعوني فأستجب له؟

هذا مما لا يعقل أن يكون القائل له غير الله سبحانه، والقادر عليه، فلم يكن إلا نزوله سبحانه هذا هو صريح الأدلة والمعقول.

الثالث: أنه حدد لنزوله ثلث الليل الأخير، وهذه الأمور لا يحدد نزولها في هذا الوقت.

الرابع: أن نزول هذه الأمور على حسب زعمهم لا يكون إلا من عنده، وهذا يقتضي أن يكون فوق العالم، وهذا يبطل مذهبهم في نفي علو الله (١).

الخامس: هل هذه الثلاثة لا تنزل إلا إلى السماء الدنيا فقط، ولا تنزل إلى الأرض؟

فبطلت شبه أهل التعطيل، بفضل الله سبحانه.

قوله:(لما روى مسلم بإسناده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، حتى يضيء الفجر**»

رواه مسلم برقم (٧٥٨)-١٦٩.

---

(١) راجع مجموع الفتاوى (٥/ ٤١٥-٤١٦).

قوله:(وروى رفاعة بن عرابة الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مضى نصف الليل، أو ثلث الليل، ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري، من ذا الذي يستغفرني أغفر له، من ذا الذي يدعوني أستجيب له، من ذا الذي يسألني أعطيه، حتى ينفجر الصبح**». رواه الإمام أحمد):

حديث رفاعة صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٦)، وأبو داود الطيالسي كما في مسنده برقم (١٢٩٢)، والدارمي في سننه برقم (١٥٢٢، ١٥٢٣)، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٨٥) ضمن عقائد السلف والرد على المريسي (١/ ٢١١-٢١٣)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣١١-٣١٤)، والطبراني في الكبير(٥/ برقم: ٤٥٥٦، ٤٥٥٧، ٤٥٥٨) والآجري في الشريعة برقم (٧١١،٧١٠،٧٠٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٧٥٥) من طريق: يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني، فذكره في حديث طويل.

وهو حديث صحيح، ويحيى بن أبي كثير قد صرح بالتحديث عند ابن خزيمة، والآجري في الشريعة.

وقد رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٧٥٤)، من طريق وهب بن جرير، قال: ثنا هشام، عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء، أن رفاعة الجهني حدثه، أي بإسقاط هلال بن أبي ميمونة.

والطريق الأولى أرجح؛ لأنه رواها إسماعيل بن إبراهيم عند أحمد، وابن خزيمة، والآجري، وأبو عمر الحوصي عند الدارمي في الرد على المريسي، وأبو داود الطيالسي كما في مسنده، وعبدالله بن بكر السهمي عند ابن خزيمة، ويزيد بن هارون عند ابن خزيمة، وعبدالله بن المبارك عند الآجري في الشريعة، ومعاذ بن هشام عند الطبراني، ووهب بن جرير نفسه عند الدارمي، كلهم يروونه عن هشام عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء عن رفاعة به.

وأيضًا رواه الأوزاعي عند الدارمي، وعند اللالكائي، والآجري، والطبراني، وأبان بن يزيد، وحرب بن شداد، ومعاذ بن هشام، وأبو أمية الحبطي عند الطبراني، كلهم عن يحيى بن أبي كثير عن هلال عن عطاء عن رفاعة به.

فرواية وهب بن جرير التي عند اللالكائي (٧٥٤) تعتبر شاذة.

قوله:(وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول، ويدحضان حجة كل مبطل):

يعني من حيث صراحتهما بنزول الله تبارك وتعالى، وعدم احتمالهما لأي تأويل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

فبطل تأويل بل تحريف المحرفين: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[غافر:٥].

فدحضت أي بطلت شبهت المحرفين.

قوله:(وروى حديث النزول علي بن أبي طالب):

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه حسن، رواه أحمد في «المسند» (١/ ١٢٠) برقم (٩٦٨)، والدارمي برقم (١٥٢٦)، والبزار كما في «نصب الراية» (١/ ٢٤٧) من طريق ابن إسحاق، قال: حدثني عن عبدالرحمن بن يسار عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن علي بن أبي طالب، مرفوعًا، ولم يذكر لفظه.

ورواه أبو يعلى الموصلي برقم (٦٥٧٦) من طريق ابن إسحاق به، وذكر لفظه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء الآخرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا، فلم يزل بها حتى يطلع الفجر، يقول: ألا تائب؟ ألا سائل يعطى؟ ألا داعٍ يجاب؟ ألا مذنب يستغفر فيغفر له؟ ألا سقيم يستشفى فيشفى». لكن في «مسند أبي يعلى» بدون ذكر والد عبيد الله. ولكنها زيادة ثقة، وهو إبراهيم أرفع من ثقة، ويونس وهو ابن بكير: حسن الحديث.

فالحديث حسن. وتصريح ابن إسحاق بالتحديث عن إبراهيم أيضًا عند أحمد والدارمي.

قوله:(وعبد الله بن مسعود):

حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه صحيح، رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٨ و٤٠٣ و٤٤٦)، وأبو يعلى رقم (٥٣١٩)، والآجري في «الشريعة» برقم (٧١٣ و٧١٤)، والدارقطني في «النزول» رقم(٨) كلهم من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ثلث الليل الباقي،

يهبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا، ثم تفتح أبواب السماء، ثـم يبسـط يـده فيقـول: هل من سائل يعطى سؤله، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر».

قوله:(وجبير بن مطعم):

حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه صحيح، رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٨١) برقم (١٦٧٤٥)، والدارمي برقم (١٥٢١)، وأبو يعلى برقم (٧٤٠٨)، وابن خزيمة (١/ ٣١٥-٣١٦)، و الآجري في «الشريعة» برقم (٧١٥) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله عز وجل في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له، حتى يطلع الفجر». حديث صحيح.

قوله:(وجابر بن عبد الله):

حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ضعيف جدًا، رواه ابن خزيمة في «التوحيد» رقم (١٩١)، والدارقطني في «النزول» برقم (٦) عقب حديث ذكراه لأبي سعيد وأبي هريرة، ثم ذكراه من رواية محاضر قال: قال الأعمش: وأرى أبا سفيان ذكره عن جابر أنه قال: ذلك في كل ليلة. وحديث أبي هريرة وأبي سعيد، سيأتي إن شاء الله تلو هذا الحديث.

وحديث جابر في «صحيح مسلم» رقم (٧٥٧) من طريق جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل

لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة».

وليس فيه ذكر النزول، وجرير أرجح من محاضر، فذكر النزول في حديث جابر يعتبر شاذًا في هذه الطريق.

وروى حديث جابر الدارقطني في «النزول» برقم (٧)ومن طريقه عبد الغني المقدسي في الترغيب في الدعاء برقم (٣٠): أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا الثلث الآخر، فيقول: ألا عبد من عبادي يدعون فأستجيب له، أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مقتر عليه فأرزقه، ألا مظلوم يستنصر فأنصره، ألا عان يدعوني فأفك عنه، فيكون ذلك مكانه حتى يصلي الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه».

وإسناده ضعيف جدًا. فيه عبدالله بن سلمة بن أسلم، وتصحف عند الدارقطني ، سلمة إلى مسلمة ، وهو خطأ ، وقد ضعفه الدارقطني وغيره وقال أبو نعيم : متروك ؛ كما في الميزان.

ومحمد بن إسماعيل الجعفري، قال أبو حاتم: منكر الحديث كما في «الميزان».

قوله:(وأبو سعيد الخدري):

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، رواه مسلم (١/ ٥٢٣) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث

الليل الأول، نزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر».

قوله:(وعمرو بن عبسة):

حديث عمرو بن عبسة منقطع، رواه أحمد (٤/ ٣٨٥)، وعبد بن حميد في المنتخب برقم (٢٩٧)، والدارقطني في النزول برقم (٦٦، ٦٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٧٦١).

من طريق: يزيد بن هارون شيخ الإمام أحمد، وعبد بن حميد، عن حريز بن عثمان عن سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة، فذكره ضمن حديث طويل، وتصحف سليم بن عامر عند الدارقطني إلى: سليمان بن عامر، وهو خطأ.

وقد تابع يزيد بن هارون عبدالرحمن بن النعمان عند اللالكائي، والدارقطني،ويحيى بن أبي بكير عند الدارقطني، وعند اللالكائي يحيى بن أبي كثير، ولعل الصواب ما عند الدارقطني.

وخالفهم: إبراهيم بن خالد الكلبي عند ابن عبدالبر في التمهيد (٤/ ١٤-١٥)، فزاد: (عن أبي أمامة) بين سليم بن عامر وعمرو بن عبسة، وإبراهيم بن خالد يعتبر شاذًّا، فرواية الجماعة أرجح، وهي رواية سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة، وهي منقطعة، فقد قال أبو حاتم كما في المراسيل لابنه رقم (١٣١): سليم بن عامر لم يدرك عمرو بن عبسة. اهـ

قوله:(وأبو الدرداء):

حديث أبي الدرداء منكر، رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٣٩)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٩٣)، وابن خزيمة في التوحيد برقم (١٩٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٧٥٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية برقم (٢١).

من طريق: الليث بن سعد عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء، فذكره.

وزيادة بن محمد منكر الحديث، وقد قال ابن الجوزي عقب الحديث: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد لم يتابع عليه أحد اهـ.

فالحديث منكرٌ، من حديث أبي الدرداء، وقد صح عن غيره.

قوله:(وعثمان بن أبي العاص):

حديث عثمان بن أبي العاص ضعيف، رواه أحمد (٤/ ٢٢) و (٤/ ٢١٧)، والبزار كما في كشف الأستار برقم (٣١٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٠٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٢١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٨٣٧٣)، وفي الدعاء برقم (١٣٧).

من طريق: علي بن زيد عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص، قال: قال رسول الله ﷺ.. فذكره.

وقال البزار عقبه: لا نعلمه عن عثمان بن أبي العاص إلا بهذا الإسناد. اهـ

وعلي بن زيد هو: ابن جدعان، ضعيف، والحسن لم يسمع من عثمان بن أبي العاص.

وقد رواه الطبراني في الدعاء برقم (١٤٠) من طريق: عدي بن الفضل عن علي بن زيد عن الحسن عن كلاب بن أمية عن عثمان، فذكره.

ولا يزال يدور على: علي بن زيد، وعدي بن الفضل متروك، وكلاب بن أمية أبو هارون الليثي ترجمه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٢٧١-٢٧٥)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا؛ فهو مجهول حال.

قوله:(ومعاذ بن جبل):

حديث معاذ بن جبل ضعيف، رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٥١٢)، وابن حبان كما في الإحسان برقم (٥٦٦٥)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩١).

من طريق: ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ، قال: «**يطلع الله على خلقه ليل النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا مشرك، أو مشاحن**».

وسقطت: (عن أبيه) من السنة لابن أبي عاصم.

ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٢٠٥)، من طريق: ابن ثوبان، حدثني أبي عن مكحول عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ، فذكره.

وعبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان ضعيف، ولعل هذا الاختلاف منه لضعفه، ومكحول هو الشامي أبو عبدالله، يرسل ويدلس، وهو من الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وقد عنعن.

فحديث معاذ ضعيف.

قوله:(وأم سلمة زوج رسول الله ﷺ):

حديث أم سلمة ضعيف،قال اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٧٦٧):

أخبرنا علي بن محمد بن عمر أنبأنا عبدالرحمن بن أبي حاتم، أخبرنا العباس بن زيد، أخبرنا مروان بن إسحاق، أخبرنا محمد بن أبي إسماعيل، عن خيثمة بن

عبدالرحمن، عن أم سلمة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل عرفة ملائكته...**» الحديث.

وفيه علتان:

خيثمة بن عبدالرحمن يرسل، وقد عنعن.

وشيخ اللالكائي : علي بن محمد بن عمر،مترجم في ذكر أخبار أصبهان (٢/ ١٦) وهو ثقة. والعباس بن يزيد صدوق يخطئ.

ورواه اللالكائي برقم (٧٦٨) من وجه آخر من طريق أبي صالح عن أم سلمة، قالت: نعم اليوم يوم ينزل الله فيه...، أي: موقوفًا.

وشيخ اللالكائي محمد بن أحمد بن علي بن حامد ترجمته في سير أعلام النبلاء(١٨/ ٦٠٠-٦٠١)، وغيرها، ولم أر فيه تعديلًا سوى أنهم ذكروا أنه إمام في القراءة.

والدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٨٧) من عقائد السلف.

من طريق: أبي عوانة عن مغيرة، عن عاصم بن أبي النجود، قال: قالت أم سلمة:...، فذكره. ومغيرة هو: ابن مقسم الضبي، ثقة متقن، إلا أنه كان يدلس، من الثانية، لكن الأثر حسن بمجموع الطريقين، أما المرفوع عن أم سلمة، فضعيف.

قوله:(وخلق سواهم):

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٣٠):

وحديث النزول رواه أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وعمرو بن عبسة، ورفاعة بن عرابة الجهني، وعثمان بن أبي العاص، وعبد الحميد بن سلمة عن أبيه، عن جده، وأبي الدرداء، ومعاذ بن جبل، وأبو ثعلبة الخشني، وعائشة أم المؤمنين، وأبو موسى الأشعري، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، ولقيط بن عامر العقيلي، وعبدالله بن عباس، وعبادة بن الصامت، وأسماء بنت يزيد، وأبو الخطاب، وعوف بن مالك، وأبو أمامة الباهلي، وثوبان، وأبو حارثة، وخولة بنت حكيم رضي الله عنهم. اهـ كلامه.

وروايات هؤلاء بعضها في النزول إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وبعضها في النزول مطلقًا، كحديث معاذ، وأم سلمة الذين ذكرهما المؤلف هاهنا.

وللدارقطني كتاب النزول، ولشيخ الإسلام كتاب شرح حديث النزول .

قوله:(ونحن مؤمنون بذلك، مصدقون من غير أن نصف له كيفية، أو نشبهه بنزول المخلوقين):

بل نؤمن بذلك على مراد الله سبحانه، وعلى ما يليق به تعالى.

قوله:(وقد قال بعض العلماء: سئل أبو حنيفة عنه –يعني عن النـزول– فقـال: ينزل بلا كيف):

ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٨٠)، قال:

وقرأت بخط الأستاذ أبي عثمان -رحمه الله- في كتاب الدعوات عقيب حديث النزول، قال الأستاذ أبو منصور -يعني الحمشاذي- على إثر الخبر: وقد اختلف العلماء في قوله: «**ينزل الله**» فسئل أبو حنيفة عنه فقال: ينزل بلا كيف. اهـ

قوله:(وقال محمد بن الحسن الشيباني -صاحبه-(١): الأحاديث التي جاءت أن الله يهبط إلى سماء الدنيا ونحو هـذا مـن الأحاديـث أن هـذه الأحاديـث قـد روتهـا الثقات، فنحن نرويها، ونؤمن بها، ولا نفسرها):

رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٧٤١)، ومن طريقه ابن قدامة المقدسي في العلو برقم (٩٨)، ومن طريقه الذهبي في العلو (ص١١٣) من طريق عمرو بن وهب يقول: سمعت شداد بن حكيم يذكر عن محمد بن الحسن في الأحاديث التي جاءت، فذكره.

قال الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص١٥٩):

وعمرو بن وهب إن كان الطائفي؛ فمجهول الحال، وإن كان القرشي؛ فقال ابن أبي حاتم (٣/ ٢٦٦) عن أبيه: هو مضطرب الحديث. اهـ

---

(١) أي: محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة.

قوله:(وَرُوِّينَا عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: كنت أنا وأبي عابرين في المسجد، فسمع قاصًّا يقصُّ بحديث النزول، فقال: إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغير حال.

فارتعد أبي - رحمه الله- واصفر لونه، ولزم يدي، (فأمسكته) [١] حتى سكن، ثم قال: قف بنا على (المتخرص) [٢]، فلما حاذاه قال يا هذا، رسول الله أغير على ربه عز وجل منك، قل كما قال رسول الله ﷺ، وانصرف.

قال حنبل: قلتُ لأبي عبدالله -يعني أحمد بن حنبل-: ينزل الله إلى سماء الدنيا. قلت: نزوله بعلمه أو بماذا؟ فقال لي: اسكت عن هذا، مالكَ ولهذا، أمضِ الحديث على ما روي بلا كيف، ولا حد، على ما جاءت به الآثار، وبما جاء به الكتاب):

ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٥٣ برقم ٧٧٧) بدون إسناد.

قوله:(وقال الإمام إسحاق بن راهويه: قال لي الأمير عبدالله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا عز وجل (كل ليلة) [٣] إلى سماء الدنيا»، كيف ينزل؟ قال: قلت: أعزَّ الله الأميرَ، لا يقال لأمر الرب عز وجل كيف؟ إنما ينزل بلا كيف):

---

(١) في (ط): «وأمسكته».

(٢) في (ط): «المتخوض».

(٣) ليس في (خ).

صحيح، رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٥٢ برقم ٧٧٤)، بمعناه من طريق أحمد بن علي الأبار أن عبدالله بن طاهر، قال لإسحاق، فذكره.

والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١٩٤)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٢٤)، من طريق: حمدان السلمي، وأبي داود الخفاف، يقولان: سمعنا إسحاق بن إبراهيم...، فذكره.

وحمدان السلمي هو: أحمد بن يوسف بن خالد أبو الحسن السلمي النيسابوري، المعروف بحمدان إمام مترجم في السير (١٢/ ٣٨٤)، وأبو داود الخفاف لم أر من وثقه سوى ذكر ابن أبي يعلى له في طبقات الحنابلة (١/ ٤٢٤)، لكنه متابع.

فالأثر صحيح.

وقد أورده الذهبي في العلو (ص١٣٢)، والألباني في مختصره (ص١٩٣)، ولم يجد لحامد السلمي ترجمة، وكذا كنت قلت في تحقيق «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»، لم أر له ترجمة، ثم يسر الله بها.

وعبدالله بن طاهر هو: عبدالله بن طاهر بن الحسين أبو العباس الخزاعي، ولي إمرة الشام للمأمون (أحد أمراء بني العباس)، ثم ولي له إمرة خراسان حتى مات، كان أحد الأجواد الممدحين والسمحاء المذكورين توفي سنة (٢٣٠).

راجع تاريخ بغداد (٩/ ٤٨٣)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١١/ ١٥٦).

قوله:(ومن قال: يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو، فقد أتى بقول مبتدع، ورأي مخترع):

هذا القول مما لا دليل عليه إثباتًا أو نفيًا لذا وجب الكف عنه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٦-٣٦٨):

وأما سؤال السائل هل يخلو منه العرش أم لا يخلو منه؟

وإمساك المجيب عن هذا لعدم علمه بما يجيب به؛ فإنه إمساك عن الجواب بما لم يعلم حقيقته، وسؤال السائل له عن هذا إن كان نفيًا لما أثبته الرسول ﷺ فخطأ منه، وإن كان استرشادًا فحسن، وإن كان تجهيلًا للمسؤول فهذا فيه تفصيل:

فإن المثبت الذى لم يثبت إلا ما أثبته الرسول ﷺ ونفى علمه بالكيفية فقوله سديد لا يرد عليه سؤاله، والمعترض الذى يعترض عليه بهذا السؤال اعتراضه باطل، فإن ذلك لا يقدح في جواب المجيب.

وقول المسؤول: هذا قول مبتدع ورأى مخترع، حيدة منه عن الجواب يدل على جهله بالجواب السديد، ولكن لا يدل هذا على أن نفى المعترض لما أخبر به الرسول ﷺ حق، ولا على أن تأويله بنزول أمره ورحمته تأويل صحيح.

ومما يبين ذلك أن هذا المعترض إما أن يقر بأن الله فوق العرش، وإما أن لا يكـون مقرًا بذلك فإن لم يكن مقرًا بذلك كان قوله: هل يخلو العرش منه أم لا يخلو كلامًـا باطلًا؛ لأن هذا التقسيم فرع ثبوت كونه على العرش.

وإن قال المعترض: أنا ذكرت هذا التقسيم لأنفى نزولـه، وأنفـى العلـو لأنـه إن قال: يخلو منه العرش لزم أن يخلو من استوائه عـلى العـرش، وعلـوه عليـه، وأن لا يكون وقت النزول هو العلى الأعلى، بل يكون في جوف العـالم، والعـالم محـيط بـه، وإن قال: إن العرش لا يخلو منه، قيل له فإذا لم يخل العرش منه لم يكن قد نزل، فـإن نزوله بدون خلو العرش منه لا يعقل؟

فيقال لهذا المعترض: هذا الاعتراض باطل لا ينفعك لأن الخالق سبحانه وتعـالى موجود بالضرورة، والشرع، والعقل، والاتفاق، فهـو إمـا أن يكـون مباينًـا للعـالم فوقه، وإما أن يكون مداخلًا للعالم محايثًا وإما أن يكون لا هذا ولا هذا؟

فان قلت: إنه محايث للعالم بطل قولك؛ فإنك إذا جوزت نزوله وهو بذاته في كـل مكان لم يمتنع عندك خلو ما فوق العرش منه، بل هو دائمًا خال منه لأنه هناك لـيس عندك شيء!

ثم يقال لك: وهل يعقل مع هذا أن يكون في كل مكان؟ وأنه مـع هـذا ينـزل إلى السماء الدنيا؟ فإن قلت: نعم، قيل لك: فإذا نزل هل يخلو منه بعـض الأمكنـة أو لا يخلو؟

فإن قلت: يخلو منه بعض الأمكنة، كان هذا نظير خلو العرش منه، فإن قلت: لا يخلو منه مكان، كان هذا نظير كون العرش لا يخلو منه، فإن جوزت هذا كان لخصمك أن يجوز هذا.

فقد لزمك على قولك ما يلزم منازعك، بل قولك أبعد عن المعقول؛ لأن نزوله من هو فوق العالم أقرب إلى المعقول من نزول من هو حال في جميع العالم؛ فإن نزول هذا لا يعقل بحال، وما فررت منه من الحلول وقعت في نظيره، بل منازعك الذى يجوز أن يكون فوق العالم وهو أعظم عنده من العالم وينزل إلى العالم أشد تعظيمًا لله منك.

ويقال له: هل يعقل موجودان قائمان بأنفسهما أحدهما محايث للآخر؟

فإن قال: لا، بطل قوله.

وإن قال: نعم، قيل له: فليعقل أنه فوق العرش، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه العرش، فإن هذا أقرب إلى العقل مما إذا قلت أنه حال في العالم.

وإن قلت: إنه لا مباين للعالم ولا مداخل، له قيل لك: فهل يعقل موجودان قائمان بأنفسهما ليس أحدهما مباينًا للآخر ولا محايثًا له؟

فإن جمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة، فإذا قال: نعم يعقل ذلك، فيقال له: فإن جاز وجود موجود قائم بنفسه ليس هو مباينًا للعالم ولا محايثًا له فوجود مباين للعالم ينزل إلى العالم ولا يخلو منه ما فوق العالم أقرب إلى المعقول،

فإنك إن كنت لا تثبت من الوجود إلا ما تعقل له حقيقة في الخارج فأنت لا تعقل في الخارج موجودين قائمين بأنفسهما ليس أحدهما داخلًا في الآخر ولا محايثًا له.

وإن كنت تثبت ما لا تعقل حقيقته في الخارج فوجود موجودين أحدهما مباين للآخر أقرب إلى المعقول ونزول هذا من غير خلو ما فوق العرش منه أقرب إلى المعقول من كونه لا فوق العالم ولا داخل العالم.

فإن حكمت بالقياس فالقياس عليك لا لك، وإن لم تحكم به لم يصح استدلالك على منازعك به.

وأما قول السائل ليس هذا جوابى بل هو حيدة عن الجواب، فيقال له: الجواب على وجهين:

جواب معترض نافٍ لنزوله، وعلوه.

وجواب مثبت لنزوله وعلوه.

وأنت لم تسأل سؤال مستفت، بل سألت سؤال معترض ناف، وقد تبين لك أن هذا الاعتراض ساقط لا ينفعك، فإنه سواء قيل إنه يخلو منه العرش، أو قيل لا يخلو منه العرش، ليس في ذلك ما يصحح قولك إنه لاداخل العالم ولا خارجه ولا قولك إنه بذاته في كل مكان.اهـ.

والصحيح أنه قول لا دليل عليه؛ كما قرره المؤلف رحمه الله هو الصواب.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: معلوم أن نفي الحركة والانتقال دخول في التكييف ، ونحن ممنوعون من ذلك لعدم علمنا بكيفية صفاته سبحانه وتعالى؛ لأنه عز وجل لم يخبرنا بذلك، ولا رسوله ﷺ.

انتهى من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٥٥) جمع محمد بن سعد الشويعر.

قال شيخ الإسلام في اللامية:

والمؤمنون يرون حقًا ربهم وإلى السماء بغير كيف ينزل

وليس المراد بغير كيف نفي الكيفية، ولكن المراد بغير كيف نعلمه، ولا نخوض فيه.

معطلة النزول:

وقد نفى نزول الرب تبارك وتعالى المعتزلة والجهمية والأشاعرة والماتريدية، واجتمعوا بأنه لو نزل لخلا منه العرش، ولو خلا منه العرش كان العرش والسماوات والأرض فوقه أثناء النزول، وقالوا: يلزم من ذلك أن يكون الله دائمًا نازلًا إلى السماء؟

وقالوا: ثلث الليل الأخير يختلف من بلد إلى بلد آخر، ففي أي ثلث ينزل؟

فهذه ثلاث شبه مدارها أنهم شبهوا نزول الله بنزول المخلوقات.

وكذا قولهم: يلزم من ذلك أن يكون الله دائمًا نازلًا إلى السماء، فهذا هو عين التشبيه الذي تفرون منه بزعمكم، فنزول الله تعالى ليس من جنس نزول العباد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١].

وكما أنه تعالى يحاسب عباده يوم القيامة في ساعة واحدة، ولا يشغله شأن عن شأن، كذا أيضًا في صحيح مسلم برقم (٣٩٥)، وأبي داود برقم (١٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ»، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ: اللهُ تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ: اللهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

فالله يقولها لكل مصل قرأ الفاتحة، وكم عدد المصلين الذين يقولونها، ولا يحصي عددهم إلا الله، وكل واحد يقول الله له ما ذكر في الحديث، ولا يشغله شأن عن شأن. وراجع الفتاوى (٥/ ٤٧٨-٤٨٠).

وكذا نقول: إن الله ينزل، ولا يلزم من نزوله ما قاله أهل البهتان، فاعتبروا يا أولي العرفان.

وأما قولهم: ثلث الليل الأخير يختلف من بلد إلى بلد آخر، ففي أي ثلث ينزل؟

قال الشيخ ابن عثيمين: رحمه الله في شرح الواسطية (ص٤٠٢):

آمِن أولًا بأن الله ينزل في هذا الوقت المعين، وإذا آمنت ليس عليك شيء وراء ذلك لا تقل كيف؟ وكيف؟

بل قل: إذا كان ثلث الليل في السعودية فالله نازل، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل يكون نزول الله أيضًا، وإذا طلع الفجر انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه، فنزوله سبحانه وتعالى لا يقاس بنزول الخلق.

وراجع مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٣و٤١٨).

ونزوله الذي أخبر به رسوله ﷺ إلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم، وإلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم لا يشغله شأن عن شأن.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٣):

وأما من يتوهم أن السماوات تنفرج، ثم تلتحم، فهذا من أعظم الجهل، وإن وقع فيه طائفة من الرجال. اهـ.

وقد اختلف أهل السنة في نزول الرب تبارك وتعالى على أقوال ثلاثة:-

الأول: ينزل الله بذاته، وهو قول أبي القاسم التميمي، وهو من الشافعية، وقول طوائف من أهل الحديث والسنة والصوفية والمتكلمين.

الثاني: لا ينزل بذاته: بمعنى أنه ينزل لكن لا بذاته.

الثالث: ينزل ولا نقول بذاته ولا بغير ذاته، وهو الحق، حيث والمسألة لم يرد فيها دليل إثباتًا، أو نفيًا. انتهى بتصرف من مختصر الصواعق المرسلة(ص ٤٠١).

شبه المعطلة في نفي النزول:

ومن شبه أهل التعطيل في نفي النزول ما يأتي:

الشبهة الأولى: أن ذلك مجاز، وأن المراد بالنزول الإحسان والرحمة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد:٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر:٥]

قالوا: معلوم أن الحديد والأنعام لم تنزل من السماء إلى الأرض.

والجواب:

أولًا: أن المجاز حمار المبتدعة، وليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كلام العرب شيء اسمه مجاز، بل ولا شرع ولا عرف ولا استعمال صحيح.

ثانيًا: أن قولهم: معلوم أن الحديد لم ينزل جرمه من السماء إلى الأرض وكذلك الأنعام يقال له: هذا معلوم لك بالضرورة، أم بالاستدلال؟ ولا ضرورة بذلك.

وأين الدليل على هذا المعلوم؟

ثالثًا: أن الله سبحانه وتعالى لم يقل أنزلنا الحديد من السماء، ولا قال إنه أنزل ثمانية أزواج من الأنعام من السماء إلى الأرض، فقوله: معلوم أن الحديد والأنعام لم تنزل من السماء إلى الأرض.

فلا يخرج النزول عن حقيقته إذ عدم النزول من مكان معين لا ستلزام عدمه مطلقًا.

رابعًا: أن الحديد إنما يكون في المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل: إن كل ما كان معدنه أعلى حديده أجود.

وأما الأنعام فإنها إنما تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال:أنزل ولم ينزل، ثم إن الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض.

خامسًا: أن الإنزال على ثلاث درجات:

أحدها: إنزال مطلق: كإنزال الحديد والأنعام.

ثانيها: إنزال من السماء، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[الفرقان:٨٣].

ثالثها: إنزال منه، كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١].

فالحديد والأنعام تنزلان نزولًا مطلقًا، والقرآن منزل منه تعالى، والماء منزل من السماء، وبهذا يظهر بطلان تلبيس الجهمية والمعتزلة والمعطلة القائلين: أن كون القرآن منزلًا لا يمنع أن يكون مخلوقًا كالماء والحديد والأنعام.

راجع مختصر الصواعق(ص٣٧٨-٣٨١)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص١٨٢).

صفة اليدين

قوله:(ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين: اليدان.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «التقى آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسْجَدَ لك ملائكته، خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال آدم: أنت موسى، كلَّمَكَ الله تكليمًا، وخط لك التوراةَ بيده، واصطفاك برسالته، فبكم وجدت في كتاب الله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾؟ قال: بأربعين سنة. قال: فتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟» قال النبي ﷺ: «**فحجَّ آدم موسى**»):

رواه البخاري برقم (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥)، وقوله: «**خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه**»، ليست عند البخاري في قصة احتجاج آدم وموسى، وهي عند البخاري برقم (٤٧١٢) في قصة طلب الشفاعة، وليس عنده قوله: «**فبكم وجدت في كتاب الله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾؟ قال: بأربعين سنة، وأسجد لك ملائكته**»، وعنده: «**اصطفاك بكلامه**»، بدل: «**كلمك الله تكليمًا**».

قوله:(فلا نقول: يدٌ كيَدٍ، ولا نُكيِّفُ، ولا نُشبِّهُ):

تقدم التمثيل والتكييف وكلاهما محاذير لا تجوز في صفات الرب تبارك وتعالى؛ بل لله تعالى يدان حقيقيتان تليقان به من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

قوله:(ولا نتأوَّلُ اليدين على القدرتين، كما يقول أهل التعطيلِ والتأويل، بل نؤمن بذلك، ونثبت له الصفة من غير تحديد، ولا تشبيه، ولا يصحُّ حملُ اليدين على القدرتين، فإنَّ قدرة الله عز وجل واحدة):

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٢/ ١٥٥):

إنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا﴾[البقرة:١٦٥].

وكقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:٢٠].

وأما أن يقول خلقتك بقدرتين، أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه، ولا كلام رسوله ﷺ.

وأما من وجه الرد عليهم التي ذكرها رحمه الله تعالى:

أنه لو كان المراد باليد النعمة أو القدرة لما كان لآدم فضل على إبليس، ولقال إبليس: وأنا خلقتني بقدرتك أو نعمتك، وأنه على الحقيقة دعوى المجاز مخالفة للأصل، وختم الكلام بقوله رحمه الله:

ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في كثير من مائة موضوع ورود متنوعًا متفرقًا فيه مقرونًا بما يدل أنها يد حقيقة من الإمساك، والطي

والقبض، والبسط، والمصافحة، والحثَيَات، والنفخ باليد، والخلق باليدين، والمباشر بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.

قوله:(ولا على النعمتين، فإنَّ نِعَمَ الله عز وجل لا تُحْصَى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾[النحل: ١٨]):

فلا يصح حمل اليدين على النعمة، واليد وإن كانت قد جاءت في اللغة بمعنى النعمة، إلا أنها لم ترد في الشرع بمعنى النعمة، والأدلة في الباب كثيرة.

قوله:(وكلُّ ما قال الله تعالى في كتابه، وصحَّ عن رسوله بنقل العدل عن العدل، مثل: المحَبَّةِ):

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[آل عمران:٣١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾[المائدة:٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ».

رواه مسلم برقم (٩١).

قوله:(والمشيئةِ):

قال تعالى:﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٢٩].

وقال الله جل في علاه:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ:٣٦].

وقال تعالى:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

وأدلة هذا كثيرة.

الإرادة قسمان:

قوله:(والإرادةِ):

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[الأنعام:١٢٥].

إحداهما: إرادة كونية قدرية مرادفة للمشيئة تمامًا، وتشمل جميع المخلوقات كما في الآية السابقة ، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وهذه الإرادة متعلقة بما يحبه الله وبما لا يحبه، وهذه الإرادة لا بد أن تقع، ولا تتخلف سواء كان فيما يحبه الله كإسلام أبي بكر، أو مالا يحبه ككفر أبي لهب.

الثانية: الإرادة الشرعية الدينية وهي مرادفة للمحبة، وهذه تتعلق بأمر الله تعالى، وقد تقع كإسلام أبي بكر، وقد لا تقع كإسلام أبي لهب؛ فإن الله أراد شرعًا أن يسلم، لكنه لم يسلم، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٦].

وضل في هذا الجبرية والقدرية، حيث سووا بين المشيئة والإرادة.

فقالت الجبرية: الكون كله بقضاء الله وقدره، فجميع ما يحدث في الكون محبوبًا لله ومرضيًا له.

وكذا القدرية النفاة إلا أنهم خالفوهم في المعاصي، فقالوا ما يحدث في الكون ليست محبوبة لله، ولا مرضية له، ولا مقدرة ولا مقضية، وليست بمشيئته تعالى، ولم يخلقها.

وأهل الفهم الصحيح الذين تدبروا الأدلة وجمعوا بينها وهم السلف الصالح وأتباعهم فرقوا بين الإرادتين، فهُدوا سواء السبيل.

قوله:(والضحك):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ».

رواه البخاري برقم(٢٨٢٦)، ومسلم برقم (١٨٩٠) .

وزاد مسلم (٣/ ١٥٠٥): «ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام، ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد».

وفي هذا إثبات صفة الضحك لله تعالى، وهي صفة فعلية خبرية حقيقية ثابتة لله تعالى كما يليق به عز وجل بصحيح سنة رسول الله ﷺ، وإجماع سلف الأمة.

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (٢/ ٥٦٣):

نؤمن بأنه يضحك جل وعلا إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه. اهـ.

قال الشيخ خليل هراس رحمه الله في شرح الواسطية(ص ١١٣):

وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا، أو القبول أن الشيء حل عنده بمحل ما يضحك منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك، فهو نفي لما أثبته رسول الله ﷺ لربه، فلا يلتفت إليه. اهـ.

قوله:(والفرح):

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ».

رواه البخاري برقم (٦٣٠٩)، ورواه مسلم برقم(٤/ ٢١٠٥) مختصرًا.

وذكره مسلم مطولًا برقم (٢٧٤٧) بلفظ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ

وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ».

وجاء نحوه عن عبد الله بن مسعود رواه البخاري برقم (٦٣٠٨)، ومسلم برقم (٢٧٤٤).

وجاء من حديث أبي هريرة برقم (٤/ ٢١٠٢)، والنعمان بن بشير برقم (٢٧٤٥)، والبراء (٢٧٤٦) كلها عند مسلم.

وفيه إثبات صفة الفرح لله تعالى، وهي صفة فعلية خبرية ثابتة لله تعالى بصحيح السنة كما ترى، وإجماع السلف ذكره العثيمين في شرح الواسطية، وشرح اللمعة.

قوله:(والعجب):

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات:١٢].

وهذا في قراءة بضم التاء، وممن قرأ بها حمزة، والكسائي وخلف وعامة قراء الكوفة، كما في المبسوط في القراءات العشر (ص٣١٥)، وتفسير الطبري (٢/ ٢٢-٢٣).

و قرأ عامة قراء المدينة، والبصرة، وبعض قراء الكوفة، بالفتح.

وثبتت عن ابن مسعود عند الحاكم (٢/ ٥٠٥)، والبيهقي (١/ ٤١٥).

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنها قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. اهـ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**».

رواه مسلم برقم (٢٠٥٤).

ورواه البخاري برقم (٣٧٩٨) بلفظ: «ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٠١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ».

والعجب: صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، وفهم السلف الصالح.

والعجب من حيث هو قسمان:

الأول: خروج الشيء عن نظائره، فهذا الذي يثبت لله تعالى، ويتعجب الله منه تعظيمًا لشأنه بخروجه عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم.

الثاني: خفاء أسبابه على المتعجب، فهذا لا يوصف الله تعالى به، والله تعالى لا تخفى عليه خافية.

راجع مجموع الفتاوى (٦/ ١٢٣).

قوله:(والبغض):

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**».

رواه البخاري برقم (٢٤٥٧) ومسلم برقم (٢٦٦٨).

وَعَنِ الْبَرَاءِ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**».

رواه البخاري برقم (٣٧٨٣) ومسلم برقم (٧٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**».

رواه مسلم برقم (٦٧١) .

فالبغض صفة فعلية ثابتة لله تعالى بصحيح السنة وإجماع السلف.

قوله:(والسخط):

السخط صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.

قال الله تعالى:﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:١٦٢].

وقال الله جل في علاه: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[المائدة:٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:٢٨].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

رواه البخاري برقم (٦٥٤٩)ومسلم برقم(٢٨٢٩).

قوله:(والكُرْه):

قال الله تعالى:﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[التوبة:٤٦].

وَعَنِ المغِيرَةَ بنِ شعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ ثَلَاثًا وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ، حَرَّمَ عُقُوقَ الْوَالِدِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَلَا وَهَاتِ، وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المالِ».

رواه البخاري برقم(٢٤٠٨) ومسلم برقم(٥٩٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المَالِ**».

رواه مسلم برقم (١٧١٥).

قوله:(والرضا):

قال الله جل وعلا:﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

وقال الله سبحانه وتعالى:﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[المائدة:١١٩].

وقال تعالى:﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال جل وعلا:﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[البينة:٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**».

رواه مسلم برقم(١٧١٥).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**».

رواه مسلم برقم(٢٧٣٤).

قوله:(وسائر ما صحَّ عن الله ورسوله):

قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاوية (٤٦٣-٤٦٦):

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثباتُ صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية، ترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين.

وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة الاستواء كيف قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

ورُوي أيضًا عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا عليها، ومرفوعًا إلى النبي ﷺ(١).

وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: من لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زلَّ ولم يصب التنزيه.

ويأتي في كلامه: أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل.

فقول الشيخ رحمه الله: لا كأحد من الورى، نفى التشبيه.

ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفيٌ للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده. فقد يحبُّ عندهم ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده.

ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لِمَ تأولتَ ذلك؟

فلابد أن يقول: إن الغضب غليان دمِ القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى! فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب لا أنه الغضب، ويقال له أيضًا: كذلك الإرادة والمشيئة فينا، فهي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلَّا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه، ويزداد بوجوده، وينتقص بعدمه.

---

(١) تقدم الكلام على أثر أم سلمة ومالك.

فالمعنى الذي صرفتَ إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفتَه عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفةٌ للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقةً؟ قيل له: فقل: إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالفٌ لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه؛ لأنك تَسْلَم من التناقض، وتَسْلَم أيضًا من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب؛ فإن صرْف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرامٌ، ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله، إذ العقول مختلفة، فكلٌّ يقول: إن عقله دلَّه على خلاف ما يقوله الآخر.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى، لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لابدّ أن يُثبت شيئًا لله تعالى على خلاف ما يعهده، حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به، ووجود الباري تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته، مثل الحي والعليم والقدير، أو سمى به بعضَ صفاته، كالغضب والرضا، وسمى به بعض صفات عباده: فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى، وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أيضًا معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل أن بين المعنيين قدرًا مشتركًا، لكن هذا

المعنى لا يوجد في الخارج مشتركًا، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد مشتركًا إلَّا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلَّا معينًا مختصًّا.

فيثبت في كل منهما كما يليق به. بل لو قيل: غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة، لم يجب أن يكون مماثلًا لكيفية غضب الآدميين؛ لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دمُ قلب الإنسان عند غضبه فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومَن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحوه ذلك، وقالوا: إنما هي أمور مخلوقة منفصلةٌ عنه، ليس هو في نفسه متصفًا بشيء من ذلك.

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كُلاب ومن وافقه، فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلًا، بل جميع هذه الأمور صفاتٌ لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت. كما قال في حديث «الشفاعة»: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضَبْ قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»(١).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخيرُ في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من**

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧١٢) ومسلم برقم (١٩٤).

خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[١].

فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضوانًا لا يتعقبه سخط.

وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء، بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة، أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذْ لو تعلق بذلك لكان مَحلًّا للحوادث!

فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتيةَ بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقًا بقولهم ليس مَحَلًّا للأعراض.

وقد يقال: بل هي أفعال، ولا تسمى حوادث، كما سميت تلك صفات، ولم تُسَمّ أعراضًا. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى، ولكن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتنِ فيه بترتيب. وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيبُ

---

(١) رواه البخاري برقم(٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»... الحديث(١).

فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم وثم، إلى آخره.

قوله:(وإنْ نبت عنها أسماع بعض الجاهلين):

أي وإن نفرت عنها أسماع بعض الجاهلين، وتركوها.

يقال: نبأت من أرض إلى أرض أخرى إذا خرجت منها.

فهم إنما لم تقبلها أسماعهم لجهلهم وتقصيرهم في علم ومعرفة هذه الأشياء.

قوله:(واستوحشت منها نفوس المعطلين):

قال الأزهري(٥/ ٩٣): الوحش كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس، فهو وحشي اهـ.

والمعنى أن نفوس هؤلاء استوحشت، ولم تأنس أو تطمئن لإثبات هذه الصفات كما أراد الله ورسوله، فنحن نثبتها كما أراد الله ورسوله، وإن نبأت أسماع المتكلمين الجاهلين المعطلين، وإن لم يأنسوا لذلك، فليسوا على شيء، ولا يُعَوَّل عليهم.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩و١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه مسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه.

صفة النفس

قوله:(ومما نطق بها القرآن، وصحَّ بها النقل من الصفات: النفس. قال الله عز وجل إخبارًا عن نبيه عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦].

وقال عز وجل: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقال عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه:٤١]):

قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ﴾ هي بمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾[طه:١٣].

قال القاسمي في محاسن التأويل (١١/ ١٦٥):

والاصطناع افتعال من الصنع بمعنى الصنيعة يقال: اصطنع الأمير فلانًا لنفسه أي جعله محلًا لإكرامه باختياره، وتقريبه منه، بجعله من خواص نفسه اهـ.

وفي هذه الآيات إثبات النفس لله تعالى، وكذا قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:٣٠].

قوله:(وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم، وإن اقترب إليَّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إليَّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإنْ أتاني يمشي أتيته هرولة»):

رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥)، وهذا لفظه.

قال الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٢٦٣):

أي إن ذَكَرَ ربه سرًا في نفسه، فإن الله يذكره في نفسه من غير اطلاع أحد من خلقه على ذلك.اهـ.

والملأ: هم الجماعة.

وقوله: خير، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/ ٦٥):

يعني الملائكة المقربين.

وقوله: منهم، قال: أي من ملأ الذاكرين. اهـ.

وهذا الدليل من أقوى الأدلة لمن قال بأن الملائكة أفضل صالحي بني آدم.

قلت: ولا يلزم كون هؤلاء الملأ خير من ملأ بعينه، أن الملائكة أفضل من صالحي بني آدم في الجملة.

قال الحافظ في الفتح(١٣/ ٤٧٣):

إن الذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة على صالحي بني آدم هم الفلاسفة، ثم المعتزلة، وقليل من أهل السنة من أهل التصوف، وبعض أهل الظاهرية، وجمهور أهل السنة أن صالحي بني آدم أفضل. اهـ بتصرف.

قلت: ليس أهل التصوف من أهل السنة، إلا إن عنى الحافظ مَنْ كان زاهدًا من المتقدمين، وهو من أهل السنة، فأمر آخر، على أن الأفضل تحاشي هذا.

قوله:(وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابٍ، فكتبه على نفسه، فهو موضوع عنده على العرش: إنَّ رحمتي تغلب غضبي**»):

رواه البخاري برقم (٧٤٠٤)، ومسلم برقم (٢٧٥١).

ومن الأدلة أيضًا على إثبات النفس حديث أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا... » الحديث.

رواه مسلم برقم(٢٥٧٧).

وحديث عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَيْلَةً مِنَ الفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ:«اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

رواه مسلم (٤٨٦)، والأدلة كثيرة.

وصفة النفس ثابتة لله تعالى كما ترى بالكتاب والسنة، وقد اختلف الناس في النفس على ثلاثة أقوال:

الأول: أن نفسه تبارك وتعالى هي ذاته المتصفة بصفاته، وهذا مذهب جمهور العلماء، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الثاني: أن النفس من صفات لله تعالى وأنها صفة الذات، وهذا ظاهر صنيع ابن خزيمة في التوحيد (١/ ١١) حيث قال:

فأول ما نبدأ به من ذكر صفات، خالقنا جل و علا في كتابنا هذا ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعز أن يكون عدمًا لا نفس له.

وسرد الأدلة على إثبات صفة النفس.

وقول ابن خزيمة: وعز أن يكون عدمًا لا نفس له يرد بها على الذين ينفون الصفات عن الله؛ لأنهم يجعلونه بهذا معدومًا.

ومن أصحاب هذا القول الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف الفارسي الشيرازي في كتابه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات.

راجع مجموع الفتاوى (٥/ ٧١-٧٣).

الثالث: أن نفس الله ذاتًا مجردة عن الصفات، وهو قول أهل التعطيل.

راجع مجموع الفتاوى(٩/ ٢٩٢-٢٩٣).

والحق من هذا هو القول الثاني، وبه أيضًا قال البغوي في شرح السنة (١/ ١٦٨)، وابن قدامة في لمعة الاعتقاد، والمصنف هنا وهو الموافق لمنهج السلف الصالح، وعليه ظواهر الأدلة ولا حاجة للتأويل.

رؤية الله تعالى

قوله:(**وأجمع أهل الحقِّ**):

اتفق أهل السنة والجماعة.

قوله:(**واتفق أهل التوحيد والصدق**):

أي ومما انعقد عليه الإجماع، وهو: اتفاق مجتهدي الأمة على أمر ديني من الموحدين، وهم الذين وحدوا الله حق توحيده، وطبقوا توحيد الله، وهو قسمان:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات، ويشمل توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

الثاني: توحيد القصد والطلب، وهو توحيد الألهية والعبادة.

راجع فتح المجيد (ص١٧).

وهؤلاء هم الصادقون في اتباعهم، وصحة اعتقادهم؛ لتحريهم صدق فعلهم ما أمرهم به الله تعالى، أو رسوله ﷺ.

قوله:(**أن الله تعالى يُرى في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصحَّ عن رسوله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[القيامة:٢٢-٢٣]):

الشاهد في الآية الثانية، أما الآية الأولى فالمراد بهاء الوجوه؛ فالنضارة البهاء والحُسْن، ومنه قول رسول الله ﷺ: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي، فحفظها، ووعاها، وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**».

رواه أحمد (١/ ٤٣٧)، والترمذي برقم (٢٦٥٧و٢٦٥٨)، وابن ماجه برقم (٢٣٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

وجاء من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، وأبو داود برقم (٣٦٦٠)، والترمذي برقم (٢٦٥٦)، وابن ماجه برقم (٢٣٠و٤١٠٥).

وهو حديث صحيح.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، قال: النظر إلى وجه الله تعالى.

حسن، رواه الآجري في الشريعة برقم(٥٨٩).

وعن حذيفة في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، قال: النظر إلى الله تعالى.

حسن، رواه الآجري في الشريعة برقم(٥٩١).

وعن الحسن في قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢]، قال: النضرة: الحسن، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٣]، قال: نظرت إلى ربها عز وجل فنضرت لنوره.

صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٤٧٩)، والآجري في الشريعة برقم(٥٨٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٨٠٠).

وعن عكرمة في قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢]، قال: من النعيم، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٣]، قال: تنظر إلى ربها عز وجل نظرًا.

حسن، رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٤٨١) والآجري في الشريعة برقم(٥٨٦).

قوله:(**وروى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: كنَّا جلوسًا ليلة مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلةَ أربع عشرة، فقال: «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، فافعلوا»، ثم قرأ:** ﴿(وَسَبِّحْ)[1] بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[قٓ:٣٩]):

رواه البخاري برقم (٤٨٥١)، وهذا لفظه، ومسلم برقم (٦٣٣)، وليس عنده «**ليلة**»، وعنده: «**ليلة البدر**»، بدل: «**ليلة أربعة عشر**»، وعنده قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، بدل الآية التي ذكرها المؤلف، والبخاري في سورة [ق].

تنبيه: الذي قرأ الآية هو: جرير، كما بينه مسلم.

قوله :(**وفي روايةٍ: «سترون ربَّكم عيانًا»**):

هذه اللفظة شاذَّة، وقد رواها البخاري في الصحيح برقم (٧٤٣٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤١٣ برقم ٢٤٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٣٠ برقم ٤١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠١برقم٤٦١)، والطبراني في الكبير (٢/ ٢٩٦) برقم (٢٣٣)، وابن منده في الإيمان (٢/ ٧٨٣ برقم ٨٠٠)، واللالكائي

---

(١) في أصول(ط) وفي (خ): «فسبح» وهو خطأ.

في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٥برقم٨٢٥)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٨)، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٣٨).

كلهم من طريق أبي شهاب عن إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير...، فذكره.

وقال الطبراني عقبه: في هذا الحديث زيادة لفظة قوله: «**عيانًا**» تفرد بها أبو شهاب، وهو حافظ متقن من ثقات المسلمين. اهـ

ونقل كلامه الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٢٧).

وأبو شهاب هو: عبد ربه بن نافع الكناني الحناط، أبو شهاب الأصغر، قال الحافظ في التقريب: صدوق يهم.

وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة عند ابن منده (٢/ ٧٨٣ برقم ٧٩٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٥ برقم ٨٢٦)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٨) بلفظ: «**إنكم ستعاينون ربكم**».

وهذان الراويان قد خالفا أكثر من ستين راويًا.

قال الحافظ -رحمه الله- في الفتح (١٣/ ٤٢٧): وذكر شيخ الإسلام الهروي في كتابه الفاروق: أن زيد بن أبي أنيسة رواه أيضًا عن إسماعيل بهذا اللفظ، وساقه من رواية أكثر من ستين نفسًا، عن إسماعيل بلفظ واحد كالأول. اهـ

قلت: وقد سرد بعضهم ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٤٠٧-٤١٢)، فراجعه إن شئت.

فلفظة: «**عيانًا**» شاذة.

لكن الأدلة تدل على أن الرؤية بالأبصار، بوضوح وجلاء.

ومن رد هذا الحديث فهو جهمي، قال وكيع:

من طعن في حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير فهو جهمي.

رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٤١٨) وعلقه البخاري في خلق أفعال العباد برقم (٢٥) وهو حسن.

ويعني وكيع حديث الرؤية هذا.

ورية الله تعالى يوم القيامة في موضعين؛ الأول هذا الموضع وهو في عرصات القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِم اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِم**

اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُم السَّعْدَانَ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُم المؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُم المجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِن الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الملَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِن النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِن ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِن النَّارِ وَقَد امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِن الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ. ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا

أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ. وَيَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِن الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ. فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

رواه البخاري برقم (٨٠٦) ومسلم برقم (١٨٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا».

ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ **فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ**، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا،فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، **وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؟ فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ**».

رواه البخاري برقم (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

ويروى الحديث «تضارون»: أي لا يلحقكم ضرر.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٣/ ٢٠):

قوله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر»، وفى الرواية الأخرى: «هل تضامون»، وروى تُضارُّون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه، كما تفعلون أول ليلة من الشهر.

ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير، وهو الضرر.

وروى أيضًا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب.

قال القاضي عياض رحمه الله: وقال فيه بعض أهل اللغة تضارون أو تضامون بفتح التاء وتشديد الراء والميم، وأشار القاضي بهذا إلى أن غير هذا القائل يقولها بضم التاء سواء شدد أو خفف، وكل هذا صحيح ظاهر المعنى، وفي رواية للبخاري لا تضامون أو لا تضارون على الشك، ومعناه لا يشتبه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضًا في رؤيته. والله أعلم.

قوله: ﷺ: «فإنكم ترونه كذلك» معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف.

وراجع الاعتقاد للبيهقي (ص١٣٦-١٣٧) والنهاية لابن الأثير (٣/ ١٠١).

قوله:(**وروى صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنـةَ نُـودُوا: يـا أهل الجنة، إنَّ لكم عند الله موعدًا لم تروه، فيقولون: مـا هـو؟ ألم يبـيض وجوهنـا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليـه، قـال: فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إليـه»**، ثـم تـلا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]. **رواه مسلم**):

رواه مسلم برقم (١٨١).

وهذا الموضع الثاني الذي يُرى الله تعالى فيه وهو في الجنة.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

رواه البخاري برقم(٤٨٧٨) ومسلم برقم(١٨٠).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

رواه البخاري برقم(٦٥٤٩) ومسلم برقم(٢٨٢٩).

قوله:(**وقال مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه : الناس ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم يوم القيامة**):

صحيح، رواه الآجري في الشريعة (٢/ ٩٨٤ برقم ٥٧٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٥٠١ برقم ٨٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦).

قوله:(**وقال أحمد بن حنبل: من قال: إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر**):

رواه الآجري في الشريعة(٢/ ٩٨٦ برقم ٥٧٧)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٣)، وفي سنده الفضل بن زياد القطان، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦٣)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٥١-٢٥٣)، ولم يذكرا فيه

جرحًا ولا تعديلًا، إلا قول الخلال الذي ذكره الخطيب، والفضل بن زياد من المتقدمين عند أبي عبدالله -يعني أحمد بن حنبل-، وكان أبو عبدالله يعرف قدره ويكرمه، ويصلي بأبي عبدالله. اهـ

وعلى كل فالأثر لم يثبت؛ فإن الخطيب قال: حُدِثْتُ عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي، قال: أخبرنا الخلال... فذكره.

شبهة وجوابها:

استدل المانعون للرؤية بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:١٤٣].

ومذهب أهل السنة والجماعة بأجمعهم أن رؤية الله ممكنة غير مستحيلة عقلًا[1]، ولذلك سأل موسى ربه أن يراه؛ فلو كانت الرؤية مستحيلة لما سأل ربه ذلك، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية(ص ١٩١-١٩٢):

فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

---

(١) راجع شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٨).

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سال نوح ربه نجاه ابنه أنكر سؤاله وقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] (١).

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣]، ولم يقل إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعامًا، فقال أطعمنيه، فالجواب الصحيح أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا، وذلك ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كان محالًا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل، وأشرب، وأنام، والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[الأعراف:١٤٣]، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله،

---

(١) الآية قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود:٤٦].

وأوليائه في دار كرامته، ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى، وناداه، وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما!

وأما دعواهم تأييد النفي بـ«لن» وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد فإنها لو قيدت بالتأييد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف اذا أطلقت؟ قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة: ٩٥]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾[يوسف: ٨٠].

فثبت أن «لن» لا تقتضى النفي المؤبد، قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا　　　فقوله اردد وسواه فاعضدا

قوله: (وما ذكر أهل الكلام في «مسألة الرؤية» من نفي جهة ومقابلة، واتصال شعاع، وقرب وبعد، وما يتصل بهذا، فليس في ذلك كله نص من الشارع، ولم يتفوه به أحد من سلف الأمة وأئمتها، وإنما أحدثه المتكلمون المتخبطون في براهين الفلاسفة، فمن طواه على غره):

أي: أعرض عنه ولم يلتفت إليه على أول أمره.

قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٣٥٤): وغرة كل شيء: أوله. اهـ

وهذا هو الواجب تجاه تحريفات المحرفين وتأويلا ت المتكلفين، فكما هو الواجب الإعراض عن أهل البدع بجميع صورهم وأشكالهم فكذلك كلامهم، وإلا لم يُعرض عنهم !

قوله:(فقد أحسن واتبع، ومن خاض فيه بعقله الناقص، فقد أبعد وابتدع):

أي من أعرض عن كلامهم وافق الحق وقبله؛ فلذلك صار متبعًا للحق فأحسن باتباع الحق.

ومن قبل كلامهم ودخل فيه بعقله القاصر، عارض الأدلة ورد الحق فأبعد وأبعد عن طريق الحق فصار مبتدعًا نسأل الله العافية.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٢٢):

واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه الشفا اختلاف الصحابة، ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها هل رأى محمد ربه؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب.

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود، وأبي هريرة، واختلف عنه.

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين، والفقهاء، والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ رآه بعينه، وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه.

ثم ذكر أقوالًا وفوائد، ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع، ولا نص، والمعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق؛ فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذا لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه.اهـ.

قلت: أما إنكار عائشة فثابت في الصحيحين؛ عند البخاري برقم (٤٨٥٥) ومسلم برقم (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ! أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[الشورى:٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ.

وأما أثر ابن عباس فالصريح منه عند ابن خزيمة (٢٧٥-٢٧٩) وقال العلامة الألباني في تخريج الطحاوية (ص١٩٧): ضعيف أخرجه ابن خزيمة في التوحيد بألفاظ مضطربة عنه موقوفًا.

قال ابن كثير في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[النجم:١١]، بعد أن ذكر أثر ابن عباس الذي رواه مسلم برقم (١/ ١٥٨) قال: رآه بفؤاده مرتين.

قال: وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب؛ فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم، وقول البغوي في تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة، وفيه نظر، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٠٨) شرح حديث عائشة برقم (٤٨٥٥): وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب.اهـ.

قلت وقد ورد أيضًا عن أنس القول بالرؤية عند ابن خزيمة برقم (٢٨٠)، وهو ضعيف في سنده عبد الرحمن بن عثمان البكراوي، ضعيف.

فالراجح ما تقدم نقله عن ابن كثير أنه لا يصح عن الصحابة خلاف في الرؤية البصرية، وإن ورد عن غيرهم فلا عبرة به مع إجماعهم، وقد ذكر القاضي عياض في

الشفا (١/ ٣٧٥-٣٨٨) جملة القائلين بالقولين، فالراجح الرؤية القلبية (بفـؤاده)، وهو الذي لم يختلف الصحابة فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى(٢/ ٢٣٠):

وفي رؤية النبي ﷺ ربه كلام معـروف لعائشـة وابـن عبـاس، فعائشـة أنكـرت الرؤية وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال رأى محمد ربه بفؤاده مـرتين، وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره أنه أثبت رؤيته بفؤاده، وهـذا المنصـوص عـن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عـن أحمـد وغـيره مـن أئمـة السـنة، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا، كما لم يثبت عن أحد منهم إنكـار الرؤية في الآخرة. اهـ

وأما الرؤية البصرية في الدنيا فلا دليل على ذلك، ولم يقل بـه أحـد مـن الصـحابة ولا من الأئمة المشهورين.

وانظر جامع المسائل (١/ ١٠٥) والله أعلم.

والحديث السابق يدل أن رؤية الله تعالى منامًا ممكنة، وغير مستحيلة.

أقسام الناس في رؤية الله تبارك وتعالى:

انقسم الناس في رؤية الله تبارك وتعالى إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الذين أثبتوا رؤية الله تبـارك وتعـالى في الـدنيا والآخـرة، وهـم الصوفية.

الطائفة الثانية: الذين أنكروا رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة، وهم والخوارج والجهمية النفاة والمعتزلة والإمامية.

وهاتان الطائفتان على طرفي نقيض وكلاهما أهدر الأدلة من جانب وأخذ بها من جانب آخر.

الطائفة الثالثة: الذين أخذوا بالأدلة من جوانبها جميعًا وهم أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: إن الله يُرى في الآخرة لا في الدنيا، وهذا ما دلت عليه الأدلة بل إجماع من يعتبر به على هذا.

قال النووي في شرح مسلم (٣/ ١٨):

اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً.

وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين.

وزعمت طائفة من أهل البدع: المعتزلة، والخوارج، وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً.

وهذا الذي قالوه خطأ صريح، وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيًا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة. اهـ.

وانظر شرح الطحاوية (ص١٨٩).

صفة الكلام

قوله:(**من مذهب أهل الحق**):

أي ومن اعتقاد أصحاب الحق؛ وهم أصحاب الحديث والسنة، وإن شئت قلت أهل السنة والجماعة، أو الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أو السلفيون، كل هذه الألقاب والمسميات لطائفة واحدة، ومسمى واحد، وهم من نصر الحق، ودافع عنه، وذب عنه، وسار عليه شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم تلعب بهم الأهواء، أو تعصف بهم الفتن، فلله درهم، وجعلنا منهم، ولا خير فينا إن لم نكن منهم، ونسأل الله أن يحشرنا في زمرتهم.

قوله: (**أن الله عز وجل لم يزل متكلمًا**):

الكلام صفة فعلية ذاتية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

والكلام في اللغة: اسم لكل ما يتكلم به مفيدًا كان أو غير مفيد.

انتهى شرح ابن عقيل.

وفي اصطلاح النحويين قال ابن مالك: كلامنا لفظ مفيد كاستقم.

أي هو اللفظ المفيد، واللفظ: هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية.

والمراد بالمفيد: دل على معنى يحسن السكوت عليه.

راجع أوضح المسالك(١/ ١١).

والمتكلم اسم فاعل من التكلم، وهو مَن قامت به صفة الكلام فبها صار متكلمًا.

والله سبحانه وتعالى متكلم ولا زال كذلك؛ ولذا وصف بأنه متكلم.

ومن الأدلة على كلام الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ﴾ [الفتح:١٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ [التوبة:٦].

وروى البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى -ثَلَاثًا-».

وروى أحمد برقم (١٥١٩٢)، وأبو داود برقم (٤٧٣٤) وغيرهما عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، فَقَالَ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟»، فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ قَالَ: «فَهَلْ عِنْدَ

قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَحْقِرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: آتِيهِمْ، فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ قَالَ: «نَعَمْ»، فَانْطَلَقَ، وَجَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ.

هذا حديث صحيح.

قوله: (كلام مسموع):

فالكلام الذي يسمع بقراءة القرآن هو كلام الله، وهو مسموع بالآذان حاشا الصوت، فهو صوت القارئ.

فالكلام المسموع بقراءة القرآن كلام الباري، والصوت صوت القاري، الدليل على ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم».

رواه ابن حبان كما في الإحسان برقم (٤٥٠) وهو حسن.

وعند أبي داود برقم (١٤٦٨) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

هذا حديث صحيح.

فأضاف رسول الله ﷺ الأصوات للقراء؛ لأنها مكتسبة لهم، وفعلهم بخلاف المقروء فهو كلام الله.

قوله: (مفهوم):

أي واضح أنه كلام حقيقي يفهمه كل عربي؛ لأنه نزل بلغة العرب (أعني القرآن)، وكذا التوراة نزلت بالعبرانية يفهمها أهل هذه اللغة وهكذا.

قوله: (مكتوب):

أي في اللوح المحفوظ، وفي المصاحف ينسخه الناسخون، ويطبعه الطابعون بآلاتهم، وهو في الحقيقة كلام الله تعالى.

قوله: (قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤]):

قال الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ٢٦٥):

قال أحمد بن يحيى في قول الله: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾: لو جاءت كلم الله موسى مجردة لاحتمل ما قلنا، وما قالوا، يعني المعتزلة، فلما جاءت: (تكليمًا) خرج الشك الذي يدخل في الكلام، وخرج الاحتمال للشيئين.

والعرب تقول إذا ووكد الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغوًا، والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك. اهـ.

قوله: (**وروى عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر أيمن منه فلا ينظر إلا شيئًا قدَّمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئًا قدمه، ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار، ولو بشق تمرة، فليفعل»**):

رواه البخاري برقم (٦٥٣٩) ومسلم برقم (١٠١٦).

قوله: (**روى جابر بن عبد الله قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام، قال رسول الله ﷺ: «يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟» قال: بلى. قال: «وما كلَّم اللهُ أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا، قال: يا عبدالله، تمنَّ عليَّ أعطيك. قال: يا**

رب، تحييني فأقتل فيك ثانية. قال: إنه سبق مني (أنهم)[1] إليها لا يرجعون. قال: فأبلغ من ورائي. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران:١٦٩] ».

رواه ابن ماجه):

حسن، رواه الترمذي برقم (٣٠١٠) وابن ماجه رقم (١٩٠) والدارمي في الرد على الجهمية (ص٧٤) وابن أبي عاصم برقم (٦١٥) والبغوي في تفسيره (١/ ٣٧٠) وابن خزيمة في التوحيد رقم (٥٩٩) وابن حبان كما في الإحسان رقم (٧٠٢٢) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٣-٢٠٤) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩٨-٢٩٩) والواحدي في أسباب النزول (ص١١٠)، والأصبهاني في الحجة (١/ ٣٩٤).

من طريق موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال: سمعت طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي ..فذكره،قال وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا ﴾[آل عمران:١٦٩].

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم.

وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد.

---

(١) ليس في (خ).

وقلت: هو حسن فإن موسى بن إبراهيم قد روى عنه جماعة منهم ابن المديني وهو ممن اشترط ألا يروي إلا عن ثقة.

وقوله: «كفاحًا» قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ١٨٥):

أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

القرآن كلام الله

قوله: **(والقرآن كلام الله عز وجل، ووحيه):**

الوحي لغة: الإعلام في خفاء.

وشرعًا: الإعلام بالشرع، كما في فتح الباري(١/ ١٢).

ومعنى القرآن في وحي الله: أي كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ.

أقسام الوحي الشرعي:

والوحي الشرعي أقسام:

الأول: تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب كما حصل لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]، وقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[الشورى:٥٢].

الثاني: الوحي العام أو القذف في القلب؛ بأن يلقي الله، أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد مع تبقية أن ما ألقى إليه من قبل الله تعالى كما في حديث أبي أُمامة مرفوعًا «إن روح القدس نفث في روعي».

ومعنى نفث في روعي: أي أوحى إليَّ وحيًا خفيًا.

والروع قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٢٧٧): أي في نفسي وخلدي.

الثالث: الرؤيا في المنام، فرؤيا الأنبياء وحي كما في صحيح البخاري برقم(٣)، ومسلم(١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ:« مَا أَنَا بِقَارِئٍ» قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ:« مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ:« مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[العلق:١-٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ.

الرابع: تعليم الأنبياء بواسطة ملك، والمختص بذلك من الملائكة جبريل عليه السلام.

صفة حامل الوحي:

لحامل الوحي ثلاث حالات هي:

الأولى: أن يأتيه في صورته التي خلقه الله عليها، وهذه الحالة نادرة جدًا كما رآه النبي ﷺ في صورته وخلقه سادًّا ما بين الأفق، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ.

رواه البخاري برقم(٣٢٣٤)، ومسلم(١٧٧).

الثانية: أن يأتيه في صورة رجل، كما في حديث عمر الطويل المشهور بحديث جبريل رواه مسلم(٨)، وقد تقدم، والحديث الآتي في الفقرة التالية.

الثالث: أن يأتي على صورته الملكية، وهذا يصحب مجيئه مثل صلصلة الجرس، لما روى البخاري برقم (٢)، ومسلم(٢٣٣٣) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ

يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

قوله:(**وتنزيله**):

قال الله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:١-٣]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وقال تعالى:﴿حم * تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[فصلت:١-٣].

قوله:(**والمسموع من القارىء كلام الله عز وجل، قال الله تعالى:** ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾[التوبة:٦]، **وإنما سمعه من التالي**):

فالكلام الذي يسمع بقراءة القرآن هو كلام الله، وهو مسموع بالآذان حاشا الصوت، فهو صوت القارئ.

فالكلام المسموع بقراءة القرآن كلام الباري، والصوت صوت القاري، لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم».

رواه ابن حبان كما في الإحسان برقم (٤٥٠) وهو حسن.

وعند أبي داود برقم (١٤٦٨) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

هذا حديث صحيح.

فأضاف رسول الله ﷺ الأصوات للقراء؛ لأنها مكتسبة لهم، وفعلهم بخلاف المقروء فهو كلام الله.

قوله:(**وقال الله عز وجل**: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ﴾[الفتح: ١٥]):

هذه الآية في المنافقين، وحيث وعدوا المؤمنين باختصاصهم بغنائم الحديبية دون غيرهم فأراد المنافقون تغير وعد الله للمؤمنين فأرادوا أن يصيبوا منها، قال تعالى:﴿يَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥].

قوله:(**وقال الله عز وجل**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]):

والذكر هو القرآن حفظه الله من التبديل، والتحريف، والتغيير اللفظي إلى قيام الساعة.

قوله:(**وقال عز وجل**: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤]):

أي القرآن منزل من رب العالمين، نـزل بـه والـروح الأمـين، وهـو جبريـل عليـه السلام.

قوله:(**وهو محفوظ في الصدور، كما قال عز وجـل**: ﴿بَـلْ هُـوَ آيَـاتٌ بَيِّنَـاتٌ فِي صُدُورِ الذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[العنكبوت: ٤٩]):

قوله تعالى: ﴿بل هو﴾ أي القرآن كلام الله.

وقوله: ﴿آيات بينات﴾: أي علامات واضحات الدلالة يعرف بها دين الله.

وقوله: ﴿في صدور الذين أتوا العلـم﴾، أي محفوظًـا في صـدور أصـحاب محمـد ﷺ، وكذا يحفظه المسلمون ويقرؤونه.

قوله:(وروى عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**استذكروا القرآن فلهو أشدُّ تَفَصِّيًا من صدور الرجال من النعم من عقله**»):

الحديث رواه البخاري برقم (٥٠٣٢) وليس عنده قولـه (مـن عقلهـا)، ومسـلم برقم (٧٩٠).

وقوله: «استذكروا القرآن»: أي رابِطوا على تلاوته، واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به.

وقوله: اشد تفصيًا أي تفلتًا وتخلصًا.

كما في الفتح (٩/ ١٠٢).

والنعم تشمل الإبل والبقر والغنم، لكن المـراد هنـا الإبـل كـما جـاء بنحـو هـذا الحديث حديث ابن عمر عند البخاري بـرقم (٥٣١)، ومسـلم (٧٨٨)، وحـديث

أبي موسى عند البخاري برقم(٥٠٣٣)، ومسلم(٧٩١) وفي كليهما «الإبل»، فيكون قوله في حديث ابن مسعود النعم عام مخصوص.

قوله:(**وهو مكتوب في المصاحف، منظور بالأعين، قال الله عز وجل: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾[الطور:١-٣]**):

أي وكتاب مكتوب، والمراد به القرآن الكريم.

والرق: هي الصحف التي يكتب فيها.

والمكتوب هو كلام الله، أما الحبر الذي كتب به الكلام فليس بكلام الله.

قال ابن المبارك: الورق والمداد مخلوق، أما القرآن فليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل.

رواه البيهقي في الأسماء والصفات برقم(٥٧١) وهو صحيح.

قوله:(وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[الواقعة:٧٧-٧٩]):

قال القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل (١٦/ ١٩-٢١):

﴿إنه لقرآن كريم﴾ أي له كرم وشرف، وقدر رفيع؛ لاشتماله على أمهات الحِكَم والأحكام، وما ينطبق عليه حاجات الأنام على الدوام، ﴿في كتاب مكنون﴾، أي محفوظ مصون لا يتغير ولا يتبدل، أو محفوظًا عن ترداد الأيدي عليه كغيره من الكتب، بل هو كالدر المصون إلا عن أهله، كما قال: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾... وذكر الأقوال في معنى ﴿المطهرون﴾.

والراجح أن المراد بهم الملائكة: وعلى هذا فيكون الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، وهو الصواب، ودليله أيضًا قوله تعالى:﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عبس:١٢-١٦].

وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير كما في زاد المسير (٧/ ٣٣٧).

وذلك أن الآية في معرض الإخبار الجماعي عن القرآن، ولا يصح حمله على المصحف؛ إذ قد يمسه الكافر وهو نجس.

وأما على القول الثاني: وهو الذي عليه المصنف رحمه الله تعالى، فالمراد بالكتاب المصحف، ففي المطهرين أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور.

الثاني: المطهرون من الشرك، قاله ابن السائب.

الثالث: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: لا يجد طعمه إلا من آمن به، حكاه الفراء.

انتهى زاد المسير (٣٣٧٨-٣٣٨).

وعلى القول الثاني فحمله على المطهر من الشرك أولى؛ لأن المسلم لا ينجس، ويكون خبرًا المراد به النهي.

قوله:(**وروى عبدالله بن عمر، أن النبي ﷺ نهى أن يُسَافَرَ بالقرآنِ إلى أرض العدوِّ مخافةَ أن يناله العدو**):

رواه البخاري برقم (٢٩٩٠)، بدون قوله: «مخافة أن يناله العدو»، فليست عنده، ومسلم برقم (١٨٦٩).

قوله:(**وقال عثمان بن عفَّان رضي الله تعالى عنه : ما أُحِبُّ أن يأتي يوم وليلة حتى أنظر في كلام الله عز وجل. يعني (القرآن)[1] في المصحف**):

رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة برقم (١٢٢).

وهو معضل لأنه من طريق سفيان قال قال عثمان فذكره.

قوله:(**وقال عبدالله بن أبي مليكة: كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه يأخذ المصحف، فيضعه على وجهه، فيقول: كتاب ربي عز وجل، وكلام ربي عز وجل**):

منقطع، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (١١٠) والدارمي في «مسنده» والحاكم (٣/ ٢٤٣) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٢٢٩) والطبراني في «الكبير» (٧/ ١٠١٨) من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال: «كان عكرمة بن أبي جهل يأخذ المصحف فيضعه على وجهه وهو يقول كلام ربي كلام ربي عز وجل». وهو منقطع لأن ابن أبي مليكة لم يدرك عكرمة.

وأعله الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٨٨) بالإرسال.

---

(١) في (ط):«القراءة»، وما في (خ) هو الموافق لما في السنة لعبد الله بن أحمد.

وعكرمة بن أبي جهل صحابي جليل أسلم عام الفتح.

قوله:(**وأجمع أئمة السلف**):

تعريف السلف:

لغة: قال ابن منظور في لسان العرب (٦/ ٣٣١):

والسلف أيضًا من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل؛ ولهذا سمى الصدر الأول من التابعين السلف الصالح. اهـ.

ونحوه في النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٩٠).

واصطلاحًا: قال السمعاني في الأنساب (٣/ ٢٧٣):

والسلفي بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء.

وهذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم. اهـ.

قلت: وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الصحابة والتابعون وتابعوهم لحديث عبد الله رضي الله عنه عند البخاري برقم (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ». قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

وجاء عن بن عمران بن حصين رواه البخاري برقم (٣٦٥٠)، ومسلم(٢٥٣٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٢٥٣٤).

و عن عائشة عند مسلم برقم (٢٥٣٦).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٨-٩):

واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامْتُحِن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن. اهـ.

فالسلف الذين ينتسب إليهم هم ممن كان قبل سنة(٢٢٠)، وكذا من يقبل قوله ويفهم الكتاب والسنة بفهمهم.

أما من بعدهم فهم من الخلف، لكن من سار على نهج السلف يقال له: سلفي نسبة إليهم، لا بالأصالة فيتعبدون بفهمه.

قوله:(**والمُقْتَدَى بهم من الخلف**):

أي الذين ساروا بفهم السلف، وساروا قدوة في الخير على نهج السلف الصالح؛ يقتدي بهم من بعدهم.

قوله:(**على أنه غير مخلوق**):

وكيف لا يكون غير مخلوق وهو صفة من صفات الله، وجميع صفات الله تعالى غير مخلوقة، والكلام في صفات الله تعالى كالكلام في ذاته.

وقال الله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤].

ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقًا للزم أن يكون مخلوقًا بآخر والآخر بآخر أي ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل.

انتهى من شرح الطحاوية (١/ ١٧٩).

وعن سعيد بن نصير أبي عثمان الواسطي قال: سمعت ابن عيينة يقول: ما يقول هذه الدويبة ؟ يعني بشرًا المريسي.

قالوا: يا أبا محمد يزعم أن القرآن مخلوق فقال: كذب قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق: خلق الله، والأمر: القرآن.

رواه الآجري في الشريعة برقم(١٧١) وهو حسن.

وهذا إجماع من السلف كما ذكر المصنف، فلا داعي لسرد أقوالهم.

قال ابن أبي العز (١/ ١٨٥-١٨٦):

وبالجملة فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات، أو أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا، أو أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء الله، وكيف شاء وأن نوع الكلام قديم.

وقد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق ولا ريب أن هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين...إلخ.

القائلون بخلق القرآن:

قوله:(**ومن قال: مخلوق، فهو كافر**):

القائلون بخلق القرآن هم:

الجهمية والمعتزلة(١)، والخوارج(٢)، وأكثر الزيدية وبعض الإمامية(٣)، وبعض متأخري المتكلمين من الأشاعرة، والماتريدية(٤)، والمرجئة، وكثير من الرافضة(٥).

والأشاعرة والكلابية قالوا: نصف القرآن مخلوق.

قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

والآخرون أبوا قالوا شطره   خلق وشطر قام بالرحمن

زعموا القرآن عبارة وحكاية   قلنا كما زعموه قرآنان

قال هراس في شرح نونية ابن القيم (١/ ١٠٠):

وأما الطائفة الأخرى فهم الكلابية والأشعرية، ذهبوا إلى أن القرآن ألفاظ ومعاني، فألفاظه المتلوة المسموعة المكتوبة في المصاحف حادثة مخلوقة، وأما معانيه المعبر عنها بتلك الألفاظ فقديمة قائمة بذاته تعالى، ويسمونها الكلام النفسي، وهو عندهم معنى واحد لا تعدد فيه ولا تبعض.

---

(١) لوامع الأنوار (١/ ١٣٣) ومجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٣).

(٢) الخوارج تاريخهم واعتقاداتهم (ص٢٨٦).

(٣) انظر الفتح (١٣/ ٤٥٥).

(٤) كتاب «منهج السلف والمتكلمين»، تأليف جابر إدريس (٢/ ٨٠٢).

(٥) مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥٦).

وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله (يعني ابن القيم): والآخرون -يعني الكلابية والأشعرية- أبو القول بما قاله المعتزلة من أن القرآن كله مخلوق، وقالوا: شطره أي نصفه وهو اللفظ خَلْق يعني مخلوق، وشطره الآخر وهو المعاني، قام بالرحمن، يعني أنه صفة له، فالمعاني عندهم ترجع إلى صفته القديمة، وأما الألفاظ فحادثة مخلوقة اهـ.

تنبيه: لم يقل متقدمو المعتزلة بخلق القرآن، قال ابن القيم في النونية:

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطان

وقال ابن عيسى رحمه الله في شرح النونية (١/ ٢٩٦):

أي أن قدماء المعتزلة؛ كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيرهما، لم يذهبوا إلى القول بخلق القرآن، ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن، لهذا قال الناظم:

فهم بذا جهمية أهل اعتزا ل ثوبهم أضحى له علمان

أول من قال بخلق القرآن:

قال اللالكائي رحمه الله في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣١٢):

لا خلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق الجعد بن درهم، في سنة اثنين وعشرين (١)، ثم الجهم بن صفوان. اهـ

وراجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٦٣٠-٦٤١).

---

(١) يعني بعد المائة.

والرد عليهم بما تقدم من الأدلة.

حكم القائلين بخلق القرآن:

حكمهم أنهم كفار.

قال ابن القيم – رحمه الله– في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ـهم بل حكاه قبله الطبراني

ذكرهم الإمام الحافظ أبو القاسم الحسن بن منصور الطبري اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٧٠-٣١٢) قال:

قالوا كلهم: قرآن الله عز وجل غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا، أو أكثر؛ من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار، ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم تدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، لكن اختصرت اهـ.

وأما كلام الطبراني فله كتاب في السنة، لعله فيه لم أجد هذا الكتاب.

أقوال الناس في القرآن:

الأول:أن القرآن قائم بالنفس لا يتعلق بالقدر ولا المشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه، وهذا قول الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب.

الثاني: أن القرآن معنىً واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنًا، وأن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه وهو قول الأشاعرة.

الثالث: قول الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، وهو أن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ونثره، حقه وباطله، سحره وكفره، والسب والشتم؛ ولذلك قال ابن عربي الزنديق (ت ٦٣٨):

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الفاسد أن الله سبحانه هو عين الوجود.

الرابع: قول الفلاسفة والصابئة المتأخرين أتباع أرسطو كابن سيناء والفارابي والطوسي، قالوا: إن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني من العقل الفعال، أو من غيره على النفوس الزكية الفاضلة، بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورًا وتصديقات بحسب ما قبلته منه.

الخامس: قول الجهمية النفاة، والمعتزلة ومن تقدم ذكرهم (القائلين بخلق القرآن) وأنه مخلوق خلقه الله منفصلًا عنه.

السادس: قول الكرامية، والهشامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة، والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حرف وصوت تكلم الله به بعد أن لم يكن متكلمًا.

السابع: قول السالمية، وطائفة من أهل الحديث، وطائفة من أهل الكلام، قالوا: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

الثامن: قول أبي منصور محمد بن الماتريدي، ومن تبعه: إن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره.

التاسع: قول الطبيب الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن ملكا كان يهوديًا فأسلم ومات سنة (٥٤٧أو ٥٦٠أو٥٧٠)، وإليه يميل الرازي فخر الدين محمد بن عمر المفسر في المطالب العالية قال: إن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإراداته القائم بذاته.

العاشر: قول أبي المعالي ومن تبعه: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

قال ابن القيم رحمه الله كما في مختصر الصواعق المرسلة(٢/ ٢٩٣) بعد ذكر أقوال أهل الانحراف:

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنهاهي الدائرة بين فضلاء العالم، ولا يكادون يعرفون غيرها. اهـ.

القول الحق:

القول الحادي عشر:

وهو قول أتباع الرسل أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة أتباع الكتاب والسنة على فهم لسلف الصالح، وهذا القول هو الحق، وما سواه

باطل وضلال قالوا: إن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام حقيقي بصوت وحرف.

وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، فأثبتوا لله تعالى صفة الكلام كغيرها من صفات الله تعالى بغير تعطيل ولا تحريف، وبغير تكييف ولا تمثيل، وعليه يدل الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

راجع مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٢-١٧٥)، ومختصر الصواعق (٢/ ٢٨٦-٢٩٣)، وشرح االعقيدة الطحاوية لابن أبي العز(١/ ١٧٢-١٧٤).

مذهب الواقفة:

الواقفة: هم الذين يقولون القرآن كلام الله، ولا يقولون مخلوق ولا ليس مخلوقًا، بل يتوقفون في ذلك شكًا وحيرة.

وهؤلاء ظهروا بعد ظهور القول بخلق القرآن، وهم طائفة من الجهمية كما روى صالح بن أحمد بن حنبل في سيرة الإمام أحمد(ص ٧٢).

قال: سمعت أبي يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: قالوا: القرآن مخلوق.

الفرقة الثانية: قالوا: كلام الله وسكتوا.

الفرقة الثالثة: قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق.اهـ.

وكذا في السنة للخلال (٥/ ١٢٥).

والذين وقعوا في الوقف في القرآن صنفان:

الصنف الأول: بعض رواة الحديث الذين عرفوا بقلة البصر - بمذاهب الجهمية والشك فيه، وهذه أغلوطة وقعت من مسامعم، ولم يعرفوا تأويلها، وسببها قلة العلم. راجع الرد على الجهمية للدارمي (ص٩٢).

الصنف الثاني: طائفة هم من القائلين بخلق القرآن، لكنهم استخدموا ذلك تقية، وهم يبطنون القول بخلق القرآن.

وقد قال بتكفيرهم أحمد بن صالح المصري كما في مسائل أبي داود لأحمد برقم (١٧٤٨).

وكذا كفرهم الإمام أحمد كما في مناقب الإمام أحمد لا بن الجوزي (ص١٥٧).

بل إن الواقفة يعتبرون شر من الجهمية، كما قال أحمد بن حنبل كما في السنة لولده عبد الله برقم (٢٢٥)، وقتيبة بن سعيد كما في مسائل أبي داود برقم (١٧٤٦)، ومحمد بن مقاتل كما في مسائل أبي داود (١٧٥٠) وغيرهم.

وقال الآجري -رحمه الله في الشريعة (١/ ٥٢٧):

وأما الذين قالوا القرآن كلام الله ووقفوا فيه، وقالوا لا نقول غير مخلوق، فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن رد على من قال بخلق القرآن، قالوا هؤلاء الواقفة، مثل من قال: القرآن مخلوق، وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم نعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب أنه غير مخلوق. اهـ.

وراجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٣٢٣-٣٢٩).

اللفظية:

هذه الطائفة الثالثة من الجهمية، وهم اللفظية الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وتسمى هذه الطائفة باللفظية النافية.

وقد ورد عن غير واحد من السلف تكفيرهم.

راجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى (١/ ٣٤٩-٣٦٢).

وقابلتهم طائفة قالوا بعكس قولهم، فقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد، وهذا القول عُزي لبعض أهل الحديث(١) منهم أبو حاتم الرازي، وأبو سعيد الأشج رواه الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٨٨) بسند صحيح.

وهذه الطائفة تسمى باللفظية المثبتة وليسوا بجهمية، وهم إنما أرادوا الرد على الجهمية، لكن هذا القول خطأ.

والحق في هذه المسألة أنه لا يقال في اللفظ بالقرآن: مخلوق، ولا غير مخلوق.

أما النافية فتقدم الرد عليها، وأما المثبتة فالأمرين:

الأول: لأنه لفظ لم يتكلم به السلف، فهو لفظ مبتدع.

الثاني: لأنه إطلاق موهم فيدخل فيه فعل العبد، وهذا من بدع الاتحادية.

وقال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٧١):

---

(١) راجع موافقة المعقول لصريح المنقول لشيخ الإسلام (١/ ١٩٧).

وقال قوم من أهل الحديث ممن زعم أن القرآن غير مخلوق: إن قراءته واللفظ به غير مخلوقين، وأن اللفظية يجرون مجرى من قال بخلقه، وأكثر هؤلاء الواقفة التي لم تقل: القرآن غير مخلوق، ومن شك في أنه غير مخلوق، والشاك في الشاك، وأكفروا من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال قائلون: قراءتي للقرآن لا يقال مخلوقة ولا غير مخلوقة. اهـ.

وقال شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٦١):

وكذلك ذكر الإمام محمد بن جرير الطبري في صريح السنة أنه سمع غير واحد من أصحابه يذكر عن الإمام أحمد أنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع.

راجع مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥٩-٣٦٤).

فائدة: قال شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل(١/ ٢٦٢):

وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك، فصار طائفة منهم يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي، ومحمد بن داود المصيصي، وطوائف غير هؤلاء.اهـ.

قال ابن قتيبة في رسالة الاختلاف في اللفظ:

وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشة؛ لأنهم مجمعون على أصل واحد: وهو القرآن كلام الله غير مخلوق في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه، ولطف معناه.

انتهى عقائد السلف (ص٢٤٥).

وهل قال البخاري رحمه الله: لفظي بالقرآن مخلوق؟

حاشا الإمام البخاري أن يكون قد قال ذلك، وهو إمام الصنعة حفظًا، وثباتًا، وفقهًا، وفهمًا، واستنباطًا، إنما حسده بعض الناس، فسألوه، فقال:القرآن كلام غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، فشغبوا بها، وقالوا: إنه قال:لفظي بالقرآن مخلوق، ثم وشوا به عند محمد بن يحيى الذهلي وزيفوا الحقيقة، وحصل ما حصل بين الإمامين البخاري والذهلي عليهما رحمه الله.

راجع هدي الساري (ص٦٨٤-٦٨٦).

ولقد صنف البخاري كتابًا سماه خلق أفعال العباد.

والحق مع البخاري في أن أفعال العباد مخلوقة، لا مع الذهلي إذ لم يقل البخاري لفظي بالقرآن مخلوق.

راجع سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٣-٤٦٦).

شبهات القائلين بخلق القرآن:

الأولى: قالوا: إن القرآن شيء، والله تعالى يقول: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦].

فيكون داخلًا في عموم كل، فيكون مخلوقًا، وهذا من أعجب العجب، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١٧١-١٨١):

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، والقرآن شيء فيكون داخلًا في عموم «كل» فيكون مخلوقًا فمن أعجب العجب؛ وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم «كل» وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفةٌ من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤]. ففرقَ بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقًا للزم أن يكون مخلوقًا بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل وهو باطل.

وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته تعالى مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء، وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم «كل»، فيكون مخلوقًا بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وكيف يصح أن يكون متكلمًا بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضًا ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذ بين «نَطق» و «أنطق»، وإنما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا اللهُ﴾[فصلت:٢١]، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلمًا بكل كلام خلقه في غيره، زورًا كان أو كذبًا أو كفرًا أو هذيانًا! تعالى الله عن ذلك.

وقد طرَّد ذلك الاتحادية، فقال ابن عربي:

وكـل كـلام في الوجـود كلامـه سـواء علينـا نثـره ونظامـه

ولو صَحَّ أن يوصف أحد بصفة قامتْ بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير؛ لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصر بغيره! ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

وبمثل ذلك ألزم الإمام عبدُالعزيز المكي بشرًا المريسي بين يدي المأمون، بعد أن تكلم معه ملتزمًا أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة، فقال بشر: يا أمير المؤمنين ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال.

قال عبدالعزيز: تسألني أم أسألك؟ فقال بشر: اسأل أنت، وطمع فيَّ. فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها: إما أن تقول: إن الله خلق القرآن -وهو عندي أنا كلامه- في نفسه، أو خلقه قائمًا بذاته ونفسه، أو خلقه في غيره؟ قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها، وحاد عن الجواب، فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودَعْ بشرًا فقد انقطع. فقال عبدالعزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال؛ لأن الله لا يكون محلًا للحوادث المخلوقة، ولا يكون فيه شيء مخلوق، وإن قال: خلقه في غيره، فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه، فهو محال أيضًا؛ لأنه يلزم قائله أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله!

وإن قال: خلقه قائمًا بنفسه وذاته، فهذا محال لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقًا، علم أنه صفة لله. هذا مختصر من كلام الإمام عبدالعزيز في «الحيدة».

وعموم «كل» في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إلا مَسَاكِنُهُمْ﴾[الأحقاف:٢٥]. ومساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير. وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[النمل:٢٣]، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام. إذْ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها. ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، أي كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتمًا، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى عند قوله: «ما زال قديمًا بصفاته قبل خلقه»، بل نفس ما استدلوا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢] مخلوقًا، لا يصح أن يكون دليلًا.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:٣]، فما أفسده من استدلال! فإن «جعل» إذا كان بمعنى خَلَق يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام:١]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾[الأنبياء:٣٠-٣٢]، وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلقَ، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[النحل:٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[الحجر:٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾[الإسراء:٢٩]. وقال تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[الإسراء:٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثًا﴾[الزخرف:١٩]. ونظائره كثيرة.

فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:٣].

وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[القصص:٣٠]. على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها! وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ﴾[القصص:٣٠].

والنداء هو الكلام من بُعد، فسمع موسى النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[القصص:٣٠]، أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم ولو كان الكلام مخلوقًا في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠].

وهل قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:٣٠] غيرُ رب العالمين؟

ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون: (أنا ربكم الأعلى)، صدقًا، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غيرُ الله! وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقًا غير الله.

وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[التكوير:١٩]، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه، إما جبرائيل أو محمد ﷺ.

قيل: ذكر الرسول مُعرف أنه مبلِّغ عن مرسله؛ لأنه لم يقل إنه قول ملك أو نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه أُنشيء من جهة نفسه، وأيضًا: فالرسول في إحدى الآيتين جبرائيل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر، وأيضًا: فقوله: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء:١٠٧].

دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله. وأيضًا: فإن الله قد كفَّر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر فمن جعله قول محمد، بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر. ولا فرق بين أن يقول إنه قول بشر، أو جنيّ، أو ملك، والكلام كلام من قاله مبتدئًا، لا من قاله مبلغًا. ومن سمع قائلًا يقول:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومَنْزِلِ

قال: هذا شعر امرىء القيس، ومن سمعه يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**»[1]، قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:٢-٥] قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكُذِّب. ولهذا من سمع من غيره نظمًا أو نثرًا، يقول له: هذا كلام من؟ هذا كلامك أو كلام غيرك؟

والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقًا خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة إنما سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوبًا مفترىً مما لا ينازع مسلم في بطلانه. ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا

---

(١) رواه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن عقلهم دَلَّهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرع.

ولو تُرك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه فرَّق بها بينهم: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾[البقرة:١٧٦].

والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله في «الفقه الأكبر»،(١) فإنه قال: والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسُن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزَّل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله في القرآن عن موسى عليه السلام وغيره، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كلام الله إخبارًا عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا انتهى.

---

(١) كتاب الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة، لم يثبت وفي سنده إليه علتان:

الأولى: حماد بن أبي حنيفة ضعيف، كما في ميزان الاعتدال.

الثانية: عصام بن يوسف البلخي ضعيف، كما في الميزان ولسانه.

انظر كتب حذر منها العلماء (٢/ ٢٩٢).

فقوله: (ولما كلَّم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته)، يُعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلًا وأبدًا يقول يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف:١٤٣]، ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء كما قال أبومنصور الماتريدي وغيره.

وبالجملة: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئًا بعد شيء، فهو حق يجب قبوله، وما يقوله من يقول: إن كلام الله قائم بذاته، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما.

فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضًا، مع صريح العقل.

ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول، لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما

قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يُتلى(١)، ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه لوجب بيانه إذْ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

ولا يعرف في لغة ولا عقل قائلٌ متكلمٌ لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره! وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذرًا من التشبيه، فلا يثبتوا صفة غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا، قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات.

إلخ كلامه بتصرف.

ويلزم من قولهم الخبيث أن كل ما كان شيئًا فهو مخلوق، أن الله جل شأنه مخلوق لأنه شيء، قال تعالى:﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:١٩].

تنزه الله عن قولهم: ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء:٤٣].

وقال تعالى:﴿**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾[الكهف:٥].

ولله در ابن قيم الجوزية حيث قال في نونيته:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا ... كون المقلد صاحب البرهان

ورواه بالتقليد أولى من سوا ... ه بغير ما بصر ولا برهان

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) في حديث الإفك الطويل.

وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا معناهما عجبًا لذي الحرمان

قلت: عجبًا لذي الحرمان!

الثانية: قالوا: إنَّ (جعل) بمعنى (خلق)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام:١]، أي خلق الله الظلمات والنور، قالوا: وكذلك قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:٣]. قالوا: معناها خلقناه.

والجواب عنه: أن جعل في لغة العرب لها معنيان:

فإن كانت متعدية لمفعول واحد فهي بمعنى خلق، وهذا كالمثال الذي استدلوا به: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.

وإن كانت متعدية لمفعولين فلا يصلح أن تكون بمعنى خلق، بل هي بمعنى صير، كما قال تعالى:﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[الحجر:٩١].

فهل معنى هذا أنهم خلقوا القرآن أجزاء؟

هذا لا يقول به أحد، وهو يُفسد المعنى، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٤]،﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾[الإسراء: ٢٩]. والآيات كثيرة وراجع الطحاوية (ص١٨٢).

الثالثة: قالوا: إن الله خلقه في الشجرة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠]. وقد تقدم الجواب عنه، في قولهم: منه بدأ.

وأُضيف هنا أنه لو كان المتكلم مخلوقًا في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠]، وهل قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ غير الله ؟!

وانظر شرح الطحاوية (١/ ١٨٢-١٨٣).

الرابعة: قولهم: القرآن محدث، كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]. قالوا: والمحدث المخلوق.

والجواب قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٢):

المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزله جديدًا، فإن الله كان ينزل القرآن شيئًا بعد شيء، فالمنزَل أولًا هو قديم بالنسبة إلى المنزَل آخر، وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب كما قال تعالى: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩]، وقال: ﴿تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥]. اهـ.

قوله:(**قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)** [١] **في القرآن: ليس بخالق، ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدا، وإليه يعود**):

ضعيف، رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨/ ٤٧٠-٤٧١) برقم (٣٧٣و٣٧٤) من طريقين عن عبد الكريم بن الهيثم عن علي بن صالح الأنماطي قال: حدثنا يوسف بن عدي عن محبوب بن محرز، عن

---

(١) في (خ): «كرم الله وجهه»، وهو غلط.

الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن الحارث بن سويد قال: قال علي: «يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف.

ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم يقولون: (القرآن مخلوق) وليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود».

وعبد الكريم بن الهيثم وهو ابن زيد أبو يحيى القطان مترجم في تاريخ بغداد (١١/ ٧٨-٧٩) والسير (١٣/ ٣٣٥-٣٣٦) وغيرهما وهو ثقة ثبت، ولم يجده محقق شرح السنة للالكائي.

وعلي بن صالح الأنماطي قال الذهبي: لا يعرف له خبر باطل. وذكر له حديثًا اتهم بوضعه. وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٢٧٥) عقب حكاية كلام الذهبي: (وفي ثقات ابن حبان علي ابن صالح يروي عن عبد الله بن إدريس روى عنه أهل العراق مستقيم الحديث، فهو هذا بلا شك فينبغي التثبت في الذين يضعفهم المؤلف من قبله وينظر في من [دون] صاحب الترجمة). اهـ

انظر الثقات: (٨/ ٤٧٠-٤٧١).

ومحبوب بن محرز وهو التميمي القواريري العطار، ضعيف كما في «التهذيب»، وقال الحافظ في «التقريب»: لين الحديث.

والراوي في إحدى الطريقين عن عبد الكريم هو أحمد بن عثمان بن يحيى ترجمته في تاريخ بغداد (٤/ ٢٩٩-٣٠٠) وهو ثقة. ولم يجده محقق «شرح السنة للالكائي» لذا ترجمت له.

وفي الطريق الأخرى أحمد بن عبد الله بن خالد وهو الجويباري وضاع. انظر «لسان الميزان» (١/ ٢٩٩-٣٠١).

فالأثر ضعيف لأجل محبوب بن محرز، وعلي بن صالح الأنماطي.

قوله:(**وقال عبد الله بن عباس**):

أثر ابن عباس ضعيف، رواه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » برقم (٣٧٥و٣٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٩٠-٥٩١) من طريق علي بن عاصم عن عمران بن حرير عن عكرمة عن ابن عباس فذكره وفيه قصة.

وعلي بن عاصم هو أبو الحسن الواسطي ضعيف؛ فالأثر ضعيف.

قوله:(**وعبدالله بن مسعود**):

أثر ابن مسعود ضعيف، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (١١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٨٩) من طريق مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله قال: «القرآن كلام الله عز وجل فمن رد منه شيئًا فإنما يرد على الله عزوجل».

وعند البيهقي: «فمن كذب على القرآن فإنما يكذب على الله». وبنحوهما عند الدارمي في «الرد على الجهمية» من نفس الطريق.

ومجالد وهو: ابن سعيد الهمداني ضعيف.

قوله: **(القرآن كلام الله منه بدا، وإليه يعود)**:

معنى قولهم في القرآن: منه بدا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢١/ ٥١٧-٥١٩):

وليس معنى قول السلف والأئمة: إنه منه خرج ومنه بدا، أنه فارق ذاته وحل بغيره، فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره، فكيف يكون كلام الله؟ قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾[الكهف:٥].

فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ومع هذا فلم تفارق ذاتهم.

أيضًا فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره لا صفة الخالق، ولا صفة المخلوق، والناس إذا سمعوا كلام النبي ﷺ، ثم بلغوه عنه كان الكلام الذي بلغوه كلام الرسول ﷺ، وقد بلغوه بحركاتهم وأصواتهم، فالقرآن أولى بذلك.

فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:٦].

قال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»(١).

---

(١) عن أبي هريرة والبراء قد تقدم، وهو صحيح.

ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية، فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله عز وجل في غيره، فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله كما يقولون: كلامه لموسى خرج من الشجرة، فيبين السلف والأئمة أن القرآن من الله بدأ وخرج، وذكروا قوله تعالى: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[السجدة:١٣]، فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات، و(من) هنا لابتداء الغاية، فإن كان المجرور بها عينًا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الجاثية:١٣]، وقوله:﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[النساء:٧١]، وكذلك ما يقوم بالأعيان، كقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[النحل:٣١].

وأما إذا كان المجرور بها صفة، ولم يذكر لها محل كان صفة لله تعالى، كقوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة:٣١]، وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه، وأنه نزل به جبريل منه ردًا على هذا المبتدع المفتري وأمثاله ممن يقول: إنه لم ينزل منه. انتهى كلام شيخ الإسلام.

ومعنى قولهم: (وإليه يعود):

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى(١٢/ ٢٧٤):

وقولهم: إليه يعود أي يسرى عليه، فلا يبقى في المصاحف منه حرف، ولا في الصدور منه آية.اهـ

قلت: يشير شيخ الإسلام - رحمه الله – إلى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يُدرس الإسلام كما يدرس الثوب حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة... » الحديث.

رواه ابن ماجه برقم (٤٠٩٨) وهو صحيح.

وجاء نحوه موقوفًا على ابن مسعود، قال: ليسرين على القرآن ذات ليلة ولا يترك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رفعت.

رواه الدارمي برقم (٣٣٨٦).

وهو حسن، ويكون هذا قرب قيام الساعة.

قوله:(وروي عن سفيان بن عيينة، قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منه بدا، وإليه يعود.

رواه محمد بن جرير بن يزيد الفقيه، وهبة الله بن الحسن بن منصور الحافظ الطبريان في كتاب السنة لهما):

صحيح، رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٨٨)، و«النقض على المريسي» (١/ ٥٧٣)، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٥)، وذكره في «الأسماء والصفات» رقم (٥٣٢) قال الدارمي: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال سفيان.. فذكره.

وهذا إسناد صحيح إلى عمرو بن دينار.

وقد رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص(١١٧)، ضمن كتاب «عقائد السلف»، وفي «التاريخ» (٢/ ٣٣١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٣٨١ و٣٨٢ و٣٨٣ و٣٨٤ و٣٨٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥٣١) من طريق الحكم بن محمد الطبري أبي مروان عن سفيان فذكره.

واختلف على الحكم بن محمد فرواه عنه:

محمد بن أبي منصور ومحمد بن عمار بن الحارث وغيرهما عند اللالكائي، وسلمة بن شبيب عند البيهقي في الأسماء والصفات.

كلهم رووه كرواية إسحاق بن راهويه عن سفيان عن عمرو بن دينار.

ورواه البخاري كما تقدم عن الحكم عن سفيان قال: أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله وليس بمخلوق.

فالصحيح رواية الجماعة أنه من قول عمرو وأخطأ في هذه الرواية الحكم فإنه ترجمه البخاري في التاريخ (٢/ ٣٣٨) وابن أبي حاتم (٣/ ١٢٧) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا.

قلت: وقول سفيان رواه أبو داود من مسائل الإمام أحمد رقم (١٧١٣) أنه قال لما سئل عن القرآن: هو كلام الله وليس بمخلوق، وفي سنده عمر بن هارون وهو البلخي متروك.

قوله:(وقد أدرك عمرو بن دينار أبا هريرة، وابن عباس، وابن عمر):

قال إسحاق بن راهويه: وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ من البدريين والمهاجرين والأنصار مثل جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم. وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا في ذلك.

انتهى «الأسماء والصفات» (١/ ٥٩٨)، و«السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٥) كلاهما للبيهقي وسنده صحيح فهذا إجماع من السلف.

قوله:(واحتجَّ أحمدُ على ذلك بأن الله كلم موسى، فكان الكلام من الله، والاستماع من موسى، وبقوله عز وجل: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[السجدة: ١٣].

وروى الترمذي من رواية خباب بن الأرت أن النبي ﷺ قال: «إنكم لن تتقربوا إلى الله بأفضل مما خرج منه». يعني القرآنَ):

هذا أثر حسن.

وليس في الترمذي بهذا اللفظ عن خباب إنما جاء من حديث أبي أمامة عند الترمذي وجاء مرسلًا.

أما حديث أبي أمامة فرواه أحمد برقم (٥/ ٢٦٨)، والترمذي برقم (٢٩١١)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (١٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٥٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٨٨ و١٢/ ٢٢٠) كلهم من طريق شيخ الإمام أحمد (هاشم بن القاسم أبي النضر) حدثنا بكر بن خنيس عن

ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطأة عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليُذَرُ فوق رأس العبد ما دام في صلاته وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه» يعني القرآن.

زاد الترمذي: قال أبو النضر يعني القرآن.

وقال عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك في آخر أمره. اهـ.

والحديث ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم، وبكر بن خنيس ضعيف جدًا، وزيد بن أرطأة ثقة، لكن حديثه عن أبي أمامة مرسل كما في الجرح والتعديل (٣/ ٥٥٦).

وقد حصل فيه اضطراب على زيد بن أرطأة فتارة يرويه عن جبير بن نفير مرسلًا.

رواه أحمد في «الزهد» ص(٣٥٠)، والترمذي رقم (٢٩١٢)، وأبو داود في «المراسيل» رقم (٥٣٨)، و«السنة» لعبدالله بن أحمد رقم (١٠٩) عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه يعني القرآن».

وعند أبي داود في المراسيل: يعني كلامه تعالى.

وتارة يرويه عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر مرفوعًا به.

رواه الحاكم (٢/ ٤٤١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥٠٢) وتارة يرويه عن جبير بن نفير عن أبي ذر مرفوعًا به.

رواه الحاكم (١/ ٥٥٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥٠٣).

والمرسل أصح، قال البخاري في «خلق أفعال العباد» ص(١٩٩) ضمن «عقائد السلف»:(مع أن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه). اهـ

ورواه الطبراني في الكبير رقم (١٦١٤) عن جبير بن نوفل نحوه مرسلًا.

وفي سنده ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف، ولعل ذكر جبير بن نوفل من أوهامه لأنه اختلط.

وأما حديث خباب بن الأرت فجاء موقوفًا:

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥١٠-٥١١)، وأحمد في «الزهد» ص(٣٥)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٩٦ و١١١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥١٣و٥١٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنةو الجماعة» برقم (٥٥٨)، والآجري في «الشريعة» برقم (١٥٧) من طريق منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال خباب بن الأرت وأقبلت معه من المسجد إلى منزله فقال لي: يا هناه إن استطعت أن تقرب إلى الله فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

هذا أثر حسن، رجاله ثقات إلا فروة بن نوفل الأشجعي اختلف في صحبته والراجح عدمها، وهو صدوق فقد روى عنه جماعة، واعتمده مسلم في «صحيحه»

في حديث لعائشة برقم (٢٧١٦) وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الذهبي في الكاشف: وثِّق.

قوله:(**ونعتقد أنَّ الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة عين كلام الله عز وجل**):

في هذا إثبات كلام الله تعالى بحرف؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**».

رواه مسلم برقم (٨٠٦).

قوله:(**لا حكاية**):

هذا رد على القائلين: إن القرآن قائم بالنفس لا يتعلق بالقدر ولا المشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه، وهم الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب.

قوله:(**ولا عبارة**):

وهذا رد على القائلين: إن القرآن معنىً واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر

عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلًا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه وهم الأشاعرة.

قوله:(**قال الله عز وجل: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾**[البقرة:١-٢]):

قوله: (ذلك): يعني القرآن، والإشارة هنا للتعظيم، ومنه قول الشاعر:

أقول له والرمح يأطر بطنه ... تأمل إنني أنا ذلك

راجع دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (ص٥-٦).

قوله: (لا ريب) أي لا شك، ومنه قول الشاعر:

تركنا الحي قد حصروا به ... فلا ريب أن قد كان ثَمَّ لحيم

وتأتي بمعنى التهمة، ومنه قول جميل بثينة:

بثينة قالت يا جميل أربتني ... فقلت كلانا يا بثين مريب

وتأتي بمعنى الحاجة، ومنه قول الشاعر كعب بن مالك:

قضينا من تهامة كل ريب ... وخير ثم أجمعنا السيوفا

قوله:(وقال: **﴿المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١-٢]، وقال: ﴿آلر * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[يوسف:١]، وقال: ﴿المر﴾[الرعد: ١]، وقال: ﴿كهيعص﴾[مريم:١]، ﴿حم * عسق﴾[الشورى:١-٢]، فمن لم يقل إنَّ هذه الأحرف عين كلام الله عز وجل، فقد مرق من الدين، وخرج عن جملة المسلمين، ومن أنكر أنْ يكون حروفًا فقد كابر العيان، وأتى بالبهتان):**

أراد المصنف بهذا الكلام الرد على الكلابية، وتقدم مذهبهم أنهم يقولون في القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة.

وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه.

وكذا الرد على الأشاعرة القائلين: أنه معنى واحد قائم بذات الرب وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٣-٢٤٤):

والصواب الذي عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد، وغيره وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم أتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلام لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسمًا لمجرد المعنى ولا مجرد الحرف، بل لمجموعها، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا معاني فقط، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح، ولا مجرد الجسد، بل مجموعها، وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد؛ لا صوت القارىء ولا غيره، وأن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا تشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه، ولا حروفه يشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد، فمن

شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته.

وقوله: (فقد مرق من الدين):

أي: خرج من الدين، والمروق هو سرعة الخروج من الشيء.

راجع لسان العرب (١٣/ ٨٥).

وأكدها بقوله وخرج عن جملة المسلمين أي أنه كافر، لكن الحقيقة أن الكلابية والأشعرية لا يكفرون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٨٨):

وأما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطنًا وظاهرًا فهؤلاء من أمة محمد ﷺ بلا ريب، وكذلك من هو خير منهم الكلابية والكرامية. اهـ

قلت: وأصل مذهب الأشاعرة أنهم أخذوه من ابن كلاب، فهم ليسوا بكفار، وليسوا من أهل السنة والجماعة، بل هم من الاثنتين والسبعين الفرقة الهالكة؛ وذلك لأن كثيرًا منهم قصد الخير واتباع السنة فأخطأ.

وفي عدم اتباع السنة ومخالفتها باجتهاد أو تأويل ضلال، ولا يكفرون، وحتى لو نزل هذا الحكم عليهم وهو التكفير فعند تطبيقه على المعين فلا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

قوله (فقد كابر العيان): أي عاند ماهو معلوم ملموس مشاهد لا يحتاج إلى كثرة استدلال عليه وسوق الأدلة.

قوله: (وأتى بالبهتان):

أي جاء بالباطل الذي يُتَحَيَّر من بطلانه، كما في «لسان العرب» (١/ ٥١٣).

قوله:(وروى الترمذي من طريق عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله عز وجل، فله عشر حسنات».

قال الترمذي: هذا حديث صحيح. ورواه غيره من الأئمة، وفيه: «أما إني لا أقول ﴿آلم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»):

صحيح موقوفًا، رواه الترمذي برقم (٢٩١٠) عن محمد بن كعب القرظي قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وقال الترمذي: ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود.

ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود رفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود.

وذكره البخاري في ترجمة محمد بن كعب من «التاريخ الكبير» (١/ ٢١٦) وقال: لا أدري حفظه أم لا؟

ورواه الحاكم (١/ ٥٥٥) نحوه وفيه زيادة من طريق مسلم بـن إبـراهيم عـن أبي الأحوص عن عبدالله به وفي سنده إبـراهيم بـن مسـلم الهجـري، قـال الـذهبي في التلخيص: ضعيف وهو كذلك، وزاد الحافظ في «التقريب» قوله: رفع موقوفات.

ورواه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٩٣) وابن أبي شيبة رقـم (٩٩٨٣) والطـبراني في الكبير برقم (٨٦٤٧) من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود فذكره موقوفـًا وهـذا إسناد منقطع.

ورواه الدارمي بـرقم (٣٣٥١)، والطـبراني في «الكبـير» بـرقم (٨٦٤٦ و٨٦٤٨ و٨٦٤٩) من طريق أبي الأحوص عن عبد الله موقوفًا، وهو صحيح.

ورواه ابن أبي شيبة برقم (٩٩٨١) من طريق قيس بن سكن عن عبدالله موقوفـًا، وسنده صحيح.

ورواه أيضًا برقم (٩٩٨٤) من طريق علقمة والأسود عن عبدالله به.

فالراجح الموقوف على عبدالله بن مسعود وهو صحيح عنه.

وأما المرفوع فله طريقان:

الأولى: عند الترمذي من طريق محمد بن كعب، وقد أخطأ في رفعه وروايتـه عـن الصحابة مرسلة كما في «تهذيب التهذيب».

والثانية: عند الحاكم من طريق إبراهيم الهجري، وهو ضعيف يرفع الموقوفات.

والذين رووه موقوفًا هم:

أبو الأحوص، وقيس بن سكن، وعلقمة والأسود وروايتهم صحيحة به موقوفًا.

وجاء من حديث عوف بن مالك الأشجعي مرفوعًا عند ابن أبي شيبة برقم (٩٩٨٢) يرويه عنه محمد بن كعب، وقد علمت أن روايته مرسلة، وأيضًا في سنده موسى بن عبيدة وهو الربذي يرويه عن محمد بن كعب. وموسى ضعيف.

قوله:(وروى يعلى بن مَمْلك عن أم سلمة، أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ، فإذا هي تنعت قراءة مفسرةً حرفًا حرفًا.

رواه أبو داود، وأبو عبدالرحمن النسائي، وأبو عيسى الترمذي، وقال: حديث صحيح حسن غريب):

ضعيف، رواه أبوداود برقم (١٤٦٦)، والنسائي (٢/ ١٨١) و(٣/ ٢١٤)، والترمذي في «سننه» برقم (٢٩٢٣)، وفي «الشمائل» برقم (٢٩٧)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (١١٦)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٤ و٣٠٠)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ١٥٦)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص(١٤٦) من «عقائد السلف»، والفريابي في «فضائل القرآن» رقم (١١٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» رقم (١١٥٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» رقم (٥٤٠٨)، والحاكم (١/ ٣١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٣)، وفي «شعب الإيمان» رقم (٢١٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٢١٦).

كلهم من طريق الليث بن سعد عن عبدالله بن أبي مليكة عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة فذكره.

وقال الترمذي عقب الحديث: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة.

وقد روى ابن جريج هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته.

وحديث الليث أصح. اهـ.

هذا حديث ضعيف لأجل يعلى بن مملك مجهول.

قوله: **(وروى سهل بن سعد الساعدي، قال: بينا نحن نقتري إذ خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «الحمد لله، كتاب الله واحد، وفيكم الأخيار، وفيكم الأحمر والأسود، اقرءوا القرآن قبل أن يأتي أقوام (يقرأونه)[1]، يقيمون حروفه كما يُقام السهم لا يتجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره، ولا يتأجلونه».**

رواه أبو بكر الآجري، وأئمة غيره):

صحيح، وقد جاء عن عدة من الصحابة:

الأول: حديث سهل بن سعيد، رواه الآجري في «أخلاق أهل القرآن» برقم (٢٩)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (٨١٣) والطبراني في «الكبير» برقم (٦٠٢١) و(٦٠٢٢).

---

(١) ليست في (خ).

من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن عبيدة عن سهل بن سعد قال: بينا نحن نقترئ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأخيار وفيكم الأحمر والأسود..» فذكر مثله.

وهو ضعيف به علتان:

الأولى: ضعف موسى بن عبيدة.

الثانية: عدم سماع عبد الله بن عبيدة من سهل بن سعد كما في «تهذيب التهذيب».

ورواه أبو داود برقم (٨٣١)، وابن حبان كما في الإحسان برقم (٧٦٠)، والطبراني في «الكبير» رقم (٦٠٢٤) من طريق عبدالله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن بكر بن سوادة عن وفاء بن شريح الصدفي عن سهل بن سعد نحوه، وفي سنده وفاء بن شريح مجهول الحال.

وعند أبي داود عمرو وابن لهيعة وعند ابن حبان قال: وذكر ابن سلم (شيخ ابن حبان) آخر معه.

ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٨) من طريق ابن لهيعة به.

ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥ و١٢٦) من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن أبي حمزة الخولاني عن أنس به. وفي (٣/ ١٤٦) وجعل بدل أبي حمزة وفاء الخولاني.

وابن لهيعة ضعيف فلعل هذا الاضطراب منه، والراجح الرواية السابقة أنه من مسند سهل.

الثاني: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «اقرؤا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح؛ يتعجلونه ولا يتأجلونه».

عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ، واختلف على محمد بن المنكدر.

فرواه أحمد (٣/ ٣٩٧)، وأبو داود برقم (٨٣٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٦٤٢) من طريق حميد بن قيس الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا.

وتابع حميدًا أسامة بن زيد عند أبي يعلى برقم (٢١٩٧)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٤٣) من طريق أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعًا.

وهذا إسناد صحيح، لكن اختلف على محمد بن المنكدر:

فرواه عبد الرزاق في المصنف رقم (٦٠٣٤)، عن ابن عيينة، وابن أبي شيبة رقم (١٠٠٥٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٦٤١) من طريق سفيان الثوري كلاهما عن محمد بن المنكدر، فذكره مرسلًا وهو أصح؛ لأن السفيانين أرجح من حميد وأسامة بن زيد بلا شك.

الثالث: حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا بلفظ: «يكون خَلْفٌ يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم (يقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر».

قال بشير فقلت للوليد -راويان سيأتي ذكرهما-: «ما هؤلاء الثلاثة؟ فقال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به».

رواه أحمد (٣/ ٣٨-٣٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص(٢١٦) من «عقائد السلف»، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٤) و(٤/ ٥٤٧)، وابن حبان برقم (٧٥٥) بترتيب ابن بلبان، والبيهقي في «الشعب» (٢٩٢٦)، والآجري في «أخلاق أهل القرآن» رقم (٤٠).

كلهم من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن حيوة بن شريح أخبرني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد فذكره.

وقال الحاكم في الموضع الأول: صحيح رواته حجازيون وشاميون أثبات ولم يخرجاه.

وفي الموضع الثاني قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وهذا حديث رجاله ثقات غير الوليد بن قيس وهو التجيبي المصري، روى عنه جماعة، ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات فمثله يحتمل التحسين.

وللحديث طريق أخرى عند أبي عبيد في فضائل القرآن (٢٠٥-٢٠٦).

والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٦٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١١٨٢) من طريق ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به فذكره. وابن لهيعة وهو عبد الله ضعيف.

فحديث أبي سعيد حسن في أقل درجاته.

الرابع: حديث عبد الرحمن بن شبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به».

رواه أحمد (٣/ ٤٢٨و٤٤٤) وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص(٢٠٥) من طريقين عن عبدالرحمن به وهو صحيح.

الخامس: حديث عمران بن حصين مرفوعًا، بلفظ: «اقرؤوا القرآن واسألوا الله به، فإن بعدكم قومًا يقرءون القرآن يسألون الناس به».

رواه أحمد (٤/ ٤٣٦-٤٣٧ و٤٣٩)، والترمذي برقم (٢٩١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٢٨)، والآجري في «أخلاق أهل القرآن» رقم (٤١و٤٢) وغيرهم من طريق خيثمة عن الحسن عن عمران بن حصين فذكره.

وخيثمة هو ابن أبي خيثمة أبو نصر البصري قال الحافظ في التقريب: لين الحديث والحسن لم يسمع من عمران بن حصين كما في «تحفة التحصيل».

وجاء من حديث عقبة بن عامر عند أحمد (٤/ ١٥٣) قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتدارس القرآن قال: «تعلموا القرآن واقتنوه...» وهو حسن.

وبالجملة فالحديث صحيح لشواهده وإنما ذكرت هذه الشواهد لقوله «يتعجلونه ولا يتأجلونه».

وأما قوله: «يقرءون القرآن يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيهم»، فقد رواه البخاري رقم(٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤)-١٤٤ و١٤٥.

وحديث علي رواه البخاري برقم(٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦).

وحديث سهل بن حنيف رواه البخاري برقم(٦٩٣٤) ومسلم(١٠٦٨).

وحديث أبي ذر عند مسلم (١٠٦٧) ومعنى قوله: «الأحمر والأسود»، قال في «عون المعبود» (٣/ ٦٠): معناه «فيكم العربي والعجمي». اهـ

وقال العيني في «شرح سنن أبي داود» (٤/ ١٣): المراد بالأحمر: العجم لأن الغالب على ألوانهم الحمرة، والمراد من الأبيض: أهل فارس لأن الغالب على ألوانهم البياض، والمراد من الأسود: العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة والسمرة. والمقصود أن فيكم طوائف مختلفة. اهـ

قوله:(**وروي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهما قالا: إعراب القرآن أحبُّ إلينا من حفظ بعض حروفه**):

ذكره ابن قدامة بدون إسناد، في البرهان في بيان القرآن، (المطبوع ضمن مجلة البحوث الإسلامية)(١٩/ ٢٣٠).

قوله:(**وروى أبو عبيد**):

هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي. صنف كتاب فضائل القرآن وكتاب الأموال وغيرهما(٢٢٤).

ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠-٥٠٩).

قوله:(**في فضائل القرآن بإسناده، قال: سئل علي رضي الله تعالى عنه عن الجنب يقرأ القرآن؟ فقال: لا، ولا حرفًا**):

أثر حسن، رواه أبو عبيد في فضائل القرآن صـ١٩٧، وأبـو بكـر بـن أبي شـيبة في المصنف (١/ ١٠٢) وهذا لفظهما، وعبد الرزاق في المصنف رقـم (١٣٠٦)، وأحمـد في المسند (١/ ١١٠) بنحو روايتهما وفيه: «ولا آية»، وأبو يعـلى (٣٦٥) بلفـظ: «.. فأما الجنب فلا والله» من طريق عامر بن السمط عن أبي الغريف عن علي فذكره.

وهذا أثر حسن فعامر ثقة. وأبو الغريف: هو عبيد الله بن خليفة الهمداني المـرادي قال يعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٣/ ٢٠٠): ثقة، وذكره ابن حبان في «الثقات».

وقال أبوحاتم: كان على شرطة علي وليس بالمشهور، قيل له: هو أحـب إليـك أو الحارث الأعور؟ قال: الحارث أشهر، هذا شيخ قد تكلموا فيه من نظراء أصبع بـن نباتة.

وقال ابن سعد: كان قليل الحديث. وذكره ابن البرقي فيمن احتملت روايته وقـد تكلموا فيه، وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق رمي بالتشيع.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٦): رجاله موثقون. اهـ

قوله:(**وقال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : من كفر بحرف منه – يعني القرآن– فقد كفر به أجمع**):

نقل ابن قدامة الإجماع على هذا في البرهـان في بيـان القـرآن (١٩/ ٢٣٦) ضـمن مجلة البحوث.

قوله:(**وقال أيضًا: من حلف بسورة البقرة، فعليه بكل حرف يمين**):

ضعيف، رواه عبد الرزاق في «المصـنف» بـرقم (١٥٩٥٠) عـن ابـن جـريج قـال:

أُخبرت عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود أنه سمع رجلًا يقول: وسورة البقرة يحلف بها، فقال: «أما إن عليه بكل حرف منها يمينًا».

وهو ضعيف لجهالة شيخ ابن جريج.

ورواه عبدالرزاق برقم (١٥٩٤٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (٣٧٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠-/ ٤٣) من طريق الأعمش عن عبدالله بن مرة عن أبي كنف أن ابن مسعود مر برجل فذكره بلفظ: «بكل آية».

وأبو كنف مجهول الحال ذكره ابن أبي حاتم (٩/ ٤٣١) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

قوله:(وقال طلحة بن مصرِّف: قرأ رجل على معاذ بن جبل فترك واوًا، فقال: لقد تركتَ حرفًا أعظم من جبل أحد.

وقال الحسن البصري في كلام له: قال الله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[ص: ٢٩]**، وما تَدَبُر آياته إلا اتِّباعه، أمَا والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفًا. وقد أسقطه والله كله):**

ذكره ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٠١١) وعزاه لابن أبي حاتم بدون إسناد.

والحسن هو الحسن بن أبي الحسن (يسار) أبو سعيد البصري من أئمة التابعين مات سنة (١١١).

قوله: (**وقال عبدالله بن المبارك: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال: لا أومن بهذه اللام، فقد كفر**):

ضعيف، رواه أبوعثمان الصابوني في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث» رقم (١٨) عن عبدالله بن المبارك قال: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر [يعني] بالقرآن، ومن قال لا أؤمن بهذا الكلام فقد كفر.

وفي سنده محمد بن عبدالله الجراحي ويحيى بن سوية وعبدالكريم السكري وعلي الباشاني لم أجد تراجمهم.

قوله: (**وروى عبدالله بن أنيس رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة -وأشار بيده إلى الشام- عراةً غرلًا، بُهْمًا»، قال: قلتُ: ما بُهمًا؟ قال: «ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملكُ، أنا الدَّيَّان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وأحدٌ من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وأحدٌ من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، حتى أقصه منه». قالوا: وكيف وإنما نأتي الله عراة غرلًا (بُهمًا)** [(١)]**؟ قال: «بالحسنات والسيئات». رواه أحمد، وجماعة من الأئمة**):

ضعيف، رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٩٧٠) وعلقه في الجامع (١/ ٢٠٨) من «الفتح» بصيغة الجزم، وكذا في «خلق أفعال العباد» ص«١٣١» من «عقائد السلف»، وفي «الجامع» (١٣/ ٤٦١) من «الفتح»

---

(١) ليست في (خ).

بصيغة التمريض، وكذا في «التاريخ» (٧/ ١٦٩-١٧٠) والحارث بن أسامة برقم (٣٩) من زوائده، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٤)، وفي «الآحاد والمثاني» برقم (٢٠٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٤-٤٣٨) و(٤/ ٥٧٤-٤٧٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٣١ و٦٠٠) مختصرًا، والخطيب البغدادي في «الرحلة» رقم (٣١و ٣٢)، و«الجامع» رقم (١٦٨٦)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٨٥٨٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» رقم (٥٦٥ و٥٦٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة القاسم بن عبدالواحد (٢٣/ ٢٩٣-٢٩٤)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٥٥-٣٥٦).

من طريق القاسم بن عبدالواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس فقال للبواب: قل له: جابر على الباب فقال: ابن عبدالله؟ قلت: نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة – أو قال: العباد- عراة غرلًا بهما» قال: قلنا: وما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا

ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة». قال: قلنا: كيف؟ وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلًا بهما؟ قال: «بالحسنات والسيئات».

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.

وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢١٠): إن الإسناد حسن وقد اعتضد.

وحسن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب».

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٤٧): وعبدالله بن محمد ضعيف.

والقاسم بن عبدالواحد المكي روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. وذكره ابن حبان في «الثقات»، كما في «تهذيب التهذيب». وعبد الله بن محمد بن عقيل اختلف أهل العلم في الاحتجاج بحديثه، وهو ضعيف.

و للحديث شاهد عند الطبراني في مسند الشاميين برقم (١٥٦) وتمام في فوائده برقم (١٧٤٦) من الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام.

من طريق عثمان بن سعيد الصيداوي ثنا السليم بن صالح عن ابن ثوبان عن الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره.

وتصحف عند الطبراني من سليم إلى سليمان وهو خطأ.

وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٠٩): إسناده صالح.

قلت: وسليمان بن صالح قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٣٢): لا يعرف. وأقره الحافظ في «اللسان» (٣/ ١٢٩).

وله طريق أخرى عند الخطيب في «الرحلة» برقم (٣٣) وفي سنده عمر بن صبح التميمي العدوي كذاب.

فهاتان الطريقان لا تصلحان في الشواهد وعُدنا للطريق الأولى.

فالحديث ضعيف.

قوله:(**وروى عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء كجرِّ السلسلة على الصفوان، فيخرون سُجَّدًا». وذكر الحديث**):

صحيح بشواهده، رواه أبو داود برقم (٤٧٣٨) حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي وعلي بن الحسين بن إبراهيم وعلي بن مسلم،وابن خزيمة برقم (٢٠٧) حدثنا علي بن الحسين بن إبراهيم. والآجري في «الشريعة» (٦٦٩) من طريق علي بن الحسين بن إبراهيم. وابن حبان برقم (٣٧)، والخطيب في «التاريخ» (١١/ ٣٩٢-٣٩٣)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٥٤) من طريق علي بن الحسين بن إشكاب، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » برقم (٥٤٧-٥٤٨) من طريق علي بن الحسين بن إشكاب والحسن بن محمد بن الصباح، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٣٣و٤٣٤) من طريق علي بن الحسين بن إشكاب، وعلي بن الحسين بن إبراهيم، وعلي بن مسلم كلهم عن أبي معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم – وهو ابن صبيح أبو الضحى –عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا

فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق».

ورواه جماعة آخرون فخالفوا أبا معاوية في الطريق الأولى فرووه عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبدالله موقوفًا وهم:

١- أبوحمزة. حفص بن غياث عند البخاري في «خلق أفعال العباد» ص(١٩٣) من «عقائد السلف».

٢- شعبة بن الحجاج عند ابن خزيمة رقم (٢٠٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٧٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنةو الجماعة» رقم (٥٤٩).

٣-ابن نمير عند ابن خزيمة رقم (٢١٠)، و«السنة» لعبدالله بن أحمد رقم (٥٣٧).

٤-وكيع عند ابن خزيمة رقم (٢١١) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة رقم (٢١٧).

٥-سفيان الثوري عند أبي الشيخ في كتاب «العظمة» رقم (١٤٤).

٦-جرير بن عبد الحميد في «السنة» لعبد الله بن أحمد رقم (٥٣٧).

٧-عبد الرحمن بن محمد المحاربي في «السنة» لعبد الله بن أحمد رقم (٥٣٦).

٨-أبو معاوية نفسه رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (٥٣٧) وابن خزيمة برقم (٢٠٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٣٢).

فالذين خالفوا أبا معاوية الضرير فرووه موقوفًا أرجح بلا شك، فالراجح في حديث ابن مسعود الوقف، وعلقه البخاري في جامعه (١٣/ ٤٦٠) موقوفًا، وقال الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٣٩٣): هكذا رواه ابن إشكاب عن أبي معاوية مرفوعًا، وتابعه على رفعه أحمد بن أبي سريج الرازي، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، وعلي بن مسلم الطوسي جميعًا عن أبي معاوية وهو غريب. ورواه أصحاب أبي معاوية عنه موقوفًا وهو المحفوظ من حديثه. ا هـ.

وذكره الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٤٢-٢٤٣) وقال:(والموقوف هو المحفوظ)اهـ.

وللحديث طريق أخرى في صحيح البخاري برقم (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال:﴿الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ: ٢٣]».

قال الحافظ: (٨/ ٦٨٣-٦٨٤) عقب الحديث:

قوله: «كأنه» أي القول المسموع (سلسلة على صفوان) هو مثل قوله بدء الوحي (صلصلة كصلصلة الجرس) وهو صوت الملك بالوحي، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه «إذا تكلم الله بالوحي يسمع أهل السماء صلصلة

كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة وقرأ: حتى إذا فزع... الآية» وأصله عند أبي داود وغيره وعلقه المصنف موقوفًا، ويأتي في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى قال الخطابي: «الصلصلة صوت الحديد إذا تحرك وتداخل وكأن الرواية وقعت له بالصاد وأراد أن التشبيه في الموضعين بمعنى واحد، فالذي في بدء الوحي هذا والذي هنا جر السلسلة من الحديد على الصفوان الذي هو الحجر الأملس يكون الصوت الناشئ عنهما سواء». اهـ

وفي «صحيح البخاري» برقم (٤٧٤١ و٧٤٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فينادى بصوتٍ: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار.. ».

والحديث في «صحيح مسلم» برقم (٢٢٢) بدون ذكر لفظة الصوت والنداء.

قوله:(وقول القائل بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج باطلٌ، ومحال، قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[ق:٣٠]):

وهذا على الحقيقة أن الله تعالى يقول لجهنم هل امتلأت، لا أنه يخفى عليه شيء، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦].

وهذا السؤال من الله إما توبيخًا لمن ادعى ذلك بعده، وإما تعريفه أن قومه غيروا بعده، كما قاله القرطبي (٦/ ٣٧٥).

وهذا السؤال من الله توبيخًا للكافرين وإيذانًا لما سبق من وعده للنار أن يملأها، وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتنبيه لجميع عباده. انتهى من تفسير القرطبي (١٧/ ١٨) بتصرف.

وجواب جهنم على الحقيقة أيضًا، وتقول هل من مزيد أي زدني، وتتكلم، وعلى ذلك أدلة أخرى، فمنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: لا يدخلني إلا ضعفاء القوم وسقطهم».

الحديث رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم برقم (٢٨٤٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ».

رواه البخاري برقم (٣٢٦٠) ومسلم برقم (٦١٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ».

رواه الترمذي برقم (٢٥٧٤).

هذا حديث صحيح.

قوله:(**وكذلك قوله إخبارًا عن السماء والأرض أنهما: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**):

وهذا حق على حقيقته أنهما تكلمتا ونطقتا بقولهما: أتينا طائعين، قال الله تعالى: **﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**[فصلت: ١١].

قوله:(**فحصل القول من غير مخارج، ولا أدوات**):

قال أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (صـ ١٥٨ـ١٦١):

وأما الصوت: فقد زعموا أنه لا يخرج إلا من هواء بين جرمين، ولذلك لا يجوز وجوده في ذات الله تعالى.

والذي قالوا باطل من وجوه:

ألا ترى أن النبي ﷺ ذكر سلام الحجر عليه(١)، وعلم تسبيح الحصا في يده(٢)، وتسبيح الطعام بين يديه(٣)،وحنين الجذع عن مفارقته إياه(٤)، وما جاء لشيء من ذلك هواء منخرق بين جرمين.

وقد أقر الأشعري: أن السماوات والأرض قالتا: أتينا طائعين.

حقيقة لا مجازًا، ولا خلاف بين العقلاء في أن الله سبحانه قادر على أن ينطق الحجر الأصم على ماهو به.

وقال الأشعري: بعد أن يجعل فيه روحًا، والناس كلهم مخالفون له فيما قال.

وإذا وصف بقدرة على أنطاق الحجر الأصم على ماهو به، بطل قول من زعم أن وجود الصوت غير جائز إلا من منخرق بين جرمين.

ثم لو كان الأمر على ما زعموا لم يجب أن لا يوصف الله سبحانه بما يخالف الشاهد الأ ترى أن الله سبحانه بالاتفاق واحد حي قادر عالم سميع بصير قوي مريد فاعل، وليس بجسم ولا في معناه.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ».

(٢) رواه ابن أبي عاصم برقم (١١٤٦) والبزار كما في كشف الأستار برقم (٢٤١٣-٢٤١٤) وحديث أبي ذر وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٥٧٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري برقم (٣٥٨٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وجاء عن غيره.

وفي الشاهد لا يجوز وجود حي عالم قادر سميع بصير إلا جسمًا.

وإذا صح ما ذكرناه لم يضرنا قول من زعم: أن الصوت في الشاهد لا يوجد إلا من هواء منخرق بين جرمين، وقد بينا بطلان دعواه قبل هذا. اهـ.

قوله: **(وروي عن النبي ﷺ أنه كلَّمهُ الذراع المسمومة)**:

صحيح، رواه الدارمي برقم (٦٩)، وأبوداود برقم (٤٥١٠)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٦٢) من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال: كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث: أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها إلى النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ الذراع فأكل منها وأكل الرهط من أصحابه معه، ثم قال لهم النبي ﷺ: «ارفعوا أيديكم.. » وأرسل النبي ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: «أسممت هذه الشاة»؟ فقالت: نعم. من أخبرك؟ فقال النبي ﷺ: «أخبرتني هذه في يدي للذراع. فقالت: نعم... ».

وهذا إسناد منقطع بين الزهري وجابر فإنه لم يسمع منه قاله سفيان بن عيينة كما في «تحفة التحصيل» ص(٢٨٧).

واختلف على الزهري فيه فرواه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٦٠-٢٦١) من طريق معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك مرسلًا.

وقال البيهقي (٤/ ٢٦٢): هذا مرسل، ويحتمل أن يكون عبدالرحمن حمله عن جابر بن عبدالله.

وله طريق عند الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٧٠برقم ١٣٧) من طريق ابن أبي ذئب عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه فذكر لكن في سندها أحمد بن بكر البالسي ضعيف.

وله طريق أخرى عند البيهقي (٤/ ٢٦٣) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري مرسلًا من قوله.

ورواية شعيب بن أبي حمزة أرجح لأنه من أثبت الناس في الزهري (أي رواية حديث جابر) لاسيما وقد تابع شعيبًا يونس عن الزهري مثله.

رواه البيهقي في «السنن» (٨/ ٤٦).

وله طريق أخرى عن جابر موصولة عند البيهقي في «الدلائل» (٤/ ٢٦٠) من طريق عثمان بن جبلة عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر فذكره.

وفي سندها خلف بن عبد العزيز بن عثمان مجهول الحال.

ومحمد بن رزام المروزي لم أجد له ترجمة.

وعند البيهقي عثمان بن أبي جبلة وهو خطأ، والصواب عثمان بن جبلة كما في التهذيب.

واختلف على عبد الملك فرواه البزار كما في كشف الأستار برقم (٢٤٢٤) من طريق أبي عتاب سهل بن حماد عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد فذكره.

وقال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي سعيد إلا من هذا الوجه.

وتصحف عند البزار من أبي عتاب إلى أبي غياث والصواب أبو عتاب كما في التهذيب.

وعثمان بن جبلة أرجح من أبي عتاب سهل بن حماد، فعثمان ثقة، وسهل صدوق، لكن طريق عثمان ضعيفة كما تقدم، فالراجح طريق سهل أنه من حديث أبي سعيد وهو حسن لذاته.

وجاء أيضًا من حديث أنس رواه البزار كما في كشف الأستار برقم (٢٤٢٣) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس فذكره، ومبارك يدلس ويسوى مع كونه حسن الحديث .

وجاء مرسلًا من مراسيل أبي سلمة بن عبدالرحمن، رواه الدارمي برقم (٦٨)، وأبوداود برقم (٤٥١١).

فالحديث صحيح.

على أن أصل قصة السم في البخاري برقم (٢٦١٧) ومسلم برقم (٢١٩٠) عن أنس.

وعند البخاري عن أبي هريرة برقم (٥٧٧٧) وليس فيهما قصة تكلم الذراع.

قوله:(**وصحَّ** [١] **أنه سلَّمَ عليه الحجر**):

رواه مسلم برقم (٢٢٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ».

---

(١) قوله: «صح»فليست في (خ).

قوله:(وسلَّمت عليه الشجرة):

أما تسليم الشجرة فضعيف جدًا .

رواه الترمذي برقم (٣٦٢٦) من حديث علي، وقال : غريب .

وفي سنده عباد بن أبي يزيد الكوفي مجهول عين ، والوليد بن عبد الله بن أبي ثور الهمداني المرهبي الكوفي ضعيف جدًا، وقال ابن نمير : كذاب .فالحديث ضعيف جدًا.

وبقي أدلة أخرى منها حنين الجذع، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ.

رواه البخاري برقم (٩١٨).

وتسبيح الجمادات قال الله تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء:٤٤].

وقول أهل التعطيل إنه يلزم منه تكلم الرب تبارك وتعالى أن يكون من مخارج هو عين التمثيل الذي يزعمون أنهم يفرون منه، فقد وقعوا في عين ما فروا منه.

الإيمان بالقضاء والقدر

قوله:(**وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان**):

تقدم معنى السلف، وكذا معنى الإيمان.

قوله:(**بالقدر**):

ومعنى القدر في اللغة، قال ابن فارس:

القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقَدْر مبلغ كل شيء يقال قَدْره كذا أي مبلغه كَذا من القدر، وقَدرت الشيء أقدُره من التقدير، اهـ. معجم مقاييس اللغة.

والقدرة محركة: القضاء والحكم، وهو ما يقدر الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

راجع معجم المقاييس في اللغة (ص٨٧٦-٨٧٧).

ومعنى القدر اصطلاحًا قال في الفتح (١/ ١١٨):

والمراد أن الله علم مقادير أشياء، وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته اهـ.

قوله:(**خيره وشره**):

هذه قطعة من حديث عمر عند مسلم برقم(٨).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص٥٤):

أما وصفه القدر بالخير فالأمر فيه ظاهر، وأما وصف القدر بالشر فالمراد به شر المقدور، لاشر القدر الذي هو فعل الله عز وجل ليس فيه شر، كل أفعاله خير وحكمة، ولكن الشر في مفعولاته ومقدوراته، فالشر هما باعتبار المقدور والمفعول أما باعتبار الفعل فلا.... إلخ.

ومقادير الله جل وعلا كلها خير ففي صحيح مسلم برقم(٧٧١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وفي قوله: والشر ليس إليك خمسة أقوال:

أحدها: لا يتقرب به إليك، قاله الخليل بن أحمد والنضر بن شميل، وإسحاق بن راهويه، ويحيي بن معين وغيرهم.

ثانيها: لا يضاف إليك على انفراده، قاله المزني وغيره أي لايقال: يا خالق القردة، والخنازير، ويا رب الشر ونحوه، ولكن يقال: خالق كل شيء ورب كل شيء.

ثالثها: لا يصعد الشر إليك.

رابعها: ليس شرًا بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

خامسها: أنه كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداده فيهم، أو صنفوه فيهم قاله الخطابي.

انتهى من كلام النووي في شرح مسلم (٦/ ٣٠١) بتصرف.

وتعقبه ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ٢٠-٢١) فقال:

ولا يُلتَفت إلى تفسير من فسره بقوله: والشر لا يتقرب به إليك، أو لا يصعد إليك؛ فإن المعنى أجل من ذلك وأكبر وأعظم قدرًا، فإن من أسمائه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها صدق وعدل، مستحيل دخول الشر في أسمائه أوصفاته، أو أفعاله، أو أقواله.

فطابق بين هذا المعنى وبين قوله: إن ربي على صراط مستقيم، وتأمل كيف ذكر عقب قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾[هود:٥٦]، أي هو ربي فلا يسلمني ولا يضعيني، وهو ربكم فلا يسلطكم علي ولا يمكنكم مني، فإن نواصيكم بيده، ولا تفعلون شيئًا بدون مشيئته، فإن ناصية كل دابة بيده لا يمكنها أن تتحرك إلا

بإذنه، فهو المتصرف فيها، ومع هذا فهو في تصرفه فيها وتحريكه لها ونفوذ قضائه وقدره فيها على صراط مستقيم، لا يفعل من ذلك إلا بحكمة وعدل ومصلحة، ولو سلطكم علي فله من الحكمة في ذلك ماله من الحمد عليه؛ لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم لا يظلم ولا يفعل عبثًا بغير حكمة. اهـ.

ومن أسماء الله الحميد، ومن صفاته صفة الحمد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥].

فأفعاله سبحانه وتعالى كلها محمود جملة ليس فيها قبيح ولا سيئ.

ومن أسمائه تعالى ، وصفاته القدوس، والسلام، قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هو الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣].

وفيهما نفي لكل عيب ونقص عن الله مع إثبات الكمال المطلق لله تعالى.

قوله:(حلوه ومره):

وهذه الزيادة في حديث عمر عند ابن حبان برقم(١٦٨) وغيره، وهي تعتبر موضحه ومبينه من قوله: «خيره وشره».

قوله:**(قليله وكثيره، بقضاء الله وقدره):**

القضاء في اللغة: الحكم قال تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[طه:٧٢].

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص٥٣٩):

ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا على حد قول العلماء.

قوله: (**لا يكون شيء إلا بإرادته**):

المراد الإرادة الكونية، المرادفة للمشيئة، وقد تقدمت.

قوله: (**ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته**):

وقد تقدم بعض أدلة ذلك.

قوله: (**خلق من شاء للسعادة، واستعمله بها فضلًا، وخلق من (شاء)**[1] **للشقاء، واستعمله به عدلًا، فهو سِرٌّ استأثر به، وعلمٌ حجبه عن خلقه،** ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، **قال الله عز وجل:** ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[الأعراف: ١٧٩]، **وقال عز و جل:** ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُل نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة:١٣]، **وقال عز وجل:** ﴿إِنَّا كُل شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]):

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي، فضلًا، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلًا.

وقال ابن أبي العز رحمه الله(ص١٤٨):

هذا رد على المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والإضلال.

قالت المعتزلة: الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالًا، وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه، وهذا

---

(١) في (ط) «أراد».

مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم؛ والدليل على ما قلناه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص:٥٦].

ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض.اهـ.

قوله:(**وروى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: كنَّا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكَّس وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد إلا قد كُتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: «اعملوا، فكلٌّ ميسرٌ لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاء»، ثم قرأ: «﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾» [الليل:٥-٧]الآية**):

رواه البخاري برقم (١٣٦٢، ٤٩٤٧)، ومسلم برقم (٢٦٤٧)، وهذا لفظه.

قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٤١١-٤١٣):

أَمَّا «نَكَّسَ» فَبِتَخْفِيفِ الْكَاف وَتَشْدِيدهَا، لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، يُقَال: نَكَسَهُ يَنْكُسهُ فَهُوَ نَاكِس، كَقَتَلَهُ يَقْتُلهُ فَهُوَ قَاتِل، وَنَكَّسَهُ يُنَكِّسهُ تَنْكِيسًا فَهُوَ مُنَكِّس، أَيْ خَفَضَ رَأْسه وَطَأْطَأَ إِلَى الْأَرْض عَلَى هَيْئَة الْمَهْمُوم.

وَقَوْله: «يَنْكُت» بِفَتْحِ الْيَاء وَضَمِّ الْكَاف وَآخِره وَتَاء مُثَنَّاة فَوْق، أَيْ يَخُطّ بِهَا خَطًّا يَسِيرًا مَرَّة بَعْد مَرَّة، وَهَذَا فِعْل الْمُفَكِّر الْمَهْمُوم.

وَ«الْمِخْصَرَة» بِكَسْرِ الْمِيم مَا أَخَذَهُ الْإِنْسَان بِيَدِهِ وَاخْتَصَرَهُ مِنْ عَصًا لَطِيفَة وَعُكَّازٍ لَطِيف وَغَيْرهمَا.

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيث كُلّهَا دَلَالَات ظَاهِرَة لِمَذْهَبِ أَهْل السُّنَّة فِي إِثْبَات الْقَدَر، وَأَنَّ جَمِيع الْوَاقِعَات بِقَضَاءِ الله تَعَالَى وَقَدَره؛ خَيْرهَا وَشَرّهَا، وَنَفْعهَا وَضَرّهَا....

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، فَهُوَ مِلْك لله تَعَالَى يَفْعَل مَا يَشَاء، وَلَا اِعْتِرَاض عَلَى الْمَالِك فِي مِلْكه، وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا عِلَّة لِأَفْعَالِهِ. قَالَ الْإِمَام أَبُو الْمُظَفَّر السَّمْعَانِيّ: سَبِيل مَعْرِفَة هَذَا الْبَاب التَّوْقِيف مِنَ الكِتَاب وَالسُّنَّة دُون مَحْض الْقِيَاس وَمُجَرَّد الْعُقُول، فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيف فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بِحَار الْحَيْرَة، وَلَمْ يَبْلُغ شِفَاء النَّفْس، وَلَا يَصِل إِلَى مَا يَطْمَئِنّ بِهِ الْقَلْب؛ لِأَنَّ الْقَدَر سِرّ مِنْ أَسْرَار الله تَعَالَى الَّتِي ضُرِبَتْ مِنْ دُونهَا الْأَسْتَار، وَاخْتَصَّ اللهُ بِهِ، وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُول الْخَلْق وَمَعَارِفهمْ؛ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الحِكْمَة.

وَوَاجِبنَا أَنْ نَقِف حَيْثُ حَدَّ لَنَا، وَلَا نَتَجَاوَزهُ، وَقَدْ طَوَى اللهُ تَعَالَى عِلْم الْقَدَر عَلَى الْعَالَم، فَلَمْ يَعْلَمهُ نَبِيّ مُرْسَل، وَلَا مَلَك مُقَرَّب.

وَقِيلَ: إِنَّ سِرّ الْقَدَر يَنْكَشِف لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّة، وَلَا يَنْكَشِف قَبْل دُخُولهَا، وَاللهُ أَعْلَم.

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيث النَّهْي عَنْ تَرْك الْعَمَل وَالِاتِّكَال عَلَى مَا سَبَقَ بِهِ الْقَدَر، بَلْ تَجِب الْأَعْمَال وَالتَّكَالِيف الَّتِي وَرَدَ الشَّرْع بِهَا، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ لَا يَقْدِر عَلَى غَيْره، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْل السَّعَادَة يَسَّرَهُ اللهَ لِعَمَلِ السَّعَادَة، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْل

الشَّقَاوَة يَسَّرَهُ اللهَ لِعَمَلِهِمْ كَمَا قَالَ: فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَلِلْعُسْرَى، وَكَمَا صَرَّحَتْ بِهِ هَذِهِ الْأَحَادِيث.

قوله:(**وروى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «أن خلق أحدكم (يجمع)**[1] **في بطن أمه أربعين يومًا نطفة)**:

الحديث رواه البخاري برقم (٦٥٩٤)، ٧٤٥٤)، ومسلم برقم (٢٦٤٣)، لكن لفظة«**نطفة**»ليست في الصحيحين.

وقد رواها ابن وهب في القدر برقم (٣٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٩/ ٤٨٥برقم ٣٨٧٠)، والإسماعيلي في معجمه (١/ ٤٨١) من طريق جرير بن حازم عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود فذكره.

وقال ابن وهب: وهذا إسناد ليس غريبًا عن جرير بن حازم عن الأعمش، روى هذا الحديث عن الأعمش جماعة منهم: شعبة، والثوري، والمسعودي، وزهير بن معاوية، وخالد الحذاء، وأبو شهاب الحناط، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وأبو معاوية الضرير، وجرير بن عبد الحميد، وموسى بن أعين، وعيسى بن يونس، وسفيان بن عيينة، وعمار بن رزيق، وعمرو بن أبي قيس، ووكيع بن الجراح، وعبد الله بن داود، وعبد الواحد بن زياد، ومحمد بن جابر السحيمي، وسعد بن الصلت، وغيرهم من الشيوخ، وأتينا من ذلك بشيء ما ذكرناه ليكون تبعًا لجرير بن حازم اهـ.

---

(١) في (ط): «يجتمع».

ومتابعة شعبة لجرير عند ابن وهب في القدر برقم (٤١)، والشاشي في مسنده (٢/ ١٤٢برقم ٦٨٢).

ومتابعة زهير في مسند ابن الجعد برقم (٢٦٨٨).

ورواه الإسماعيلي في معجمه (١/ ٤٨٠)، والشاشي (٢/ ١٤-١٤٣برقم ٦٨٣) من طريق فطر بن خليفة عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب عن ابن مسعود فذكره.

وهذه متابعة قاصرة للرواة الذين ذكروها عن الأعمش.

وله طريق أخرى عند الخلال في السنة(٣/ ٥٣٩-٥٤٠برقم٨٩٢)، والطبراني في المعجم الصغير(١/ ٢٦٩برقم ٤٤٢) من طريق شيخ الخلال(الحسن بن عرفة) عن أبي حذيفة النهدي موسى بن مسعود عن الهيثم بن الجهم عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن ابن مسعود فذكره.

والهيثم بن الجهم قال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل(٩/ ٨٣): لم أر في حديثه مكروهًا. اهـ وبقية رجاله معروفون.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٩٥)، ومسلم برقم(٢٦٤٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وكل الله بالرحم ملكًا، فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»، وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٤٤) عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال:

«يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة...» الحديث.

وفي القرآن ما يدل على ذلك، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

وهذا لا يُعارض أنها تنزل في الرحم نطفة، فمعناه أنها تبقى في الرحم أربعين ليلة نطفة، ثم تصير بعد ذلك علقة، ثم مضغة.

وانظر النهاية (١/ ٢٩٧)، والفتح (١١/ ٤٨٠).

قوله:(ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا بأربع كلمات، يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»):

قوله:(**وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي رواه مسلم في الصحيح**):

رواه مسلم في صحيحه برقم (٨).

قوله:(**وأبو داود في السنن**):

رواه أبو داود برقم (٤٦٩٥).

قوله:(**وغيرهما من الأئمة**):

رواه أحمد في «المسند» (١/ ٥١٥٢)، والترمذي برقم (٢٦١٠)، والنسائي (٨/ ٩٧)، وابن ماجه برقم (٥١) وغيرهم أيضًا، وليس عندهم قوله: «قال فإذا فعلت فقد آمنت؟ قال: نعم».

وهي عند ابن منده برقم (١٣و١٤) وليس عنده قوله: «من الله».

قوله:(**أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره». قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال:« نعم». وفيه من الأدلة ما لو استقصيناه لأدى إلى الإملال**):

ومنها ما في صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣) عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ الله ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ».

قَالَ: وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرَدَةُ، وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ».

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد:٢٢].

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ؟ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ**» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**».

رواه مسلم برقم(٢٦٤٨).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: قِيلَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

رواه البخاري برقم (٦٥٩٦) ومسلم(٢٦٤٩)

وَعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَت الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ، إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ

فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَت الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «**لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**[الشمس:٧-٨].

رواه مسلم برقم(٢٦٥٠).

وقد جمع شيخنا العلامة الوادعي رحمه الله كتابًا حافلًا بعنوان: «الجامع الصحيح في القدر».

جواب شبهة الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي:

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِه، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» ثَلَاثًا.

رواه البخاري برقم(٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

ويزيده وضوحًا رواية أحمد (٢/ ٢٦٨): «فحجه آدم».

والاتفاق على الرفع في آدم أنه فاعل كما في الفتح (١١/ ٦٢٠).

والجواب من وجوه:

الأول: أن آدم إنما احتج بالقدر على المعصية لا المخالفة.

الثاني: قال ابن عبد البر هذا عندي مخصوص بآدم؛ لأن المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعًا كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:٣٧]، فحسن منه أن ينكر على موسى لومه؛ لأنه قد كتب عليه.

الثالث: إنما توجهت الحجة لآدم عليه السلام؛ لأن موسى لامه بعد أن مات واللوم إنما يتجه على المكلف ما دام في دار التكليف.

الرابع: إنما وقعت الغلبة لآدم على موسى على معنى خاص من أحد وجهين:

أحدها:أنه ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقًا في وقوع ما قدر عليه إلا بإذن الله، فيكون الشارع هو اللائم.

ثانيها: أن فعل آدم اجتمع فيه القدر والكسب، والتوبة تمحو أثر الكسب، وكان الله قد تاب عليه، فلم يبقَ إلا القدر والقدر لا يتوجه عليه اللوم.انتهى من الفتح (١١/ ٦٢١-٦٢٣).

وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٥٠٩-٥١١): قال الخطابي في معالم السنين[١]:

يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد، ويتوهم أن غلبة آدم كانت من هذا الوجه وليس كذلك، وإنما معناه الإخبار عن إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير سابق منه، فإن القدر اسم لما صدر عن فعل القادر، وإذا كان كذلك فقد نفى عنهم من وراء علم الله أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور عن قصد وتعمد واختيار.

---

(١) معالم السنن (٤/ ٢٩٧).

فالحجة إنما نلزمهم بها، واللائمة إنما تتوجه عليها، وجماع القول في ذلك أنهما أمران، لا يبدل أحدهما عن الآخر:

أحدهما: بمنزلة الأساس.

والآخر: بمنزلة البناء، ونقضه.

وإنما جهة حجة آدم أن الله علم منه أنه يتناول من الشجرة، فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه، وإنما خلق للأرض، وأنه لا يترك في الجنة، بل ينقل منها إلى الأرض، فكان تناوله من الشجرة سببًا لإهباطه واستخلافه في الأرض كما قال تعالى قبل خلقه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠]، قال: فلما لامه موسى عن نفسه، قال له: أتلومني على أمر قدره الله علي؟

فاللوم علي من قبلك ساقط عني؛ إذ ليس لأحد أن يعير أحدًا بذنب كان منه؛ لأن الخلق كلهم تحت العبودية سواء، وإنما يتجه اللوم من قبل الله سبحانه وتعالى إذ كان نهاه فباشر ما نهاه عنه.

قال: وقول موسى وإن كان في النفس منه شبهة، وفي ظاهره تعلق لاحتجاجه بالسبب، لكن تعلق آدم بالقدر أرجح، فلهذا غلبه، والغلبة تقع مع المعارضة كما تقع مع البرهان. اهـ. ملخصًا.

وقال في أعلام الحديث نحوه ملخصًا، وزاد:

ومعنى قوله: فحج آدم موسى، دفع حجته التي ألزمه اللوم بها، قال: ولم يقع من آدم إنكار لما صدر منه، بل عارضه بأمر دفع به عنه اللوم.

قلت: ولم يتلخص من كلامه مع تطويله في الموضعين دفع للشبهة إلا في دعواه أنه ليس للآدمي أن يلوم آخر مثله على فعل ما قدره الله عليه، وإنما يكون ذلك لله تعالى؛ لأنه هو الذي أمره ونهاه، وللمعترض أن يقول وما المانع إذا كان ذلك لله أن يباشره من تلقي عن الله من رسوله، ومن تلقى عن رسله ممن أمر بالتبليغ عنهم.

وقال القرطبي إنما غلبه بالحجة؛ لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه، فكان لومه له على ذلك نوع جفاء، كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء؛ ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذٍ محلًا. اهـ.

وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين، وهو المعتمد وقد أنكر القدرية هذا الحديث؛ لأنه صريح في إثبات القدر السابق، وتقرير النبي ﷺ لأدم على الاحتجاج به، وشهادته بأنه غلب موسى، فقالوا لا يصح؛ لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه، وقد قتل هو نفسًا لم يؤمر بقتلها، ثم قال: رب اغفر لي فغفر له، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له.

ثانيها لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذي فرغ من كتابته على العبد لا يصح هذا لكان من عوتب على معصية قد ارتكبها فيحتج بالقدر السابق.

ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود، ولحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش، وهذا يفضي إلى لوازم قطعية، فدل ذلك على أن هذا الحديث لا أصل له.... إلخ.

وضلت في القدر طائفتان.

الأولى: الجبرية:

وهم قسمان:

الأولى: الجبرية الخالصة وهم:

الجبرية الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان.

ومن أقوالهم: القول بالجبر، ولذا نسبوا إليه.

ومعنى الجبرية أن العباد مجبورون على أعمالهم، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وليس لهم فيها أي اختيار، وإنما تضاف إليهم على سبيل المجاز.

وقالوا: إن الله يريد الشر ويفعله؛ قالوا لأن الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق إلا الله.

وأما ما نسب إلى الخلق من أفعالهم فذلك كحركة الأشجار عند هبوب الريح وزوال الشمس، وإنما فَعل بالأشجار والشمس ذلك هو الله سبحانه.

الثانية الجبرية المتوسطة:

وهم الأشاعرة، وهم يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة، وهو ما يعبرون عنه بالكسب.

قال ابن القيم في شفاء العليل (١/ ٣١٣):

وكسب الجبرية لا معنى له، ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه، وضربوا له الأمثال، وأطالوا في المقال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في النبوات (ص١٦٦) في الأشعري:

ولا يقول إن العبد فاعل في الحقيقة بل كاسب.

ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقًا معقولًا، بل حقيقة قولهم قول جهم: إن العبد لا قدرة له ولا فعل ولا كسب. ا هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية(١/ ٤٥٩):

وقالوا عجائب الكلام ثلاثة:

طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الاشعري وأنشد في ذلك:

ومما يُقال ولا حقيقة تحته	معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال	عند البهشمي وطفرة النظام

راجع شفاء العليل (١/ ٣٠٩-٣١٣و ٢/ ٢٥٥)، ووسطية أهل السنة بين الفرق (ص٣٧١-٣٧٢)، وكتاب القضاء والقدر للبيهقي تحقيق محمد بن عبد الله آل عامر (ص٧٨-٨٠).

الثانية: القدرية:

والقدرية المعتزلة: وهم الذين يقولون: إن العباد هم الفاعلون لأفعالهم دون الله عز وجل، وأنهم هم الخالقون لأفعالهم، وهم طائفتان:

الأولى: القدرية الغلاة: تنكر أن علم الله سبق الأشياء قبل وجودها، وأن الأمر أُنُف؛ أي مستأنف العلم إنما يعلمها الله سبحانه وتعالى بعد وقوعها.

قال النووي في شرح مسلم (١/ ١٠٩):

وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبقَ أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون الخير من الله والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم.اهـ

وقول شيخ الإسلام في الواسطية: ومنكروه اليوم قليل، مقدم على كلام النووي، لا سيما والنووي متقدم وشيخ الإسلام متأخر، عليهما رحمة الله.

أو أن يكون كل منهما ذكر ما علمه، وإما أن تكون القدرية الغلاة انقرضت كطائفة وفرقة تدعوا وتناظر من أجل قولها، وبقي أفراد منهم قليل لا أثر لهم، وشيخ الإسلام أوسع اطلاعًا وأعلم، والله أعلم.

الثانية: القدرية غير الغلاة:

يقولون بتقدم علم الله على الأشياء، ولكنهم ينكرون عموم مشيئة الله، وأن الله قدر الخير ولم يقدر الشر.

وفي صحيح مسلم برقم (٨) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ؛ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ. فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ. قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ

فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي. وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ...ثُمَّ ذكر الحديث.

قال الثوري رحمه الله: معناه أول من قال بنفي القدر، فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق.

قال الأوزاعي رحمه الله: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن) وكان نصرانيًا، فأسلم، ثم تنصر، ثم أخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد.

رواه الآجري في الشريعة برقم(٥٥٥)، واللالكائي برقم (١٣٩٨) وسنده صحيح.

وعن أنس بن عياض قال: أرسل إلي عبد الله بن يزيد بن هرمز فقال: لقد أدركت وما بالمدينة أحد يتهم بالقدر إلا رجل من جهينة يقال له معبد الجهني، فعليكم بدين العواتق اللائي لا يعرفن إلا الله تعالى.

رواه الآجري في الشريعة برقم(٥٥٦) وهو صحيح إلى عبد الله بن يزيد بن هرمز، وهو أحد فقهاء المدينة كما في الجرح والتعديل(٥/ ١٩٩).

وعن ابن عون يقول: أول ما تكلم الناس في القدر بالبصرة معبد الجهني وأبو يونس الأسواري.

رواه الآجري في الشريعة برقم(٥٥٧) وهو صحيح.

ويجمع بين الروايتين أن أول من قال بالقدر مطلقًا هـو سوسـن النصرـاني، وأول من قال به بعده معبد الجهني، وكان بالبصرة، وعن معبد أخذ غيلان الدمشقي.

والطائفة الأولى وهم القدرية الغلاة كفار، كفرهم ابن عمر كما تقدم.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (١/ ١١١):

هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنه ظاهر تكفير القدرية.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا في القدريـة الأول الـذين نفـوا تقـدم علـم الله تعالى بالكائنات.

قال: القائل بهذا كافر بلا خلاف.اهـ.

وقـال القـاضي عيـاض في إكـمال المُعْلـم (١/ ٢٠٢): وإنـما الخـلاف في القدريـة الآن.اهـ.

قلت: أي من الطائفة الثانية.

والمعتزلة أكثرهم قدرية كما في الفرق بين الفرق(ص٩٣).

والمهم أن أهل السنة والجماعة وسط بين قول الجبرية القـائلين: بـأن العبـد مجبـور على أفعاله، وبين قول القدرية القائلين: إن أفعال العبـاد لا تـدخل تحـت قضـاء الله وقدره، ومشيئته.

فقال أهل السنة: إن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل عـلى الحقيقـة، وهـي أفعـال العباد على الحقيقة، وهم قادرون على أفعالهم بقدرة حقيقية مؤثرة في وقـوع الفعـل منهم، والله الذي أقدرهم على أفعالهم على ذلك.

راجع وسطية أهل السنة بين الفرق(ص٣٧٩).

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٤٣٦-٤٤٤):

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية، فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي: أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافَتها إلى الخلق مجاز! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محلِّه دون ما يضاف إلى مُحصِّله!

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى. واختلفوا فيما بينهم أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوْا صنع العبد أصلًا، كما غلت المشبهة في إثبات الصفات، فشبهوا.

والقدرية نفاةُ القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا «مجوس هذه الأُمة»، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتوا خالقَين، وهم أثبتوا خالقِين! وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله

خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدَري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقةً، وأنه مريد له مختارٌ له حقيقةً، وأن إضافته ونسبته إليه إضافةُ حقٍّ، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزَّلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدّق بعضه بعضًا.

ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر.

ولكن أذكر شيئًا مما استدل به كل من الفريقين، ثم أبيّن أنه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل:

فممّا استدلت به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[الأنفال:١٧].

فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد. قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلَّا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»(١).

ومما استدل به القدرية، قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتُّبَ العِوَض، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:١٧]، ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزخرف:٧٢]. ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[الأنفال:١٧]، فهو دليل عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رميًا، بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فعُلم أن المثبَتَ غيرُ المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداءٌ وانتهاء: فابتداؤه الحَذْف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رميًا، فالمعنى حينئذ، -والله تعالى أعلم-: وما أصبتَ إذْ حذفتَ ولكنّ الله أصاب. وإلا فطرْدُ قولهم: وما صليتَ إذْ

---

(١) رواه البخاري برقم(٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري برقم(٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

و مسلم برقم(٢٨١٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

صليت ولكنّ الله صلى! وما صمتَ إذ صمتَ! وما زنيتَ إذ زنيتَ! وما سرقتَ إذ سرقت! وفساد هذا ظاهر.

وأما ترتُّب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهَدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة. فإن (الباء) التي في النفي غير (الباء) التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**»، باء العِوَض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله.

و(الباء) التي في قوله تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[السجدة:١٧]. ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:١٤]، فمعنى الآية: أحسن المصوّرين المقدّرين.

و«الخلق» يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالى: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الرعد:١٦]، أي: الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم «كل». وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم «كل»، الذي هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقًا! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم «كل»!

وهل يدخل في عموم «كل» إلَّا ما هو مخلوق؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها، وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]. ولا نقول: إن «ما» مصدرية، أي: خلقكم وعملكم، إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى وهو ما صار منحوتًا إلَّا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقًا لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقًا لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقًا له، بل الخشب أو الحجر لا غير.

وذكر أبو الحسين البصري إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري.

وذكر الرازي أن افتقار الفعل المُحْدَث الممكن إلى مرجِّح يجب وجوده عنده ويمتنع عند عدمه ضروري، وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري، ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة، غير مُسلَّم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق، فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثًا لفعله، وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[الشمس:٧-٨]، فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، إثبات للقدر بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية.

وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]، إثبات أيضًا لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرَّقتهم، بل مزّقتهم كل ممزَّق، وهي: أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟ وهذا السؤال لم يزل مطروقًا في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرق: فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم والتعليل، وسدَّتْ باب السؤال.

وطائفة أثبتت كسبًا لا يُعقل! جعلت الثواب والعقاب عليه. وطائفة التزمتْ لأجله وقوع مقدور بين قادرَين، ومفعولٍ بين فاعلَين! وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يعذبُهم على ما لا يقدرون عليه! وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه أن يقال: إن ما يبتلى به العبدُ من الذنوب الوجودية، وإن كانت خلقًا لله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئةُ بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضًا.

يبقى أن يقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟ يقال: هو عقوبة أيضًا على عدم فعل ما خُلق له وفُطر عليه؛ فإن الله سبحانه خلقه لعبادته

وحدَه لا شريك له، وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠].

فلما لم يفعل ما خُلق له وفُطر عليه، من محبة الله وعبوديته والإنابة إليه، عوقب على ذلك بأن زَيَّن له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي، فإنه صادف قلبًا خاليًا قابلًا للخير والشر، ولو كان فيه الخيرُ الذي يمنع ضدّه لم يتمكن منه الشر، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف:٢٤]، وقال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[ص:٨٢-٨٣]، وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤١-٤٢].

والإخلاص: خُلوص القلب من تأله ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان.

وأما إذا صادفه فارغًا من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنبًا مسيئًا في هذه الحال عقوبةً له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل.

فإن قلت: فذلك العدم مَنْ خَلَقَه فيه؟

قيل: هذا سؤال فاسد، فإن العدم كاسمه، لا يفتقر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمرًا وجوديًّا حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض،

والشر ليس إلى الله سبحانه، كما قال ﷺ في حديث «الاستفتاح»: «**لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك**»(١).

وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة، حين يقول الله له: «**يا محمد، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك**»(٢).

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه، عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلوّ القلب وفراغه من الإخلاص، فإلهامُ البر والتقوى ثمرةُ هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبةٌ على خلوّه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمرًا وجوديًّا عاد السؤال جَذَعًا، وإن كان أمرًا عدميًّا فكيف يعاقَب على العدم المحض؟

قيل: ليس هنا ترْك هو كفّ النفس ومنْعُها عما تريده وتحبه، فهذا قد يقال: إنه أمر وجوديّ، وإنما هنا عدمٌ وخلوٌّ من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض خلوّها مما

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٧١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) صحيح موقوفًا، رواه النسائي في «الكبرى» برقم(١١٢٩٤)، والطيالسي- كما في مسنده (٤١٤)، وابن منده في الإيمان برقم (٩٢٩ و٩٣٠ و٩٣١)، عن حذيفة موقوفًا.

قال ابن منده: وهذا إسناد مجمع على صحته وقبول رواته. اهـ

هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات، لا بالعقوبات التي تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسل، فلله فيه عقوبتان:

إحداهما: جعله مذنبًا خاطئًا، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يحسُّ بألمها ومضرتها، لموافقتها شهوته وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الأنعام:٤٤]، فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿**حَتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾[الأنعام:٤٤]، فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له وحده، من غير أن يخلق ذلك في قلوبهم ويجعلهم مخلصين له منيبين له محبين له؟ أم ذلك محضُ جعْلِهِ في قلوبهم وإلقائه فيها؟

قيل: لا، بل هو محض مِنَّته وفضله، وهو من أعظم الخير الذي هو بيده، والخير كله في يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلَّا ما أعطاه، ولا يتقي من الشر إلَّا ما وَقَاه.

فإن قيل: فإذا لم يخلق ذلك في قلوبهم ولم يوفقوا له، ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم، عاد السؤال، وكان منعهم منه ظلمًا، ولزمكم القول: بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، قيل: لا

يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالمًا، وإنما يكون المانع ظالمًا إذا منع غيره حقًّا لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرَّمه الربُّ على نفسه، وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل هو محض فضله ومِنَّته عليه، لم يكن ظالمًا بمنعه، فمنع الحق ظلم، ومنعُ الفضل والإحسان عدْل، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسن المنَّان بعطائه.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق إحسانًا ورحمة، فهلّا كان العمل له والغلبةُ، كما أن رحمته تغلب غضبه.

قيل: المقصود في هذا المقام بيان أن هذه العقوبة المترتبة على هذا المنع، والمنعَ المستلزمَ للعقوبة، ليس بظلم، بل هو محض العدل.

وهذا سؤال عن الحكمة التي أوجبت تقديم العدل على الفضل في بعض المحال، وهلّا سوَّى بين العباد في الفضل، وهذا السؤال حاصله: لِمَ تَفَضَّل على هذا ولمْ يتفضل على الآخر؟ وقد تولى الله سبحانه الجوابَ عنه بقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[الحديد:٢١].

وقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أهل الكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[الحديد: ٢٩].

ولَمَّا سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين وإعطائهم أجرًا أجرًا، قال: «**هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟**» قالوا: لا، قال: «**فذلك فضلي أوتيه من أشاء**»(١).

وليس في الحكمة إطلاعُ كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد، حتى أبصر طرفًا يسيرًا من حكمته في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه، وتأملَ أحوالَ محالِّ ذلك، استدلّ بما علمه على ما لم يعلمه.

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيصَ قالوا: ﴿**أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا**﴾[الأنعام:٥٣]؟ قال تعالى مجيبًا لهم: ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ [الأنعام:٥٣].

فتأمل هذا الجواب، تَرَ في ضمنه أنه سبحانه أعلمُ بالمحلّ الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر، من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غُرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعًا لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[الأنعام:١٢٤].

فإن قيل: إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذًا لا فعل للعبد أصلًا؟ قيل: العبد فاعل لفعله حقيقةً، وله قدرةٌ حقيقةً، قال تعالى: ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ**﴾[البقرة:١٩٧]، ﴿**فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[هود:٣٦]، وأمثال ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه البخاري برقم (٥٥٨) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وإذا ثبت كونُ العبد فاعلًا، فأفعاله نوعان:

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفةً له ولا يكون فعلًا، كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارنًا لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفةً وفعلًا وكسبًا للعبد، كالحركات الاختيارية، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلًا مختارًا، وهو الذي يقدرُ على ذلك وحده لا شريك له، ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلَّا من عاجز، فلا يكون إلَّا مع الإكراه، يقال: للأب ولايةُ إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ، أي: ليس له أن يزوجها مكرهة.

والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار؛ لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد، قادرٌ على أن يجعله مختارًا بخلاف غيره، ولهذا جاء في ألفاظ الشارع «الجَبْل» دون «الجبر»، كما قال ﷺ لأشجِّ عبد القيس: «**إن فيك لخُلَّتين يحبهما الله: الحلمُ والأناة**»، فقال: أخُلقين تخلقتُ بهما؟ أم خُلقين جُبلتُ عليهما؟ فقال: «**بل خُلقان جُبلتَ عليهما**»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله تعالى[1].

والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري، والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطَر والعقول.

---

(١) رواه مسلم برقم(١٧) عن ابن عباس وبرقم(١٨)أبي سعيد رضي الله عنهم.

وإذا قيل: خَلْق الفعل [١] مع العقوبة عليه ظلْم! كان بمنزلة أن يقال: خلْـقُ أكـل السُمِّ ثم حصول الموت به ظلْم! فكما أن هذا سببٌ للموت، فهـذا سـبب للعقوبـة، ولا ظلم فيهما.

فالحاصل: أن فعْلَ العبد فعلٌ له حقيقـةٌ، ولكنـه مخلـوقٌ لله تعـالى، ومفعـول لله، تعالى ليس هو نفسَ فعل الله، ففرْقٌ بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.اهـ

معاني الاستطاعة:

والاستطاعة والقدرة والقوة الوسع والطاقة كلها متقاربة المعنى، وقد وقع الخـلاف فيها على أقوال:

الأول: قول الجهمية وهو أنه ليس للعبد أي استطاعة لا قبل الفعل ولا معه، بل لـه قدرة شكلية غير مؤثرة، وتسمى فعلًا تجوزًا.

الثاني: قول المعتزلة ومن وافقهم وهو أن الله تعالى قد مكَّن الإنسان من الاستطاعة، وهذه الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة عليه وعلى ضده وهي مصاحبه للفعل.

الثالث: قول الأشاعرة ومن وافقهم وهو أن الاسـتطاعة مـع الفعـل، ولا يجـوز أن تتقدمه ولا أن تتأخر عنه، بل هي مقارنة له، وهي من الله تعالى، وما يفعلـه الإنسـان بهـا فهو كسب له.

الرابع: قول أهل السنة والجماعة وهـو الـذي عليـه محققـو المتكلمـين وأهـل الفقـه وغيرهم وهو التفصيل.

---

(١) انظر «منهاج السنة» (٣/ ٢٨).

النوع الأول: استطاعة للعبد بمعنى الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، وهي التي تكون مناط الأمر والنهي، وهي المصاحبة للفعل، فهذه لا يجب أن تقارن الفعل، بل تكون قبله متقدمة عليه، وهذه الاستطاعة المتقدمة صالحة للضربين وأمثالها قوله تعالى: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، فهذه الاستطاعة قبل الفعل ولو لم تكن إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما خص أحد بترك الحج، وهذه الاستطاعة هي مناط التكليف.

النوع الثاني: استطاعة يجب معها وجود الفعل، وهي المقارنة للفعل الموجبة له ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[هود:٢٠]، فالمراد بهذه الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته، وهذه الاستطاعة الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

راجع موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٣١-١٣٣٢).

الكسب:

وأما الكسب فأصله في اللغة الجمع وهو طلب الرزق، يقال: كسبت شيئًا واكتسبه بمعنى الكواسب الجوارح، وتكسب تكلف الكسب، وقد وقع الكسب في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: عقد القلب، وعزمه، قال تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمْ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٥]، أي بما عزمتم عليه وقصدتموه فتعقيد الإيمان هو كسب القلب.

الثاني: من الكسب كسب المال من التجارة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾[البقرة:٢٦٧].

الثالث: من الكسب السعي والعمل، قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى:﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ [الأنعام:٧].

والكسب والاكتسا ب معناهما واحد على الصحيح.

والكسب تطلقه القدرية على معنى، والجبرية على معنى، وأهل السنة والجماعة على معنى.

فأما القدرية فيقولون: وهو وقوع بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته من غير أن يكون الله شاءه وأوجده.

وأما الجبرية فعندهم لفظ لا معنى له ولا حاصل تحته وقد اختلفت عباراتهم فيه وضرب أدلة الأمثال وأطالوا فيه المقال، كما تقدم قريبًا.

وأما أهل السنة والجماعة فعندهم العبد فاعل لفعله وهو بمشيئة الله تعالى وإرادته، قال تعالى:﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[المدثر:٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[الأنعام:١٢٥].

راجع شفاء العليل (١/ ٣٠٩-٣١٣).

وأهل السنة والجماعة وسط بين قول الجبرية القائلين: بأن العبد مجبور على أفعاله، وبين قول القدرية القائلين: أن أفعال العباد لا تدخل تحت قضاء الله وقدره، ومشيئته.

فقال أهل السنة: إن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل على الحقيقة، وهي أفعال العباد على الحقيقة، وهم قادرون على أفعالهم بقدرة حقيقية مؤثرة في وقوع الفعل منهم، والله الذي أقدرهم على أفعالهم على ذلك.

راجع وسطية أهل السنة بين الفرق(ص٣٧٩).

مراتب الإيمان بالقدر:

مراتب القدر أربع وهي:

الأولى: العلم:

قال الله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾[الرعد:٩].

وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[سبأ:٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿**إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[فاطر:٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[المائدة:٩٩].

الثانية: الكتابة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾[الحشر:٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء:١٠٥].

الثالثة: المشيئة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[الأنعام:١١١].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٧٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[الكهف:٢٣-٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الإنسان:٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:٤].

الرابعة: الخلق:

قال الله جل في علاه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر:٦٢].

وقال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[لقمان:١١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[لقمان:٢٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال جل وعلا: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة:٤].

وقال تعالى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[الزخرف:٩].

وقال تعالى:﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[النمل:٦٠].

وقال تعالى:﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[غافر:٦٢].

وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[فاطر:٣].

وقد جُمِعَت مراتب القدر في بيت وهو:

علم كتابة مولانا مشيئة وخَلْقُهُ وهو إيجاد تكوين

الإسراء والمعراج

قوله:(**وأجمع القائلون بالأخبار**):

الخبر هو ما روي عن رسول الله ﷺ قولًا، أو فعلًا، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خُلقية أو فعلية، وهو المرادف للحديث النبوي.

وقد يطلق على ما هو أعم من ذلك فيشمل الأثر، والأول هو المراد هنا.

قوله:(المؤمنون بالآثار):

الأثر هو ما يروى عن الصحابي أو التابعي، وقد يطلق على الحديث كما سمى الطحاوي كتابيه: شرح معاني الآثار، وشرح مشكل الآثار، وغيره من أهل العلم، والأول هو المراد هنا؛ لكونه جمع بينهما وأدل على المراد.

قول:(**أن رسول الله ﷺ أُسري به إلى فوق سبع سماوات، ثم إلى سدرة المنتهى؛ أُسري به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ مسجد بيت المقدس، ثم عُرِج به إلى السماء بجسده وروحه جميعًا، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح**):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ مُوسَى، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ فَقَالَ: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

رواه البخاري برقم (٣٣٩٤) وهذا لفظه، ومسلم برقم (١٦٨).

ورواه مسلم برقم (١٧٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ. قَالَ: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِن الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- فَحَانَت الصَّلَاةُ، فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِن الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ**».

وروى مسلم (١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ (وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ) قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**».

قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ خَرَجْتُ. فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ**

عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ. فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧] ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ. ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى

السِّدْرَةِ المنْتَهى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمرُهَا كَالْقِلَالِ». قَالَ: «فَلَـمَّا غَشِـيَهَا مِنْ أَمْرِ الله مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله يَسْـتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَـا مِـنْ حُسْـنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُـلِّ يَـوْمٍ وَلَيْلَـةٍ. فَنَزَلْـتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَـالَ: ارْجِـعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَـدْ بَلَـوْتُ بَنِـي إِسْرَائِيـلَ وَخَبَرْتُهُمْ».

قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّـفْ عَـلَى أُمَّتِـي. فَحَـطَّ عَنِّـي خَمْسًـا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَـارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى قَـالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ. فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَـنْ هَـمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْـتُ حَتَّـى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظِعْتُ بِأَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ».

فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ فَمَرَّ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ».

قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ»، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟

قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ - وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمَسْجِدَ- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، قَالَ: فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، قَالَ وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ».

رواه أحمد (١/ ٣٠٩) وهو حديث صحيح.

قوله:(**ومن قال: إن الإسراء في (أخرى)**[1] **والمعراج في ليلة، فقد غلط**):

لأن الأدلة المتقدمة وغيرها صريحة أن المعراج كان في نفس الليلة التي أسرى به كحديث أنس السابق، وغيره.

وقال البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨٥): وفي رواية ثابت عن أنس دليل أن المعراج كان ليلة أسري به من مكة إلى بيت المقدس. اهـ.

وذلك من قوله في الحديث«... ثم عرج بي»، وهذا الذي عليه أكثر أهل العلم.

قال ابن كثير في تفسيره عند الآية:

وهذا الذي قاله – يعني البيهقي - هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية.اهـ.

راجع الفتح (٧) شرح حديث رقم (٣٨٨٦).

قوله:(**ومن قال: إنه منام، وإنه لم يسر بجسده فقد كفر،قال الله عز وجل**: ﴿سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)[2]﴾[الإسراء: ١]):

وذلك لأن الله تعالى يقول:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء: ١].

والعبد يطلق على مجموع الروح والجسد، والأدلة السابقة تدل على أنه أسري به، وعرج به يقظة بروحه وجسده.

---

(١) في (ط): «ليلة».

(٢) زيادة في (ط).

والذي يقول بخلاف ذلك يكون مكذبًا للأدلة، والمكذب للأدلة كافر، إذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع عند تنزيله على المعين .

أما رواية شريك أنه منام فوهم كما سيأتي التنبيه على أخطاء شريك في الحديث قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٤/ ٢٨١):

وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله عليه وعلى آله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه، وصعوده في المعراج، وغير ذلك، ولهذا قال فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ﴾[الإسراء:١]، والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة، فدل على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما.

وأيضًا فلو كان منامًا لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به، والاستبعاد له، إذ ليس في ذلك كبير أمر؛ فدل على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظة لا منامًا.

قال العلامة القاسمي في محاسن التأويل (١٠/ ١٨٣):

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي سيَّره منه ليلًا، و﴿**أسرى**﴾: بمعنى سرى، يقال أسراه وسرى به، فهمزة أسرى ليست للتعدية، ولذا عُدي بالباء، وفرق بعضهم بين أسرى وسرى بالمبالغة في أسرى لإفادة السرعة في السير؛ ولذا أوثر على سرى.

والإسراء سير الليل كله كـ﴿**أسرى**﴾.

فقوله تعالى: ﴿ليلًا﴾ للتأكيد أو للتجريد عن بعض القيود، مثل أسعفت مرامه، مع أن الإسعاف قضاء الحاجة، أو للتنبيه على أنه المقصود بالذكر.اهـ

قوله: **(وروى قصة الإسراء عن النبي ﷺ أبو ذر)**:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ. قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، قَالَ: فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ ﷺ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَفَتَحَ».

رواه البخاري برقم (٣٤٩) ومسلم(١٦٣).

قوله: **(وأنس بن مالك)**:

تقدم حديثه قريبًا.

قوله:(ومالك بن صعصعة):

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ. فَأُتِيتُ، فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ. فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ﷺ».

وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَام، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الْخَامِسَةِ، هَارُونَ ﷺ، قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ».

وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ وَالْآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللهُ بِكَ أُمَّتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً».

رواه البخاري برقم(٣٢٠٧) ومسلم برقم (١٦٤).

قوله:(**وجابر بن عبدالله**):

رواه البخاري برقم (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله تعالى عنه مَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

قوله:(**وشداد بن أوس**):

حديث شداد ضعيف، رواه البزار في مسنده (٨/ برقم ٣٤٨٤)، والطبراني في الكبير (٧/ برقم ٧١٤٢)، وفي مسند الشاميين (٣/ برقم ١٨٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٥-٣٥٧)، وأبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢) عن شداد بن أوس قال: قلت يا رسول الله كيف أسري بك ليلة أسري بك ؟

قال: «صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتمًا، فأتاني جبريل ﷺ بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل، فقال: اركب، فاستصعب علي، فدارها بأذنها ثم حملني عليها، فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها، حيث أدرك طرفها، حتى بلغنا أرضًا ذات نخل فقال: انزل فنزلت، ثم قال: صل فصليت ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟

قلت: الله أعلم. قال: صليت بيثرب، صليت بطيبة، ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها حتى بلغنا أرضا بيضاء، فقال: انزل فنزلت، ثم قال: صل، فصليت ثم ركبنا، فقال: تدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم.

قال: صليت بمدين صليت عند شجرة موسى، ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها، حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصورها، فقال: انزل فنزلت، ثم قال: صل، فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام المسيح ابن مريم، ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني، فأتى قبلة المسجد فربط دابتة، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس، فصليت من المسجد حيث شاء الله، وأخذني من العطش أشد ما أخذ بي، فأتيت بإناءين أحدهما لبن، وفى الآخر عسل أرسل إلي بهما جميعًا، فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن، فشربت حتى قرعت به جبيني وبين يدي شيخ متكيء على مشراة له، فقال: أخذ صاحبك الفطرة إنه

ليهدى، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي في المدينة، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي».

فقلنا : يا رسول الله كيف وجدتها ؟ فقال : «مثل الحمة السخنة، ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أخلوا بعيرا لهم قد جمعهم فلان فسلمت عليهم، فقال بعضهم : هذا صوت محمد ﷺ، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، فقال: يا رسول الله أين كنت الليلة؟ قد التمستك في مكانك؟ فقال: أعلمت أني أتيت مسجد بيت المقدس الليلة».

الحديث وفي سنده إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن زبريق الحمصي ضعيفٌ.

فحديث شداد ضعيف، وقد صح عن غيره كما تقدم.

قوله:(**وغيرهم، كلها صحاح، مقبولة، مرضية عند أهل النقل، مُخَرَّجَةٌ في الصِّحَاحِ**):

بعض هذه الأحاديث التي أشار إليها المصنف مخرجة في الصحاح،كما تقدم، وبعضها غير صحيحة؛ كما رأيت حديث شداد بن أوس، لكن أحاديث الإسراء في الجملة صحاح، ومخرجة في الصحاح، وغيرها.

رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل

قوله:(وأنه (عليه الصلاة والسلام)[(١)] رأى ربَّه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾[النجم:١٣-١٤].

قال الإمام أحمد (رحمه الله تعالى)[(٢)] فيما رُوِّينا عنه: وأن النبي ﷺ رأى ربَّه عز وجل، فإنه مأثور عن النبي ﷺ، صحيح، رواه قتادة (عن) [(٣)] عكرمة عن ابن عباس.

(ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس) [(٤)].

ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس):

صحيح، وقد جاء عن ستة عشر صحابيًا:

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وله طريقان:

الأولى: رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٥و٢٩٠)، وولده عبدالله في «السنة» (١١٦٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٤٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (٨٩٧-٨٩٩)، وابن عدي في الكامل

---

(١) في (ط)«ﷺ».

(٢) ليس في (ط).

(٣) ليس في (ط).

(٤) ليس في (ط).

(٢/ ٦٧٧)، والآجري في «الشريعة» برقم (١٠٣٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٥١٨)

من طريق حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي تبارك وتعالى».

ورجاله ثقات، إلا أن حماد بن سلمة تغير بآخرة، وقال الإمام مسلم في «التمييز» إنه يخطئ في حديث قتادة كثيرًا، كما في «شرح علل الترمذي» لابن رجب (٢/ ٥٠٨).

الثانية: رواه أحمد (١/ ٣٦٨)، وعبد بن حميد في «المنتخب» برقم (٦٨١)، وعبدالرزاق في «التفسير» (٢/ ١٦٩)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٩١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٤)، والترمذي برقم (٣٢٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» برقم (٣٢٠).

من طريق عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال.. فذكره.

وأبوقلابة، وهو: عبدالله بن زيد الجرمي روايته عن ابن عباس مرسلة، كما في «تحفة التحصيل» و«الإصابة».

لكن رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٩)، وابن النجاد برقم (٧٦)، والترمذي برقم (٣٢٣٤)، وأبو يعلى الموصلي برقم (٢٦٨)

من طريق قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس.. فذكره.

وتصحف عند ابن أبي عاصم «أبو قلابة» إلى «أبي كلابة».

وقد تابع قتادة عباد بن منصور عند الآجري في «الشريعة» برقم (١٠٤٠) فرواه عن أيوب عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج: أن ابن عباس حدثه.. فذكره.

فيتحصل من هذا أنه روى عن أيوب عن الوجهين، فرواه معمر بإسقاط خالد بن اللجلاج، ورواه عباد بن منصور بإثباته.

لكن قد قال الإمام أحمد إن قتادة أخطأ فيه، كما في «الإصابة» (٤/ ٢٧٢)، وكذا في «تحفة الأشراف» (٤/ ٣٨٣).

وقال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٣/ ١٠٥) في ترجمة خالد: روى عن ابن عباس فيما قيل، والمحفوظ عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي. اهـ

وقال الترمذي بعد ذكر حديث قتادة عن أبي قلابة خالد بن اللجلاج:

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقد أعله أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (١/ ٢٠) ورجح في هذه الطريق أنها من رواية عبدالرحمن بن عائش مرسلًا. فالأولى من طريقي حديث ابن عباس ضعيفة، والأخرى معلة.

٢- معاذ بن جبل رضي الله عنه:

رواه أحمد (٥/ ٢٤٣)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٧٤)، والترمذي في السنن برقم (٣٢٣٥)، ورواه في «العلل الكبير» (٢/ ٨٩٥- ٨٩٦) مختصرًا، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٥٤٠-٥٤٢)، والدارقطني في

«الرؤية» برقم (٢٢١ و٢٣٠ و٢٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم٢١٦)، وابن الجوزي في «العلل» برقم (١٣)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٤٤)

من طريق يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ سَلامٍ، عَنْ أَبِي سَلامٍ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ الحَضْرَمِيُّ: أنه حدثه عَنْ مَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ السكسكي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، وَصَلى وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلمَ قَالَ: «كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ» ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ الليْلِ فَصَليْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي عَزَّ وَجَل فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ...» الحديث.

وصحح هذه الطريق أحمد كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٣٨٣)، والكامل لابن عدي (٦/ ٢٣٤٤). والبخاري كما ذكره الترمذي عقب الحديث.

ورجاله ثقات خلا عبدالرحمن بن عائش، وهو الحضرمي عُدَّ في الصحابة حتى جعل الحديث من حديثه كما سيأتي وهو خطأ.

وقال مغلطاي في «الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة» (٢/ ٣٢): ولا تصح له صحبة. اهـ قلت: وهو الصواب، وهو مجهول حال. راجع «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٨٥-١٨٦)، و«الإصابة» (٤/ ٢٧٠-٢٧٣).

ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٥٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢١)،

وابن النجاد برقم (٧٥)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٨)

من طريق سعيد بن سويد القرشي عن أبيه عن عبدالرحمن بن إسحاق عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن معاذ... فذكره.

ولم يذكر ابن خزيمة «محمد» ولا «عن أبيه».

قال الحافظ في «إتحاف المهرة» (١٣/ ٦٦): لم يسمع محمد من أبيه، ولا ابن أبي ليلى من معاذ. اهـ

قلت: ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ضعيف، ومحمد بن سعيد بن سويد وأبوه مجهولان، وعبدالرحمن بن إسحاق أبوشيبة الواسطي ضعيف جدًا، كما في «تهذيب التهذيب».

ورواه الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٢٧) من طريق محمد بن صالح الواسطي عن الحجاج بن دينار عن الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ.. فذكره.

وابن أبي ليلى لم يسمع من معاذ، كما تقدم كلام الحافظ.

والحجاج بن دينار، وهو الواسطي: صدوق.

ومحمد بن صالح الواسطي ترجمه البخاري في «التاريخ» (١/ ١١٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٨٨) وغيرهما ولم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكر ابن أبي حاتم من الرواة عنه راويين فهو مجهول حال.

فحديث معاذ ضعيف.

وقد ذكر الإمام الدارقطني في «العلل» (٦/ ٥٤-٥٧) حديث معاذ وعبدالرحمن بن عائش وأنس وابن عباس، وحكم عليها بالاضطراب، وقد جاء الحديث عن صحابة آخرين، لم يذكرها الدارقطني رحمه الله.

وهو نفسه ذكر بعضها في كتاب «الرؤية» كما ستراه إن شاء الله تعالى.

٣- حديث عبدالرحمن بن عائش:

رواه الدارمي برقم (٢١٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٧)، وفي «الآحاد والمثاني» برقم (٢٥٨٥)، وابن النجاد برقم (٧٧ و٨٠ و٨١)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» ص(٥٥-٥٦)، والآجري في «الشريعة» برقم (١٠٤١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٩٠١ و٩٠٢)، وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم (٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٣٥-٣٦)، وفي «التفسير» (٤/ ٦٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» برقم (٣١٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١١)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٣٣-٢٤٠).

من طريق عبدالرحمن بن يزيد بن جَابِرٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ اللجْلَاجِ، وَسَأَلَهُ مَكْحُولٌ أَنْ يُحَدِّثَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ عَائِشٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبِّ. قَالَ: فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» وَتَلَا: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[الأنعام :٥٧].

وقال ابن خزيمة عقبه: قوله في هذا الخبر: قال سمعت رسول الله ﷺ وهم؛ لأن عبدالرحمن بن عائش لم يسمع من النبي ﷺ هذه القصة، وإنما رواه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، ولا أحسبه أيضًا سمعه من الصحابي؛ لأن يحيى بن أبي كثير رواه عن زيد بن سلام عن عبدالرحمن الحضرمي عن مالك بن يخامر عن معاذ، وقال يزيد بن جابر عن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. اهـ

وعبد الرحمن بن عائش الحضرمي مختلف في صحبته، كما في «الإصابة» (٤/ ٢٧٠-٢٧٣).

وراه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٨) من طريق ابن ثوبان، ثنا أبي يحيى مكحول وابن أبي زكريا عن عائش الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ.. فذكره.

وابن ثوبان، هو: عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان فيه ضعف.

ورواه يزيد بن يزيد بن جابر عند أحمد (٤/ ٦٦) و(٥/ ٣٧٨)، وابن خزيمة (١/ ٥٣٧-٥٣٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم(٧٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٢)

عن خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عائش عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ.. فذكره.

وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر في السند الأول، ويزيد بن يزيد بن جابر في هذا

السند أخوان كلاهما ثقة، لكن توبع عبدالرحمن في الطريق التي قبل هذه عند ابن أبي عاصم، وهي ضعيفة تصلح في الشواهد، فترجحت طريق عبدالرحمن بن يزيد، وأن الحديث من حديث عبدالرحمن بن عائش. وتقدم إعلال ابن خزيمة له.

فحديث عبدالرحمن بن عائش ضعيف.

٤- حديث أبي أمامة الباهلي صدي بن عجلان رضي الله عنه:

رواه ابن ابي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٩٠) برقم (٨١١٧)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٤٨-٢٥٠)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٨٧) من طريق ليث عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي أمامة عن النبي ﷺ.. فذكره.

وليث، هو: ابن أبي سليم ضعيف. وعبدالرحمن بن سابط ثقة يرسل، ولم يسمع من أبي أمامة. قاله ابن معين كما في «تحفة التحصيل» ص(١٩٧).

فحديث أبي أمامة ضعيف.

٥- حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

رواه البزار كما في «كشف الأستار» برقم (٢١٢٩) من طريق سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن ابن عمر.. فذكره.

وسعيد بن سنان متروك.

وله طريق أخرى عند الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٢) وفيه شعيب بن محمد

الحضرمي، قال شيخنا مقبل رحمه الله في «تراجم رجال الدارقطني» ص(٢٥٢): لم نجده.

ومحمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر.

ومحمد بن عبد الرحمن منكر الحديث. كما في «تهذيب التهذيب».

وأبوه عبد الرحمن البيلماني ضعيف، ولم يسمع من أحد من الصحابة إلا من سرق. كما في «تهذيب التهذيب».

فحديث ابن عمر ضعيف جدًا.

٦- حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٥) عن إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة به مختصرًا.

وهو حسن، وسماك بن حرب صدوق وقد تغير بآخرة، لكن احتج له مسلم بحديث رقم (٢٢٧٧): «إني لأعرف حجرًا بمكة ..» الحديث، ذكره مسلم رحمه الله بنفس سند هذا الحديث.

فهو حديث حسن على شرط مسلم.

٧- حديث ثوبان رضي الله تعالى عنه :

رواه ابن أبي عاصم في السنة» (٤٧٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٥٤٣)، وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم (٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٣٨-٣٩) برقم (٩٢٥)، والطبراني في «الدعاء» برقم (١٤١٧) من طريق

عبدالله بن صالح، ثنا معاوية بن صالح عن أبي يحيى عن أبي يزيد عن أبي سلام عن ثوبان.. فذكره.

وعبدالله بن صالح هو: المصري كاتب الليث ضعيف، وأبوسلام ممطور لم يسمع من ثوبان. قاله ابن معين وابن المديني وأحمد وأبوحاتم، كما في «تحفة التحصيل».

لكن تابعه ابن أبي مريم رواه ابن النجاد برقم (٨٣)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٥).

من طريق ميمون بن الأصبغ، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا معاوية به.

وابن أبي مريم وهو: سعيد بن الحكم ثقة، لكن السند إليه لا يثبت، فميمون بن الأصبغ روى عنه جماعة وذكره ابن حبان في «الثقات» ولم يُوثق. فهو مجهول حال.

لكن له متابعة صحيحة عند الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٦) تابعه ابن وهب عن معاوية به.

وخالفهم الليث بن سعد عند البزار كما في «كشف الأستار» برقم (٢١٢٨) فرواه عن معاوية بن صالح عن أبي يحيى عن أبي أسماء عن ثوبان.. فذكره مطولًا.

وقال البزار عقبه:(وقد روي هذا من وجوه فاقتصرنا على حديث ثوبان لأن فيه ما ليس في حديث معاذ ولا حديث ابن عباس ولا عبد الرحمن بن عائش)اهـ.

فالثابت هو طريق ابن وهب، وهو عبدالله بن وهب، وهو ثقة حافظ عابد. والليث بن سعد ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، كما قال الحافظ في «التقريب».

فطريق الليث أرجح لأنه أرجح، وهي سالمة من الانقطاع وهي حسنة.

ومعاوية بن صالح هو: ابن حدير صدوق له أوهام. وأبويحيى وإن قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٧) أبو يحيى لا أعرفه. اهـ وقد سماه البغوي فقال: هو سليم بن عامر الخبائري. وقال ابن منده: وهو سليم.

قلت: وهو ثقة. وأبوأسماء هو: عمرو بن مرثد الرحبي، وقيل اسمه: عبدالله، ثقة. فحديث ثوبان حسن.

٨- حديث أم الطفيل امرأة أبي بن كعب رضي الله عنها:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٧١)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ برقم٣٤٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (٩)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٨٦-٢٨٧)

من طريق مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل.. فذكره.

وعند ابن الجوزي والطبراني: «في صورة شاب موقر» إلخ. وعند الدارقطني: «موفر» بدل: «موقر». وعمارة بن عامر ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٥٠٠-٥٠١)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٧٦)، وابن حبان في «الثقات» (٥/ ٢٤٥) ولم يذكروا فيه تعديلًا.

وقال البخاري: لا يعرف سماع عمارة من أم الطفيل. وقال ابن حبان: يروي عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي» حديثًا منكرًا لم يسمع عمارة من أم الطفيل، وإنما ذكرته لكي لا يغر الناظر فيه فيحتج به، من حديث

أهل مصر. اهـ

ومروان بن عثمان أبوعثمان المدني، قال أبوحاتم: ضعيف. وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال النسائي: مَنْ مروان بن عثمان حتى يصدق على الله عز وجل؟.

وقال الحافظ في الحديث: وهو متن منكر. كما في «تهذيب التهذيب».

فحديث أم الطفيل منكر جدًا.

٩- حديث أبي رافع رضي الله تعالى عنه :

رواه الطبراني في «الكبير» (١/ برقم٩٣٨) من طريق عبدالله بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن عبيدالله بن أبي رافع عن أبي رافع.. فذكره.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٣٧): وفيه عبدالله بن إبراهيم بن الحسين عن أبيه، ولم أر من ترجمهما. اهـ

١٠- حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٥١ و١٥٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٠).

من طريق عبدالرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة عن أبي عبيدة بن الجراح.. فذكره.

وعبدالرحمن بن سابط ثقة كثير الإرسال. قال الحافظ المزي: وقيل: لم يدركه. «تهذيب الكمال» (٣٣/ ١٦٨) و(١٧/ ١٢٤)، فهو منقطع.

١١- حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه:

رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٥١ و١٥٢)، وابن الجوزي في «العلل

المتناهية» برقم (١٠) مقرونًا مع حديث أبي عبيدة بن الجراح

من طريق الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب. لكنهما لم يسوقا لفظه، وسنده حسن.

وقد ساق الطبراني لفظه في «المعجم الكبير» (٨/ ٣٢٢)، و«الأوسط» برقم (٥٤٩٢)، ولفظه: سئل رسول الله ﷺ: فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث، ولم يذكر فيه الرؤية.

لكنها من طريق أبي سعد سعيد بن المرزبان ضعيف جدًا، وقد خالفه في الطريق الأولى سفيان وهو الثوري، وهو أرجح. فالطريق الأولى أصح. وهي حسنة.

١٢- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٥٣)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٧٩)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٤٧) من طريق يوسف بن عطية عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ... فذكره.

ويوسف بن عطية الصفار أبو سهل: متروك.

وقد حكم عليه الدارقطني في «العلل» بالوهم (٦/ ٥٥).

وله طريق أخرى عند ابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٩) من طريق فهد بن عوف عن حماد عن ثابت عن أنس.. فذكره.

وفهد بن عوف، قال علي بن المديني: هو كذاب. كذا عقبه ابن الجوزي، وكذا ذكر قول علي بن المديني في «لسان الميزان» (٤/ ٥٤١)، وزاد: وتركه مسلم والفلاس،

وقال أبوزرعة: اتهم بسرقة حديثين. وقال العجلي: كان من أروى الناس عن فضيل، ولا بأس به. اهـ

فحديث أنس ضعيف جدًا.

١٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه ابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٨٢)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم (٧٢)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٩١٩)، والطبراني في «الدعاء» برقم (١٤٢١)

من طريق عبيدالله بن أبي حميد عن أبي المليح الهذلي عن أبي هريرة رضي الله عنه.. فذكره.

وعبيدالله بن أبي حميد الهذلي أبوالخطاب البصري: متروك. وقد قال البخاري: يروي عن أبي المليح عجائب. وقال الحاكم وأبونعيم: يروي عن أبي المليح وعطاء مناكير. كما في «تهذيب التهذيب».

فحديث أبي هريرة ضعيف جدًا.

١٤- عمران بن حصين رضي الله عنهما:

رواه الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥١) من طريق عبيدالله، وهو ابن أبي حميد الهذلي عن أبي المليح عن عمران.. فذكره.

وعبيدالله تقدم في الحديث قبله أنه متروك، وروايته عن أبي المليح أشد ضعفًا.

فحديث عمران ضعيف جدًا.

١٥- حديث أخي أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه:

ذكر ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٢١) ولم يذكر له سندًا ولا عزوًا حتى نحكم عليه.

١٦- حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه:

ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٥) وعزاه لابن مردويه، ولم يذكر سنده حتى نحكم عليه.

فالحديث صحيح، والحمد لله، ولا تغتر بتضعيف محققي مسند أحمد للحديث فإنهم يصححون ما هو دونه في المرتبة، لكنه لما خالف معتقدهم الأشعري ضعفوه لهوىً بيّن، وقد صححه شعيب مع عبد القادر في تحقيق «زاد المعاد» والله المستعان.

والمراد بالرؤية هنا رؤية منامية، كما دلت عليه الأحاديث وللأدلة الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة أن الله لا يرى في الدنيا بالعين وبين السلف نزاع في الرؤية المنامية، والحديث يدل على ذلك ، وأما الرؤية البصرية فلا خلاف بينهم أنه لا يرى في الدنيا.

وأما الرؤية البصرية في الدنيا فلا دليل على ذلك ،ولم يقل به أحد من الصحابة ولا من الأئمة المشهورين . قاله شيخ الإسلام في جامع المسائل (١/ ١٠٥) والله أعلم.

قوله: (**والحديث على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره، ولا نناظر فيه أحدًا**):

أي نمر الحديث على ظاهره المراد منه، مع اعتقاد معناه، والكلام في تلك التأويلات هو من البدع فلا نخوض فيه.

قوله: (**وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخُلَّة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدًا ﷺ بالرؤية**):

صحيح موقوفًا، رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٤٣٦، ٤٤٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة برقم (٥٧٧-٥٧٩)، والنسائي في التفسير من الكبرى (٦/ ٤٧٢ برقم ١١٥٣٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ٤٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١ برقم ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٥)، و(٢/ ٤٦٩)، وابن منده في الإيمان برقم (٧٦٢).

قوله: (**وروى عطاء عن ابن عباس** (رضي الله عنهما)[1]، **قال: رأى محمد ﷺ ربَّه مرتين**):

صحيح موقوفًا، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٩٥ برقم ١١٣٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٩١ برقم ٢٨٦)، والطبراني في الكبير (١١ برقم ١١٤٥٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٩١٢)، وهو صحيح، وزاد اللالكائي: بفؤاده.

---

(١) ليس في (ط).

والحديث في صحيح مسلم (١٧٦)- ٢٨٥، قال: رآه بفؤاده مرتين، فيتعين المصير إلى هذا؛ إذ لا قائل من الصحابة أنه ﷺ رآه بعينه كما قال شيخ الإسلام.

قوله: **(وروي عن أحمد (رحمه الله)** [(١)] **أنه قيل له: بِمَ تجيب عن قول عائشة رضي الله تعالى عنها: «من زعم أن محمدًا قد رأى ربَّه عز وجل...» الحديث؟):**

رواه البخاري برقم (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

قوله: **(قال: بقول النبي ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّيَ عَزَّ وَجَلَّ»):**

تقدم تخريج الحديث قريبًا.

وقول أحمد ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري(٨/ ٦٠٨-٦٠٩) قال:

ومما أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها؟

قال بقول النبي ﷺ: «**رأيت ربي**» قول النبي ﷺ أكبر من قولها.

وقد أنكر صاحب الهدى على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه، قال: وإنما قال مرة رأى محمد ربه، وقال مرة بفؤاده.اهـ.

قلت: ولم أجده في السنة للخلال، وكلام ابن القيم رحمه كافٍ، والله أعلم.

---

(١) في (خ): «رضي الله تعالى عنه».

قوله:(وفي حديث شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال: «فرجعت إلى ربي وهو في مكانه»، والحديث بطوله مُخرَّجٌ في الصحيحين، والمنكِرُ لهذه اللفظة رادٌّ على الله ورسوله):

هذا الحديث رواه البخاري برقم (٧٥١٧) قال رحمه الله:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نِعْمَ الِابْنُ أَنْتَ،

فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ فَقَالَ: «مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ.

فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ قَالَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتِ الأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ: ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى اللهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: «عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ إِلَى

الْجَبَّارِ، فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: «يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا؛ فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا»، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: «يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا» فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ قَالَ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ» قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: «خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا».

قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مُوسَى قَدْ وَاللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ» قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللهِ قَالَ: وَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وعليه مؤاخذات:

الأولى: أن الحديث عند مسلم برقم (١٦٢) قال رحمه الله:

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم:٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْـه، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عرج بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَـةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَـنْ مَعَـكَ؟ قَـالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّـبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ،ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَـنْ هَـذَا؟ قَـالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَـدْ بُعِـثَ إِلَيْـهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُـوَ يَدْخُلُـهُ كُـلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَـا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ الله مَا غَشِيَ تَغَـيَّرَتْ فَـمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَـى، فَفَـرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ:خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ: ارْجِـعْ إِلَى رَبِّـكَ فَاسْـأَلْهُ التَّخْفِيـفَ فَـإِنَّ أُمَّتَـكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًـا قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّـكَ فَاسْـأَلْهُ التَّخْفِيـفَ قَـالَ: فَلَـمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْـسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَـمْ

يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وليس فيه للفظ البخاري، بل إنه مختلف.

زد على ذلك أن الإمام مسلم في رواية للحديث رقم (٢٦٢) ذكر رواية شريك الذي عند البخاري ولم يسق لفظها وقال: وساق الحديث بصفته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئًا وأخر، وزاد ونقص.اهـ.

الثانية: أن هذه اللفظة قد أنكرت على شريك، وأنكرها الأئمة فمنهم:

الأول: مسلم بن الحجاج وقد تقدم كلامه.

الثاني: البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٥٧) قال:

رواه البخاري في الصحيح عن عبد العزيز بن عبد الله عن سليمان بن بلال، ورواه مسلم عن هارون بن سعيد الأيلي ، عن ابن وهب ، ولم يسق متنه، وأحال به على رواية ثابت عن أنس رضي الله عنه.

وليس في رواية ثابت عن أنس لفظ الدنو والتدلي ، ولا لفظ المكان .

وروى حديث المعراج ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أبي ذر، وقتادة، عن مالك بن صعصعة، ليس في حديث واحد منهما شيء من ذلك.

وقد ذكر شريك بن عبد الله بن أبي نمر في روايته هذه ما يستدل به على أنه لم يحفظ الحديث كما ينبغي له؛ من نسيانه ما حفظه غيره، ومن مخالفته في مقامات الأنبياء الذين رآهم في السماء من هو أحفظ منه .

الثالث والرابع: ابن حزم والخطابي، كما في فتح الباري(١٣/ ٤٨٣-٤٨٤).

الخامس: القاضي عياض في إكمال المعلم (١/ ٤٩٧) قال:

وقد جاء عند مسلم من رواية شريك في هذا الحديث اضطراب وأوهام، أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: فقدم وأخر، وزاد ونقص منها .اهـ.

السادس: عبد الحق الأشبيلي في الجمع بين الصحيحين (١/ ١٢٧) قال بعد ذكر رواية شريك هذه في حديث أنس:

هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة . اهـ.

السابع: النووي كما في شرحه لمسلم (٢/ ٣٤٨) .

الثامن: ابن القيم في الزاد (٣/ ٤٢) قال:

وقد غلَّط الحفاظُ شريكًا في ألفاظ في حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: فقدم وأخر، وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله .اهـ.

وغير هؤلاء الأئمة ممن أنكر هذه اللفظة عن شريك، بل إن شريكًا خالف غيره، وأخطأ في اثني عشر موضعًا في هذا الحديث، وقد عدها الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٨٥-٤٨٦).

أوهام شريك في حديث الإسراء:

الأول: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة . انظر الفتح (١٣/ ٤٨٠).

الثالث: كون المعرج منامًا.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى.

الخامس: مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات، وإن عنصرهما في السماء الدنيا والمشهور من غير روايته أنهما في السماء السابعة، أو أنهما من تحت سدرة المنتهى.

السادس: شق الصدر عند الإسراء، وإن كان وافقه غيره عليه .

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا.

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله عز وجل، والمشهور في الحديث أنه جبريل عليه السلام.

التاسع: تصريحه بأن امتناعه ﷺ إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومتقضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة .

العاشر: قوله: فعلا به الجبار، فقال: وهو في مكانه .

الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس، والمشهور في الأحاديث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع .

الثاني عشر: زيادة التور والطست. اهـ

فإن ثبت الحديث كان منكره رادًا على الله عز وجل، وعلى رسوله ﷺ، وعلى خطر عظيم كما يقول المصنف رحمه الله، أما والحديث لم يثبت فلا إشكال، بل القائل به مع ضعفه مخطىء فرؤية النبي ﷺ لربه كانت قلبية لأن الرؤية البصرية في الدنيا غير ممكنة، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى.

وصنيع المؤلف يدل أنه يرى أن رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل كانت ليلة المعراج، وليس كذلك فالصحيح أن هذه الرؤية لم تكن ليلة المعراج كما يدل عليه الحديث السابق.

قال الإمام ابن القيم رحمه في الزاد (٣/ ٣٧):

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة أنه لم يره.

قال شيخ الإسلام- قدس الله روحه- وليس قول ابن عباس: إنه رآه مناقضًا لهذا، ولا قوله رآه بفؤاده، وقد صح عنه أنه قال: «رأيت ربي تبارك وتعالى»(١) ولكن لم يكن هذا في الإسراء ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقال: نعم رآه حقًا؛ فإن رؤيا الأنبياء حق، ولا بد.

ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة: رآه ،ومرة قال: رآه بفؤاده.

---

(١) تقدم تخريجه.

فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة، من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك. اهـ.

والحديث الذي يشير إليه المصنف ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري(٨/ ٦٠٨-٦٠٩) قال:

ومن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها؟

قال بقول النبي ﷺ: «**رأيت ربي**» قول النبي ﷺ أكبر من قولها.

وقد أنكر صاحب الهدى على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه، قال: وإنما قال مرة رأى محمد ربه، وقال مرة بفؤاده.اهـ.

الشفاعة

قوله:(ويعتقد أهل السنة ويؤمنون أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم، شفاعة عامة):

تعريف الشفاعة:

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الواسطية(ص١٣٧):

الشفاعة في اللغة: جعل الوتر شفعًا، قال الله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣].

وفي الاصطلاح: هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة فمثلًا شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف أن يقضى بينهم هذه شفاعة بدفع مضرة، وشفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها بجلب منفعة. اهـ.

والشفاعة أقسام:

الأولى: الشفاعة لأهل الموقف وهي هذه التي ذكرها المؤلف، ومن أدلتها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ

خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ

يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ- وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا -نَفْسِي- نَفْسِي- نَفْسِي-، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم(١٩٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ

الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتَيْ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ».

وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

رواه مسلم برقم (١٩٥).

قوله:(ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا.

كما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة يدعو بها، فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»):

رواه البخاري برقم (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

قوله:(وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنه قال: قلتُ: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلَ منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إنَّ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه». رواه البخاري):

رواه البخاري برقم (٩٩).

وهذه الشفاعة الثانية: وهي الشفاعة لأهل الكبائر:

لحديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

رواه أحمد (٣/ ٢١٣).

وجاء من حديث جابر وابن عمر وكعب بن عجرة وابن عباس وأبي الدرداء وعلي، ذكرها شيخنا في كتابه الشفاعة.

والحديث صحيح.

الثالثة:الشفاعة لأهل الجنة:

لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عند مسلم برقم (١٩٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا».

وفي رواية للحديث: «وأنا أول من يقرع باب الجنة».

وفي رواية في الحديث أيضًا: «أنا أول شفيع في الجنة».

وعند مسلم برقم (١٩٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَة، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

الرابعة: شفاعته ﷺ لأناس يدخلون الجنة بغير حساب لحديث أَبِي هُرَيرَة أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ».

رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم(١٩٤)، وقد تقدم في حديث طويل.

وَعَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ، أَوْ قَالَ: بِقُدَيْدٍ، فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنَّا يَسْتَأْذِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَيَأْذَنُ لَهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَكُونُ شِقُّ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ؟»

فَلَمْ نَرَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا بَاكِيًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُكَ بَعْدَ هَذَا لَسَفِيهٌ، فَحَمِدَ اللهَ، وَقَالَ حِينَئِذٍ: «أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ فِي الْجَنَّةِ».

قَالَ: «وَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبَوَّءُوا أَنْتُمْ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِكُمْ، وَأَزْوَاجِكُمْ، وَذُرِّيَّاتِكُمْ مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ، وَقَالَ إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ، أَوْ قَالَ ثُلُثَا اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».

رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٦) وهو صحيح.

الخامسة: شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».

رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

وحديث العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

رواه البخاري برقم (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩).

وهو بهذه الشفاعة، وهذا التخفيف أهون أهل النار عذابًا كما في صحيح مسلم (٢١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

وهذه الشفاعة خاصة أيضًا لأبي طالب وللنبي ﷺ.

السادسة: الشفاعة فيمن يستحق النار، فيُشفع في قوم فلا يصيرون إلى النار، لما روى البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا» قُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا»، ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا

كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؟ فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجَسْرُ؟

قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ

عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَأُوا: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾[النساء: ٤٠].

«فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ: الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

وفي مسلم برقم(١٩١) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ: «نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ

يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا».

قوله: **(وروى حديث الشفاعة بطوله أبو بكر الصديق):**

حسن، رواه أحمد في مسنده (١/ ٤-٥)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٧٥١، ٨١٢)، والبزار في مسنده برقم (٧٦)، وأبو يعلى في مسنده (٥٦، ٥٧)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٥١ برقم٤٤٣)، وابن حبان كما في الإحسان برقم (٦٤٧٦).

من طريق أَبِي نَعَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هُنَيْدَةَ الْبَرَاءُ بْنُ نَوْفَلٍ، عَنْ وَالَانَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الضُّحَى ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى الْأُولَى وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ: أَلَا تَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا شَأْنُهُ صَنَعَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ؟ قَالَ: فَسَأَلَهُ. فَقَالَ: «نَعَمْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الْآخِرَةِ، فَجُمِعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَفَظِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام وَالْعَرَقُ يَكَادُ يُلْجِمُهُمْ فَقَالُوا:

يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ وَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِثْلَ الَّذِي لَقِيتُمْ انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ إِلَى نُوحٍ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ وَاسْتَجَابَ لَكَ فِي دُعَائِكَ وَلَمْ يَدَعْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا. فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا. فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا فَيَقُولُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى فَيَقُولُ عِيسَى: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَشْفَعَ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَيَنْطَلِقُ فَيَأْتِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام رَبَّهُ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ فَيَخِرُّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ وَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ قَالَ: فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ؛ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَرَّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ قَالَ: فَيَذْهَبُ لِيَقَعَ سَاجِدًا فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام بِضَبْعَيْهِ فَيَفْتَحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ خَلَقْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ حَتَّى إِنَّهُ لَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ

وَأَيْلَةَ، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الصِّدِّيقِينَ فَيَشْفَعُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الْأَنْبِيَاءَ قَالَ: فَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الشُّهَدَاءَ فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا وَقَالَ: فَإِذَا فَعَلَتْ الشُّهَدَاءُ ذَلِكَ قَالَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا فِي النَّارِ هَلْ تَلْقَوْنَ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ. فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْمِحُوا لِعَبْدِي كَإِسْمَاحِهِ إِلَى عَبِيدِي، ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَمَرْتُ وَلَدِي إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ ثُمَّ اطْحَنُونِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الْكُحْلِ فَاذْهَبُوا بِي إِلَى الْبَحْرِ فَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ؛ فَوَاللهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَبَدًا. فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ مَخَافَتِكَ. قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرْ إِلَى مُلْكِ أَعْظَمِ مَلِكٍ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. قَالَ: فَيَقُولُ: لِمَ تَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟! قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي ضَحِكْتُ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى».

قوله:**(وعبد الله بن عباس)**:

ضعيف، رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٨١-٢٨٢، و ٢٩٥-٢٩٦)، وأبو داود الطيالسي، كما في مسنده برقم (٢٧١١)، وأبو يعلى في مسنده (٢٣٢٨).

مَنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدْ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ، وَيَطُولُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ فَلْيَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ إِنِّي قَدْ أُخْرِجْتُ مِنَ الْجَنَّةِ بِخَطِيئَتِي، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا رَأْسَ النَّبِيِّينَ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ؛ إِنِّي دَعَوْتُ بِدَعْوَةٍ أَغْرَقَتْ أَهْلَ الْأَرْضِ، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ؛ إِنِّي كَذَبْتُ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ، وَاللهِ إِنْ حَاوَلَ بِهِنَّ إِلَّا عَنْ دِينِ اللهِ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات:٨٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]، وَقَوْلُهُ لِامْرَأَتِهِ حِينَ أَتَى عَلَى الْمَلِكِ: أُخْتِي، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام الَّذِي اصْطَفَاهُ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَلَامِهِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَلَّمَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ

فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ إِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ إِنِّي اتُّخِذْتُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي وَلَكِنْ أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِي وِعَاءٍ مَخْتُومٍ عَلَيْهِ أَكَانَ يُقْدَرُ عَلَى مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يُفَضَّ الْخَاتَمُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا. قَالَ: فَيَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَقَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ شَاءَ وَيَرْضَى، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ، فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ؛ نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، فَتُفْرَجُ لَنَا الْأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا فَنَمْضِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ: كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا فَنَأْتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَأَقْرَعُ الْبَابَ، فَيُقَالُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيُفْتَحُ لِي فَآتِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَوْ سَرِيرِهِ -شَكَّ حَمَّادٌ- فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي وَلَيْسَ يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا -لَمْ يَحْفَظْ حَمَّادٌ- ثُمَّ أُعِيدُ فَأَسْجُدُ فَأَقُولُ مَا قُلْتُ، فَيُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ تُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا

دُونَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ أُعِيدُ فَأَسْجُدُ فَأَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِيَ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَقَالَ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا دُونَ ذَلِكَ».

وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

قوله:(**وعبد الله بن عمر بن الخطاب**):

رواه البخاري برقم (١٤٧٥، ٤٧١٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ.

وَقَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ».

والجزء الأول منه رواه مسلم برقم (١٠٤٠).

قوله:(**وأنس بن مالك**):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ، فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَو اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا. وَلَكِن ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ**

هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا. وَلَكِن ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا. وَلَكِن ائْتُوا مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ. قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا. وَلَكِن ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِن ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِن النَّارِ وَأُدْخِلُهُم الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِن النَّارِ وَأُدْخِلُهُم الْجَنَّةَ، قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: فَأَقُولُ يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ»**.

رواه البخاري برقم (٦٥٦٥) ومسلم برقم (١٩٣).

قوله:**(وحذيفة بن اليمان)**:

رواه مسلم برقم (١٩٥)، وقد تقدم حديثه قريبًا.

قوله: (**وأبو موسى عبد الله بن قيس**):

صحيح، رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٨١٩)، ومعمر في الجامع المطبوع من آخر مصنف عبد الرزاق (١١/ ٤١٣) برقم (٢٠٨٦٥)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٤٥-٦٤٦) برقم (٣٨٧)، والطبراني في الكبير (١٨) برقم (١٣٦).

عن أبي قلابة عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا ليلة فقمت اطلب النبي ﷺ فلم أجده ووجدت معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري فقالا: ما حاجتك؟ فقلت أين رسول الله ﷺ؟

فقالا: لا ندري. فبينا نحن على ذلك إذ سمعنا في أعلى الوادي هديرًا كهدير الرحا، فلم نلبث أن جاء النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله فقدناك الليلة، فقال: «إنه أتاني آت من ربي فخيرني بين أن تكون أمتي شطر أهل الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة».

فقلنا: يا نبي الله ادع الله أن يجعلنا من أهل الشفاعة. فقال: «اللهم اجعلهم من أهلها»، ثم أتينا القوم فأخبرناهم، فقالوا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهل شفاعتك.

فقال: «اللهم اجعلهم من أهلها»، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشهدكم أن شفاعتي لكل من مات لا يشرك بالله شيئًا».

قوله: (**وأبو هريرة**):

رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، وقد تقدم قريبًا.

قوله:(وغيرهم (رضي الله عنهم أجمعين) [١]):

روى حديث الشفاعة أيضًا عقبة بن عامر الجهني، وأبو سعيد الخدري، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وجابر بن عبدالله، وكعب بن مالك، وسلمان، وعبدالله بن سلام، وابن مسعود رضي الله عنهم، وأحاديثهم ذكرها شيخنا الوادعي -رحمه الله- في كتاب الشفاعة، فراجعها هنالك إن شئت.

شروط الشفاعة:

قوله:(﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]):

وهذا الآية الكريمة الشرط الأول من شرط الشفاعة وهو رضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦].

الشرط الثاني: إسلام المشفوع له، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر:١٨]، والظلم هنا الشرك والكفر إلا أبا طالب كما تقدم في شفاعة خاصة به في تخفيف العذاب عنه.

الشرط الثالث: إذن الله للشافع بالشفاعة، لقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:٢٦].

---

(١) ليس في (ط).

الشرط الرابع: قدرة الشافع على الشفاعة، قال الله تعالى: ﴿لا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف:٨٦].

فهذه أربعة شروط للشفاعة الأول والثاني يتعلقان بالمشفوع له، والثالث والرابع يتعلقان بالشافع.

الشرط الخامس: في الشافع أن لا يكون لعانًا لما روى مسلم (٢٥٩٨) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ: لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أقسام الناس في الشفاعة:

وقد اختلف الناس في الشفاعة على ثلاث أقسام:

القسم الأول: المشركون والنصارى: يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، كما في شرح الطحاوية (ص٢٩٣-٢٩٤).

قال تعالى عن المشركين: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَاهُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

القسم الثاني: الصوفية: غلوا في هذا الباب حتى جعلوا الأولياء لهم تصرفًا مطلقًا، ولذلك لما سئل التيجاني عن القول المنسوب لعبد القادر الجيلاني: وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن، ونحوه من أقوال القوم؟

فقال: وذلك أن الله ملكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم على مملكته تفويضًا عامًا أن يفعلوا في مملكة كل ما يريدون...إلى آخر كلامه الباطل الذي لا ينفق على من شم رائحة علم أوله عقل.

راجع تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لأحمد محمد لوح(١/ ١٣٤).

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة: وهم الذين أنزلوا الأدلة مواضعها كما رأيت؛ وهذا في بيان معتقدهم.

المنكرون للشفاعة:

المنكرون للشفاعة في أهل الكبائر هم:

الأول: المعتزلة: قال القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة: لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟

ثم قال: فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين.

ويقول في موضع آخر، فحصل لك بهذه الجملة العلم بأن الشفاعة ثابتة للمؤمنين دون الفسقة من أهل الصلاة.

انتهى من كتاب المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد بن عبد الله المعتق(ص٢٣٦).

الثاني: الخوراج: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

أما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات، ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقًا.

انتهى من مجموع الرسائل والمسائل (١/ ١٥).

وتعتقد الإباضية (وهي فرقة من الخواج) أن الشفاعة حق للمتقين ولا تكون للعاصين، وقد رددت عليهم برسالة بعنوان: الطوفان على إباضية عُمان، وهي مطبوعة ولله الحمد.

وقد نص أيضًا ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٩٤) على أن الخوارج والمعتزلة ينكرون الشفاعة في أهل الكبائر.

وكلام شيخ الإسلام: أمتن؛ فإن بعضهم ينكرها بالكلية، وبعضهم يتأولها، وهذا التأويل من بعضهم راجع إلى إنكارها.

والحامل للخوارج والمعتزلة على إنكار هذه الشفاعة هو أصلهم الفاسد أن صاحب الكبيرة مخلد في نار جهنم، وأنه كافر.

أما أهل السنة والجماعة: فيثبتون الشفاعة في أهل الكبائر من المسلمين عملًا بالأدلة وتنزيلًا لها في مواضعها.

الشافعون:

الذين يشفعون هم:

الأول: الأنبياء.

الثاني: المؤمنون.

الثالث: الملائكة.

الرابع: رب العالمين، وقد تقدمت الأدلة على ذلك.

الخامس: الأولاد يشفعون في آبائهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟، فَيَقُولُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ».

رواه أحمد (٢/ ٥٠٩) وهو حسن.

وعند مسلم (٢٦٣٥) عَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا قَالَ: قَالَ: «نَعَمْ صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ، أَوْ قَالَ بِيَدِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى، أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ».

السادس: القرآن:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

قَالَ مُعَاوِيَةُ – أحد الرواة – بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ.

رواه مسلم برقم (٨٠٤)، وهذا الحديث أصح ما ورد في أن القرآن يشفع.

أسباب الشفاعة:

الأول: التوحيد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَاهُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ».

رواه البخاري برقم(٩٩).

وعند البخاري برقم (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا».

الثاني: قراءة القرآن، لحديث أبي أمامة السابق.

الثالث:سُكنى المدينة، والصبر على لأوائها وشدتها:

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَأَتَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: إِنِّي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ: اقْعُدِي لَكَاعِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

رواه مسلم برقم(١٣٧٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا**».

رواه مسلم برقم(١٣٧٨).

ورواه مسلم برقم(١٣٧٤)عن أبي سعيد.

ورواه مسلم برقم (١٣٦٣) عن سعد بن أبي وقاص.

الرابع: الصلاة على النبي ﷺ عقب الآذان وطلب الوسيلة له:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَاهو، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَة».

رواه مسلم برقم(٣٨٤).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ، وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه البخاري (٦١٤).

الخامس: كثرة السجود:

عَنْ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ-رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ: «أَلَكَ حَاجَةٌ؟» قَالَ: حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَاجَتِي قَالَ:« وَمَا حَاجَتُكَ؟»

قَالَ: حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: «وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا؟» قَالَ: رَبِّي قَالَ: «إِمَّا لَا، فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

رواه أحمد (٣/ ٥٠٠) وسنده صحيح.

ولشيخنا مقبل رحمه الله كتاب في الشفاعة أحسن مرجع في بابه أودعت ملخصه ههنا.

الإيمان بالحوض

قوله: **(ثم الإيمان بأن لرسول الله ﷺ حوضًا تَرِدُهُ أُمَّتُهُ كما صحَّ عنه)**:

الحوض في اللغة: قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٣٩٥):

حاض الماء وغيره حوضًا وحوضه: حاطه وجمعه.

وحضت أحوض: اتخذت حوضًا.

واستحوض الماء: اجتمع.

والحوض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض.

واصطلاحًا: هو الماء المجتمع المذكور في الأحاديث أنه للنبي ﷺ يوم القيامة.

والحوض موجود الآن كما في صحيح البخاري برقم (٦٥٩٠) ومسلم(٢٢٩٦) عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨٨)، ومسلم (١٣٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨١) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ».

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر: ١-٢].

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٧٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ».

وغيرها من الأدلة.

قوله: **(وأنه كما بين عدن إلى عمّان البلقاء)**:

صحيح، رواه أحمد (٥/ ٢٥٠) ثم ضرب عليه، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٧٢٩)، وابن حبان كما في الإحسان برقم (٦٤٥٧)، والطبراني في الكبير (٨/ برقم ٧٦٦٥، ٧٦٧٢) وفي مسند الشاميين برقم (١٩٦٨)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ**»، قِيلَ فَمَا سِعَةُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟

قَالَ: «**كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُمَانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ**» **يُشِيرُ بِيَدِهِ، قَالَ**: «**فِيهِ مَثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ**»، قِيلَ فَمَا حَوْضُكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟

قَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ العَسَلِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا**».

وجاء هذا الحديث عن ثوبان، رواه أحمد (٥/ ٢٧٥)، والطيالسي- كما في مسنده (٩٩٥)، والترمذي برقم (٢٤٤٤)، وابن ماجه برقم (٤٣٠٣)، وابن أبي عاصم برقم (٧٠٦، ٧٠٧، ٧٤٧، ٧٤٩)، من طريق أبي سلام ممطور الحبشي- عن ثوبان فذكره .

وممطور لم يسمع من ثوبان.

وعَمَّان بفتح العين المهملة، وتشديد الميم، وفتحها، بلد في طرف الشام، وهي عاصمة دولة الأردن، والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، ونسبت عمان للبلقاء لقربها منها.

انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٤٨٩ و٤/ ١٥١).

قوله:(**وروي**: «**من مكة إلى بيت المقدس**»، **وبألفاظ أُخَر**: «**ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء**»، **رواه عبد الله بن عمر**):

حديث ابن عمر صحيح، رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢١٢٠)، من طريق الْمُخَارِقِ بْنِ أَبِي الْمُخَارِقِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، أَكْوَابُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**».

و المخارق مجهول عين، كما في الجرح والتعديل (٨/ ٣٥٢).

وله طريق عند الدارمي برقم (٢٨٧٩)، والترمذي بـرقم (٣٣٦١)، وابـن ماجـه برقم (٤٣٣٤)، وهو صحيح، لكن عندهم بدل «**اللبن**»: «**الثلج**»، ولـيس عنـدهم: «**وعدد النجوم**»، وهي عند مسلم برقم (٢٢٩٩)-٣٥.

قوله:(**وعبد الله بن عمرو**):

رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عَنْ عَبْدُ اللهِ بْـنُ عَمْـرٍو قَـالَ: قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِـنَ المِسْـكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا».

قوله:(**وأبي بن كعب**):

حديث أبي بن كعب ضعيف جدًا، رواه ابن أبي عاصم في السـنة بـرقم (٧١٧)عـن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «وأنا على الحوض».

قيل: وما الحوض يا رسول الله؟ قال: «والـذي نفسي بيـده إن شرابـه أبـيض مـن اللبن، وأحلى من العسل، وأبيض من الثلج، وأطيب ريحًا من المسـك، وآنيتـه أكثـر عددًا من النجوم، لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدًا، ولا يصرف عنـه إنسـان فـيروى أبدا».

وفي سنده عبد الغفار بن قاسم أبـو مـريم الأنصـاري، كـذاب، كـما في لسـان الميزان (٤/ ٤٥).

قوله:(وأبو ذر):

رواه مسلم برقم(٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ المظْلِمَةِ المصْحِيَةِ، آنِيَةُ الجُنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجُنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِن الْعَسَلِ**».

قوله:(**وثوبان مولى رسول الله ﷺ**):

رواه مسلم برقم(٢٣٠١) عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**» فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «**مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ**» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِن الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِن الجُنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**».

قوله:(**وأبو أمامة الباهلي**):

حديث أبي أمامة تقدم .

قوله:(**و بريدة الأسلمي**):

حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ضعيف، رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢١١٩) عن بريدة، قال : قال رسول الله ﷺ: «**حوضي ما بين عمان واليمن، فيه آنية عدد النجوم، وأحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وألين من الزبد، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا**».

وفي سنده: عائذ بن نسير، ضعيف كما في لسان الميزان.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٧٧-٢٧٨):

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، ورواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا رضي الله تعالى عنه م، ولقد استقصى طرفها شيخنا الكبير عماد الدين ابن كثير تغمده الله برحمته في آخر تاريخه الكبير المسمى بـ(البداية والنهاية) اهـ.

قلت: هو النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير رحمه الله انظر (١/ ١٨٨-٢٠٩).

و راجع مرويات الصحابة رضي الله تعالى عنه م في الحوض والكوثر، جمعها عبد القادر بن محمد عطا وجمع فيها ثلاث رسائل.

صفات الحوض:

الأولى: أشد بياضًا من اللبن.

الثانية: آنيته عدد نجوم السماء.

الثالثة: من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

الرابعة: أحلى من العسل.

الخامسة: طوله شهر وعرضه شهر.

لحديث عبد الله بن عمرو المتقدم قريبًا، وكذا ما عند البخاري برقم (٦٥٨٣)، ومسلم(٢٢٩٠) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ

مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».

وحديث أبي ذر المذكور قريبًا.

وفي البخاري برقم(٦٥٨٠)، ومسلم(٢٣٠٣) عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وفي صحيح البخاري برقم(٦٥٨٩) عَنْ جُنْدَب قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

وفي صحيح البخاري(٦٥٩٣)، ومسلم(٢٢٩٣) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

قَالَ: فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.

وفي صحيح البخاري برقم(٦٥٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ إِلَى

النَّارِ وَاللهِ قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٢٩٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٢٩٥) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٧٦)، ومسلم برقم (٢٢٩٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٣٠٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ».

وأما الجمع بين الروايات المختلفة في مسافة الحوض، فقال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (١٥/ ٥٧):

قوله ﷺ: «وإن عرضه ما بين أيلة إلى الجحفة»، وفي رواية «ما بين ناحيته كما بين جرباء وأذرح».

قال الراوي: هما قريبان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال، وفي رواية: عرضه مثل طوله مابين عمان إلى أيلة، وفي رواية من مقامي إلى عمان، وفي رواية قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وفي رواية ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة أما أيلة فبفتح الهمزة وإسكان المثناة تحت وفتح اللام وهي مدينة معروفة في عراف الشام على ساحل البحر متوسطة بين مدينة رسول الله ﷺ ودمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق نحو ثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل.

قال الحازمي: قيل: هي آخر الحجاز، وأول الشام، وأما الجحفة فسبق بيانها في كتاب الحج، وهي بنحو سبع مراحل من المدينة بينها وبين مكة.

وأما جرباء فبجيم مفتوحة ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة هذا هو الصواب المشهور أنها مقصورة، وكذا قيدها الحازمي في كتابه المؤتلف في

الأماكن، وكذا ذكرها القاضي وصاحب المطالع والجمهور وقال القاضي وصاحب المطالع: ووقع عند بعض رواة البخاري ممدودًا قالا: وهو خطأ.

وقال صاحب التحرير: هي بالمد وقد تقصر.

قال الحازمي: كان أهل جربا يهودًا كتب لهم النبي ﷺ الأمان لما قدم عليه لحية بن رؤبة صاحب أيلة بقوم منهم ومن أهل أذرح يطلبون الأمان.

وأما أذرح فبهمزة مفتوحة ثم ذال معجمة ساكنه ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور.

قال القاضي وصاحب المطالع: ورواه بعضهم بالجيم قالا: وهو تصحيف لا شك فيه، وهو كما قالا وهي مدينة في طرف الشام في قبلة الشوبك بينها وبينه نحو نصف يوم وهي في طرف الشراط بفتح الشين المعجمة في طرفها الشمالي وتبوك في قبلة أذرح بينهما نحو أربع مراحل وبين تبوك ومدينة النبي نحو أربع عشرة مرحلة، وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم وهي بلدة بالبلقاء من الشام.

قال الحازمي: قال ابن الأعرابي: يجوز أن يكون فعلان من عم يعم فلا تنصرف معرفة وتنصرف نكرة، قال: ويجوز أن يكون فعالًا من عمن فتنصرف معرفة ونكرة إذا عني بها البلد هذا كلامه والمعروف في روايات الحديث وغيرها ترك صرفها.

قال القاضي عياض: وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبًا للاضطراب؛ فانه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي في كل واحد منها مثلًا لبعد أقطار

الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة فبهذا تجمع الروايات.

هذا كلام القاضي.

قلت: وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة، والله أعلم اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في النهاية (١/ ٢٠٩):

اختلاف تحديد الرسول ﷺ لحجم الحوض طولًا وعرضًا لاختلاف المخاطبين، فحدد لكل بالأمكنة التي يعرف اهـ.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (١٥/ ٥٣-٥٤):

قوله ﷺ: «لأنا أفرطكم على الحوض» قال أهل اللغة: الفرط بفتح الفاء والراء، والفارط هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم.

والحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء، فمعنى فرطكم على الحوض سابقكم إليه كالمهيء له. اهـ.

هل الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط؟

قال الحافظ رحمه الله في الفتح (١١/ ٤٦٦):

قوله: (باب الحوض) أي حوض النبي ﷺ، وجمع الحوض أحواض، وهو مجمع الماء، وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب

الميزان إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكـون بعـد نصـب الصرـاط والمـرور عليه.

وقد أخرج أحمد والترمذي من حديث النضر بن أنس عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي فقال: « أنا فاعل» فقلت: أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك قال:« أنا عند الميزان »قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**أنا عند الحوض**».

وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط بـما سيأتي في بعـض أحاديـث هـذا الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يكادوا يردون، ويذهب بهـم إلى النـار ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قـد نجـا من النار، فكيف يرد إليها؟!

ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون مـن الحـوض بحيـث يرونـه ويـرون النـار، فيدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط.

وقال أبو عبد الله القرطبي في التذكرة: ذهـب صـاحب القـوت وغـيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط.

وذهب آخرون إلى العكـس، والصـحيح أن للنبـي ﷺ حوضـين أحـدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرًا.

قلت: وفيه نظر؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة كما تقدم، ويأتي ومـاؤه يصـب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمـد منـه، فغايـة مـا يؤخـذ مـن كـلام

القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط؛ فإن الناس يردون الموقف عطاشى، فيرد المؤمنون الحوض وتتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال: ألا تردون؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها، وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة. اهـ.

وهذا -أعني كون الحوض قبل الصراط -ترجيح ابن كثير في كتاب النهاية (١/ ٢٠٨)، وقال رحمه الله جوابًا عن حديث أنس الذي ذكره الحافظ ابن حجر وهو عند أحمد (٣/ ١٧٨)، والترمذي برقم (٢٤٣٣) وهو حسن:

والمقصود أن ظاهر الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضًا، وهذا لا أعلم به قائلًا، اللهم إلا أن يكون ذلك حوضًا ثانيًا لا يذاد عنه أحد، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

ويقوي قول الإمامين ابن حجر وابن كثير ما رواه البخاري برقم (٦٥٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللهِ قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».

وأيهما قبل الحوض أم الميزان؟

قال القرطبي في التذكرة (١/ ٣٦٨):

واختلف الناس في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟

فقيل: الميزان قبل الحوض، وقيل: الحوض.

قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل.

قلت-القائل القرطبي -:

والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الصراط والميزان، والله أعلم.

وقال أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة: وحكى بعض السلف من أهل التصنيف: أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله...إلخ.

فائدة: قال ابن كثير في النهاية (١/ ٢٠٩):

وإذا كان الظاهر كونه -أي الحوض- قبل الصراط، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل أو بعد ذلك؟

هذا مما يحتمل كلا الأمرين، ولم أرى في ذلك شيئًا فاصلًا، فالله أعلم أي ذلك يكون اهـ.

أين يكون الحوض؟

قال القرطبي في التذكرة (١/ ٣٧١):

ولا يخطر ببالك، أو يذهب وهمك إلى أن الحوض على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسامتة هذه الأقطار، أي في المواضع التي تكون بدلًا من هذه المواضع في هذه الأرض اهـ.

من يطرد عن الحوض:

تقدمت بعض الأدلة فيمن يطرد عن الحوض، وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَصْحَابِي فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

وفي صحيح البخاري برقم(٦٥٨٦)، ومسلم(٢٣٠٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى».

وفي مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٤٣)، وسنن الترمذي برقم (٢٢٥٩) عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعَةٌ أَحَدُ الْعَدَدَيْنِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْآخَرُ مِنَ الْعَجَمِ فَقَالَ: «اسْمَعُوا هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؟ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ».

وهو حديث صحيح.

وفي صحيح البخاري برقم (٤٧٤٠) ومسلم(٢٨٦٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ أَلَا إِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ

أَصْحَابِي فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ».

قال القرطبي رحمه الله في التذكرة (١/ ٣٧٣):

قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والراوفض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في الصغائر وعلى هذا التقدير يكون النور نور الوضوء يعرفون به، ثم قال لهم: سحقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلا الكافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان اهـ.

المنكرون للحوض:

المنكرون للحوض هم المعتزلة، و الخوارج ومنهم الإباضية.

ولذا يقول قائل الإباضية:

وما الصراط بجسر مثل ما … وما الحساب بعد مثل من ذهلا

وفي الأدلة مقنع لمن بصَّره الله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٦٧)فيما نقله عن القرطبي في المفهم:

وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة، وأحالوه على ظاهره، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهرة وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف:

قلت: ـ القائل الحافظ ـ أنكره الخوارج وبعض المعتزلة، وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية وولده.اهـ.

ونقول لأولئك المبتدعة المنكرين للحوض:

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا … لأصبح الصخر مثقال بدينار

والأدلة وإجماع السلف رد عليهم، وكذا كما قال القرطبي: لا يمنع منه العقل والعادة؛ ولكن لما فسدت عقولهم وفطرهم فسد معتقدهم فوقعوا في الزيغ

والضــلال البعيــد فــلا يعرفــون إلا مــا أشربــت قلــوبهم مــن البــدع والضــلال والانحراف، نسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

الإيمان بنعيم القبر وعذابه

قوله:(**والإيمان بعذاب القبر حقٌّ واجب، وفرض لازمٌ**):

قال القرطبي في التذكرة(١/ ١١٨):

القبر: واحد القبور في الكثرة، وأقبر في القلة، ويقال للمدفون: مُقبر

قال الشاعر:

لكـل أنـاس مـدفن بفنـائهم   فهـم ينقصـون والقبـور تزيـد

قوله:(**رواه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب**):

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواه البخاري (٤١١١)، ومسلم (٦٢٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «**مَلَأَ اللهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا؛ كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ**».

قوله:(**وأبو أيوب**):

رواه البخاري برقم: (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**».

قوله:(**وزيد بن ثابت**):

رواه مسلم برقم (٢٨٦٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ، أَوْ

خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِن الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِن الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.

قوله:**(وأنس بن مالك):**

رواه البخاري برقم (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠) عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ: مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ». اهـ .

قوله:**(وأبو هريرة):**

رواه البخاري برقم: (١٣٧٧)، ومسلم برقم(٥٨٨)، وبرقم(٢٨٧٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو: «اللهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ».

قوله:(**وأبو بكرة**):

حسن، رواه أحمد (٥/ ٣٦، و٣٩)، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٧٤)، و(١٠/ ١٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (٨٧٠)، والترمذي برقم: (٣٥٠٣)، والنسائي (٣/ ٧٣-٧٤) برقم: (١٣٤٦).

عَنْ مُسْلِمُ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْكَسَلِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: يَا بُنَيَّ مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟

قُلْتُ: سَمِعْتُكَ تَقُولُهُنَّ. قَالَ: الْزَمْهُنَّ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُنَّ.

قوله:(**وأبو رافع**):

ضعيف، رواه أحمد (٦/ ٣٩٢)، والنسائي (٢/ ١١٥-١١٦برقم٨٦٢-٨٦٣)، والطبراني في الكبير (١/ برقم:٩٦٢).

عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَيَتَحَدَّثُ عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَنْحَدِرَ لِلْمَغْرِبِ، قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُسْرِعُ إِلَى الْمَغْرِبِ مَرَرْنَا بِالْبَقِيعِ، فَقَالَ: «**أُفٍّ لَكَ، أُفٍّ لَكَ**»، قَالَ: فَكَبُرَ ذَلِكَ فِي ذَرْعِي فَاسْتَأْخَرْتُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي، فَقَالَ: «**مَا لَكَ امْشِ**»! فَقُلْتُ: أَحْدَثْتَ حَدَثًا، قَالَ: «**مَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: أَفَّفْتَ بِي.

قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ هَذَا فُلَانٌ بَعَثْتُهُ سَاعِيًا عَلَى بَنِي فُلَانٍ فَغَلَّ نَمِرَةً فَدُرِّعَ الْآنَ مِثْلَهَا**».

وفي سنده: منبوذ من آل أبي رافع مجهول حال.

قوله:(**وعثمان بن أبي العاص**):

لم أجده.

قوله:(**وعبد الله بن عباس**):

رواه البخاري برقم(١٣٦١)، ومسلم (٢٩٢)وهذا لفظه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**» قَالَ: فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**».

قوله:(**وجابر بن عبد الله**):

ضعيف، رواه البيهقي في عذاب القبر برقم (٢٢٥)، وفي سنده عنعنة أبي الزبير، وجاء حديث آخر عن جابر في عذاب القبر عند البيهقي برقم: (٢٣٩)، وفي سنده: ابن لهيعة، ضعيف.

قوله:(**وعائشة زوج النبي ﷺ**):

رواه البخاري برقم (٦٣٦٦)، ومسلم برقم(٥٨٤)، والبخاري برقم(٨٣٢)، ومسلم برقم: (٥٨٩) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ

فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «**صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**».

قوله:(**وأختها أسماء**):

رواه البخاري برقم: (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ يُصَلُّونَ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَطَالَ رَسُولُ الله ﷺ الْقِيَامَ جِدًّا حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، فَأَخَذْتُ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ إِلَى جَنْبِي، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي أَوْ عَلَى وَجْهِي مِن الماءِ قَالَتْ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَدْ تَجَلَّت الشَّمْسُ، فَخَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَّالِ** -لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- **فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ، فَأَمَّا المؤْمِنُ أَوِ الموقِنُ** -لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- **فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ الله جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا المنَافِقُ أَوِ المرْتَابُ** -لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- **فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ**».

قوله: **(وغيرهم (رضي الله عنهم)** [(١)]**)**:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**».

رواه البخاري برقم (١٣١٤).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه البخاري برقم (١٣٧٩) ومسلم برقم (٢٨٦٦).

فتنة القبر:

قوله: **(وكذلك الإيمان بمسألة منكرٍ ونكيرٍ)**:

سؤال منكر ونكير هو فتنة القبر، وقد جاء هذا في حديث رواه الترمذي برقم (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٨٤٦)، وابن حبان كما في الإحسان برقم (٣١١٧)، والآجري في الشريعة (٨٥٨) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ- أَوْ قَالَ-: أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ

---

(١) ليس في (ط).

النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ، هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

هذا حديث حسن.

الإيمان بالجنة والنار

قوله:(**والإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا، خلقتا للبقاء، لا للفناء**):

تعريف الجنة في اللغة: مادة الجيم والنون تدل على الستر، مثل الجن، والجنين، والجنان، والجنة، والمجن، وكجن الليل وغيرها.

وهي في اللغة: الحديقة ذات الشجر، والنخل، وجمعها جنان.

راجع لسان العرب (٢/ ٣٨٥-٣٩٢).

أما أدلة الجنة فقال الله تعالى في شأنها: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الحديد:٢١].

وأما النار فقال تعالى:﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٤].

وقال تعالى:﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

قال الطحاوي في عقيدته:

والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه. اهـ.

والأدلة كثيرة جدًا على أن الجنة، والنار قد خُلقتا، وهما معدتان الآن، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٤٢٠-٤٢١):

فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله: وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدَّعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣].

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾[الحديد: ٢١].

وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾[النبأ: ٢١-٢٢].

وقـال تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ رَآهُ نَزْلَـةً أُخْـرَى * عِنْـدَ سِـدْرَةِ الْمُنْتَهَـى * عِنْـدَهَا جَنَّـةُ الْمَأْوَى﴾[النجم:١٣-١٥].

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المـأوى كـما في الصـحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلـق بي جبرائيـل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال: ثم دخلت الجنة فإذا هـي جنابذة اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

قوله:(**وقد صحَّ في ذلك أحاديث عِدَّة**):

من هذه الأحاديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَـلَى صُـورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَـلَى أُولَئِـكَ النَّفَـرِ وَهُـمْ نَفَـرٌ مِـن الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّـةُ ذُرِّيَّتِـكَ**» قَـالَ: «**فَـذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَـةُ الله**» قَـالَ: «**فَـزَادُوهُ وَرَحْمَـةُ الله**» قَالَ: «**فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِـتُّونَ ذِرَاعًـا، فَلَـمْ يَـزَل الْخَلْـقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ**».

رواه البخاري برقم(٣٣٢٦) ومسلم برقم (٢٨٤١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «**قَـالَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ: أَعْـدَدْتُ لِعِبَـادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. مِصْدَاقُ ذَلِكَ**

فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:١٧]».

رواه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُم الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُم الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُم الْأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُم الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ».

رواه البخاري برقم(٣٣٢٧) ومسلم(٢٨٣٤) .

وهي كثيرة ولولا ذلك لزبرتها هنا لكن تركت ذكرها خشية الإطالة.

الإيمان بالميزان

قوله:(والإيمان بالميزان، قال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[الأنبياء: ٤٧]):

الموازين جمع ميزان، قال ابن منظور في لسان العرب (١٥/ ٢٩٠):

واحدها ميزان، وهي المثاقيل واحدها مثقال، ويقال للأدلة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضًا.

قال الجوهري: أصله موازن، انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه: موازين، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾[الأنبياء:٤٧].

قوله:(فيوزن فيها أعمال العباد من الحسنات والسيئات كما يشاء الله أن يوزن: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[المؤمنون:١٠٢-١٠٣]):

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٠].

وقال تعالى عن لقمان في وصيته لولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:١٦].

وفي صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣)، ومسلم(٢٦٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**».

وهذه الأدلة وغيرها صريحة في أن عمل الإنسان يوزن.

فإن قيل: كيف يوزن العمل وهو ليس جسمًا ؟

فالجواب: ما قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية(ص٥٠١):

إن الله سبحانه وتعالى يجعل هذه الأعمال أجسامًا، وليس هذا بغريب على قدرة الله عز وجل وله نظير وهو الموت؛ فإنه يجعل على صورة كبش، ويذبح بين الجنة والنار مع أن الموت معنى وليس بجسم، وليس الذي يذبح ملك الموت، ولكنه نفس الموت حيث يجعله الله تعالى جسمًا يشاهد ويرى كذلك الأعمال يجعلها الله أجسامًا توزن بهذا الميزان الحسي.اهـ

وهنالك أدلة أخرى تدل أن العامل هو الذي يوزن، فمنها:

قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾[الكهف:١٠٥].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وَقَالَ: اقْرَأوا: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾[الكهف: ١٠٥].

وعند الإمام أحمد في المسند(١/ ٤٢٠-٤٢١) وغيره عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**».

وهو حديث حسن.

وفي حديث البطاقة أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ!فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**».

رواه أحمد (٢/ ٢١٣) وهو حديث حسن.

قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاوية (ص٤١٩):

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال.اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرح الواسطية (ص٥٠٢-٥٠٣):

قال العلماء: إن الجمع بينهما أن يقال: إن من الناس من يوزن عمله، ومن الناس من يوزن صحائف عمله، ومن الناس من يوزن هو بنفسه.

وقال بعض العلماء: الجمع بينهما أن يقال:إن المراد بوزن العمل أن العمل يوزن وهو في الصحائف، ويبقى وزن صاحب العمل فيكون لبعض الناس.

ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل ويخص بعض الناس فتوزن صحائف أعماله أو يوزن هو نفسه.

وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث البطاقة فقد يكون هذا أمرًا يخص الله به من يشاء من عباده .اهـ

قال القرطبي عليه رحمة الله في التذكرة (ص٣٨١):

فإن قيل: أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن.

الكافر لا يكون له حسنات فما الذي يقابله بكفره وسيئاته؟ وأنى يتحقق في أعماله الوزن؟!

فالجواب: إن ذلك على وجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان، فيوضع كفره أو كفره وسيئاته في إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟ فلا يجدها، فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية؛ لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذ كان فارغًا فهو خفيف.

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام، ومواساة الناس، وعتق المملوك ونحوها مما كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها بها ورجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من غير ميزانه خفيفًا ولو لم يكن له إلا خير واحدًا أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا .. إلخ كلامه.

صفة الميزان:

الميزان له كفتان، ولسان:

أما الكفتان فلحديث البطاقة المتقدم آنفًا، وقد روى أحمد في المسند (٢/ ١٧٠-٢٢٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ، وَالْكِبْرِ**» الحديث.

هذا حديث صحيح .

قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاوية (ص٤١٧):

والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان . اهـ

وأما سعة الكفتين ففي زوائد الزهد لابن المبارك برقم (١٣٥٧)، والشريعة للآجري برقم (٨٩٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وفي الشريعة برقم (٨٩٤) من طريق معاذ بن جبل كلاهما عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وضع فيه السماوات والأرض لوسعت.

وهو موقوف (من قول سلمان).

ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٦) من طريق المسيب بن زهير ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة به فذكره مرفوعًا، وهو خطأ فاللذين وقفاه أرجح .

وذكر له السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٢٥) ط مركز هجر للبحوث شاهد عن عائشة، وعزاه لابن مردويه، ولم نر سنده حتى يحكم عليه.

أما اللسان فقد قال في لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٥):

وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الميزان له لسان وكفتان . اهـ

وذكره أيضًا عن الحسن.

وذكر السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٢٢) أثر ابن عباس.

فأما أثر ابن عباس فمن طريق الكلبي وهو محمد بن السائب كذاب.

رواه البيهقي في الشعب (١/ برقم٢٨٢).

وأما أثر الحسن فرواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٢١٠) وما يدريه، وينظر في سنده إليه.

لكن نقل الإجماع غير واحد أن للميزان لسانًا، راجع التنبيهات السنية (ص ٢٢٨) وغيرها .

ومعنى لسان الميزان: أي عذبته وأنشد ثعلب:

ولقد رأيت لسان أعدل حاكم يقضي الصواب به ولا يتكلم

انتهى من لسان العرب.

وهل الوزن لكل الناس:

قال القرطبي في التذكرة (ص٣٧٩-٣٨٠):

الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام: فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه الحديث"[1]، وقوله تعالى: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ**﴾[الرحمن:٤١].

وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا من المؤمنين، وقد يكون للكافر على ما ذكرنا. اهـ

ومما تقدم من الأدلة أن في بعضها ميزان على الإفراد وفي بعض موازين بالجمع.

قال ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[الأنبياء:٤٧]:

---

(١) تقدم تخريجه في موضعه في باب الشفاعة.

الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.اهـ

وقال عبد العزيز الرشيد في التنبيهات السنية (ص٢٢٨):

الصحيح أنه ميزان واحد، وجَمَعَه قيل: لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها، ويحتمل أن يجمع للتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾[الشعراء:١٠٥].

مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد، وقيل: يجوز أن يكون لفظه جمعًا ومعناه واحدًا، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ**﴾[المؤمنون: ٥١]. اهـ

وهو مستفاد من كلام الحافظ في الفتح (١٣/ ٥٣٧-٥٣٨).

مرجحات الميزان:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**».

رواه أحمد (٦/ ٤٤٦) وأبو داود برقم (٤٧٩٩) والترمذي برقم (٢٠٠٢).

هذا حديث صحيح.

وهذا بعد توحيد الله سبحانه وتعالى لحديث البطاقة السالف الذكر وفيه: «**فلا يثقل مع اسم الله شيء**».

وكل أعمال البر والخير إذا توفر فيها الإخلاص والمتابعة، وصدرت من مؤمن تثقل ميزان صاحبها .

الإيمان

قوله:(**والإيمان**):

الإيمان في اللغة: مصدر آمن يؤمن إيمانًا، فهو مؤمن كما في تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٥١٣)، ومعناه الإقرار بالشيء عن تصديق به.

ويغلط من يعرفه بالتصديق؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديتها، والتصديق يتعدى بنفسه، فنقول صدقت محمدًا، والإيمان لا يتعدى بنفسه فلا تقول آمنت محمدًا، فلا تتعدى إلا بحرف الجر فتقول آمنت بمحمد.

قال شيخ الإسلام في الصارم المسلول (ص٥١٩):

الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة؛ وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر.

وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق الخبر، والأمر يستوجب الانقياد والاستسلام، وهو عمل في القلب جِماعه الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار.

فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد. اهـ.

وراجع كتاب الإيمان لشيخ الإسلام (ص١٧٨-١٩١)، وشرح الواسطية للعثيمين (ص٥٧٣-٥٧٤).

قوله:(**بأن الإيمان قول، وعمل، ونية**):

هذا تعريف الإيمان في الاصطلاح؛ وهو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

وقول القلب: هو اعتقاده، وتصديقه، وإيقانه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:٣٣-٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾[الحجرات:١٥].

والاعتقاد كاعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

انتهى من التنبيهات السنية(ص٢٦٢).

وقول اللسان وهو النطق كالشهادتين مع الإقرار بما يلزم منه، وكذا تبليغ ما أمر الله به وعفوه، قال تعالى: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

وعند البخاري برقم (٢٥)، ومسلم(٢٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».

ورواه البخاري برقم (١٣٩٩و ١٤٠٠) ومسلم برقم (٢٠) عن عمر.

ورواه البخاري برقم (٢٩٤٦) ومسلم برقم (٢١) عن أبي هريرة.

وعمل القلب: هو نيته وإخلاصه والتوكل والإنابة والمحبة والانقياد، والخوف منه سبحانه، والرجاء، وإخلاص الدين له، والصبر ونحو ذلك من أعمال البر. اهـ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال:٢].

قال العثيمين رحمه الله (ص٥٧٤):

وأما عمله – يعني القلب– فهو عبارة عن تحركه وإرادته مثل إخلاصه. اهـ.

وعمل اللسان: هو حركته وهو غير النطق، قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– في شرح الواسطية (ص ٥٧):

وأما عمله فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس.اهـ.

وعمله كالتسبيح وتلاوة القرآن والدعاء وسائر الأعمال لا تؤدى إلا باللسان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

وعمل الجوارح: مثل: القيام، والركوع، والسجود، والجهاد، والصيام، والحج.

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة:٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج:٧٧-٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[الفرقان:٦٤].

تعارف السلف للإيمان:

وقد تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان، على أنواع و هي:

الأول: قول وعمل، ويعنون به قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

الثاني: قول وعمل ونية ويعنون قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، واعتقاد القلب، وزادوا النية؛ لأنهم قالوا: العمل لا يفهم منه النية.

الثالث: قول وعمل ونية واتباع السنة، فزادوا اتباع السنة؛ لأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة.

الرابع: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

الخامس: العبارة التي ذكرها المصنف.

وكل هذا صحيح وجميعها يدور حول عبارة المصنف.

راجع كتاب الإيمان لشيخ الإسلام (ص١٦٢-١٦٣).

وقوله: (ونية) أي الإخلاص.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ

إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَاهَاجَرَ إِلَيْهِ». رواه البخاري برقم (٦٦٨٩)، ومسلم(١٩٠٧)

ولفظ «النية» هو المتفق عليه كما ترى، ولفظ «النيات» رواه البخاري برقم(١)، والشاهد من الحديث النية حيث أنها من عمل القلب.

وقوله: إنما الأعمال: أي صحة وفسادًا.

وقوله: النيات: أي بصلاح النيات يكون صلاح الأعمال الشرعية، أما العادات كالأكل والشرب واللبس، ورد الأمانات، والودائع، والغصوب، ونحوها فلا تحتاج إلى نية.

جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٦٤).

والنية لغة: القصد وعزم القلب، وهي بتشديد الياء وهذه هي اللغة المشهورة، ويقال بتخفيفها.

راجع المجموع للنووي (١/ ٣٠٩).

والمرجَّح أن إيجادها ذكرًا في أول العمل ركن، واستصحابها حكمًا؛ بمعنى أن لا يأتي بمناف شرعًا شرط.

راجع الفتح(١/ ١٥).

قوله:**(يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال الله تعالى:** ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[التوبة: ١٢٤]، **وقال عز وجل:** ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح: ٤]، **وقال عز وجل:** ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[المدثر: ٣١]):

وسبب زيادة إيمان المؤمنين عملهم الصالح، وهو تصديق خبر الله ورسوله ﷺ قال القاسمي في محاسن التأويل (٨/ ٣٦٢):

فمنهم أي من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه -أي السورة- إيمانًا؟ إنكارًا واستهزاءً بالمؤمنين، واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي، والعمل به، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[التوبة: ١٢٤]؛ لأنها أزيد لليقين والثبات، وأثلج للصدر؛ لكثرة الدلائل، ورفع الشبه. اهـ.

قال ابن كثير (٤/ ١٧٢٨) عند الآية:

وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد.اهـ.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون**- وفي رواية: **بضع وستون شعبة- والحياء شعبة من الإيمان**»):

رواه البخاري برقم: (٩)، ومسلم (٣٥)-٥٧، وهذا لفظه.

رواه مسلم برقم (٣٥)-٥٨، وأبو داود برقم(٤٦٧٦).

وقد روى البخاري برقم (٩) ومسلم (٣٥) هذه القطعة المشكوك فيها بغير شك بلفظ بضع وستون شعبة.

ورجح هذا ابن الصلاح والبيهقي والحافظ كما في الفتح(١/ ٧٣)، وهو ما رجحه شيخنا الوادعي رحمه الله.

على أن العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٦٩) رجح رواية مسلم، ونقله عن الحليمي وكذا عياض.

وأما رواية الترمذي أربع وستون فهي ضعيفة، شذ بها عمارة بن غزية خالف عبد الله بن دينار، وعبد الله أرجح وروايته في الصحيح، وقد أعلها الحافظ، وجنح إلى إعلاله الألباني.

والبضع: هو القطعة من الشيء الفرقة منه واستعملت العرب البضع فيما بين الثلاث إلى العشرة.

والشعبة: أيضًا القطعة من الشيء الفرقة منه، ومنه شعب الإيمان، وشعب القبائل. راجع شرح القاضي عياض (١/ ٢٧).

والمراد الخصلة أو الجزء. الفتح (١/ ٧٣).

وقال القاضي عياض (١/ ٢٧٢):

وبقي بين هذين الطرفين من أعداد أبواب الإيمان مالو تكلف حصرها بطريق الاجتهاد وتعينها بغلبة الظن إلى حصر عدته لأمكن، وقد أشار إلى نحو هذا بعض[1] من تقدم، وعليه بنى الفقيه إسحاق بن إبراهيم القرطبي كتابه المسمى بالنصائح، ولكن القطع أن تعيين ما نقحه الاجتهاد، وترتيبه على تلك الأبواب هو مراد النبي عليه السلام يصعب، ولن يعدم من يرتب ترتيبًا آخر، ويداخل بعض الأبواب في بعض، ويفصل بعض الأقسام عن بعض، والله عز وجل أعلم، لكنه قد جاء في الأحاديث النص على بعض تلك الشعب.اهـ.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح (١/ ٧٣-٧٤):

(١) في الأصل «بعد»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة:

الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته، وصفاته، وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه.

والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره.

والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها:

ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة:

التطهير حسًا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلًا، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضًا ونفلًا، والحج والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة، أو الرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة:

القيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق، فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم. اهـ.

قال القاضي (١/ ٢٧٢):

وقوله: الحياء شعبة من الإيمان، قال الإمام: إنما كان الحياء، وهو في الأكثر غريزة من الإيمان والذي هو اكتساب، لأن الحياء يمنع من المعصية كما يمنع الإيمان منها.اهـ.

فجعل القول والعمل جميعًا من الإيمان.

والقول هو قول لا إله إلا الله: وهي أفضل شعب الإيمان.

والفعل هو إماطة الأذى عن الطريق، وهو أدنى هذه الشعب، وبقية شعب الإيمان بين هاتين الشعبتين، والخصلتين.

وهي أي: الأعمال والأقوال الصالحة تقوي الإيمان، وتزيده، وعكسها يضعفه وينقصه.

قوله:(**ولمسلم وأبي داود: «فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**):

أي أفضل الإيمان كلمة لا إله الله، وأقله كإماطة الأذى عن الطريق، وهذه كلها من أعمال الإيمان.

مسألة: هل الإسلام يزيد وينقص؟

أما الإسلام الواجب فلا يزيد ولا ينقص.

والإسلام الواجب هو الكلمة، أما ما عداه فيزيد وينقص.

راجع مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٣-٤١٥).

قوله:(**والاستثناء في الإيمان سنة ماضية، فإذا سئل الرجل: أمؤمنٌ أنت؟ قال: إن شاء الله، روي ذلك عن عبد الله بن مسعود**):

صحيح، رواه أبـو بكـر بـن أبي شـيبة في «الإيـمان» رقـم (٢٢)، وفي «المصـنف» (١/ ٢٨) رقم (١٠٤٢٢)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٥٥)، واللالكـائي في «شرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة والجماعـة» رقـم (١٧٨٠)، والبيهقـي في «الشعب» برقم (٧١)

من طريق سلمة بن كهيل عن إبراهيم عن علقمـة قـال رجـل عنـد عبـد الله: إني مؤمن. قال: قل: إني في الجنة، لكنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ورواه معمـر في الجـامع المطبـوع في آخـر مصـنف (١١/ ١٢٧)، وأبوعبيـد في «الإيمان» رقم (١٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ٢٩)، وعبـدالله بـن أحمـد في «السنة» برقم (٦٦٨)، وابن بطة في «الإبانة» رقم (١١٨١)، واللالكـائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعـة» بـرقم (١٧٧٩-١٧٨١) مـن طريـق أبي وائـل شقيق عن ابن مسعود نحوه. وهو صحيح.

وله طريق أخرى: عند أبي عبيد في «الإيمان» برقم (٩) من طريق الحسن عـن ابـن مسعود. وهو لم يسمع منه، لكن قد صح بما تقدم.

قوله:(**وعلقمة بن قيس**):

صحيح ، رواه أبوعبيد في كتاب «الإيمان» رقـم (١١و١٥)، وابـن أبي شـيبة في «الإيمان» رقم (٧٥)، و«المصنف» (١١/ ١٥)، وعبدالله بن أحمـد في «السـنة» بـرقم (٧٢٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٥٨)، وابن جرير في «تهذيب الآثار»، وابـن بطـة في «الإبانـة» بـرقم (١١٨٣و١٢١٨)، والبيهقـي في «الشـعب» رقـم(٧٢)،

والخلال في «السنة» برقم (١٣٤٦)، والآجري في «الشريعة» برقم (٢٨٥) من طريق إبراهيم قال: قال رجل لعلقمة: مؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله. وهو صحيح.

قوله:(**والأسود بن يزيد، وأبي وائل شقيق بن سلمة، ومسروق بن الأجدع**):

لم أجد آثار هؤلاء مسندة.

قوله:(ومنصور بن المعتمر):

صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم(٧٩٧) والآجري في الشريعة برقم(٢٨٣).

قوله:(**وإبراهيم النخعي**):

صحيح ، رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» برقم (٢٤)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٥٢)، والخلال (١٣٤٣)، وابن بطة في «الإبانة» برقم (١٢٠٨و ١٢٠٩و ١٢١٨)، والآجري في «الشريعة» برقم (٢٨٥و ٢٨٩) عن إبراهيم قال: إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: أرجو. وهو صحيح.

ورواه أبوعبيد في «الإيمان» برقم (١٢)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٤٩)، وابن بطة في «الإبانة» برقم (١٢٠٥)، والآجري في «الشريعة» (٢٩٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (١٧٨٧) من طريق محل بن محرز قال: قال لي إبراهيم: إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ورواه أبونعيم في «الحلية» (٤/ ٢٢٤) من طريق فضيل بن عمرو، وعن إبراهيم فذكره. وهو صحيح.

قوله:(**ومغيرة بن مقسم الضبي**):

صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم(٧٩٧) والآجري في الشريعة برقم(٢٨٣).

قوله:(**وفضيل بن عياض**):

لم أجد أثره مسندًا.

قوله:(**وغيرهم**):

قد حشد اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٥/ ٩٦٧ ٩٨٥)، وأبوعبيد في «الإيمان» ص(٦٩٧٠)، جملة من آثار السلف في هذا.

قوله:(**وهذا استثناء على يقين، قال الله عز وجل**: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[الفتح: ٢٧]):

هذا لأنه إذا كان الاستثناء على سبيل الشك فلا يجوز على التفصيل الماضي.

الفرق بين الإيمان والإسلام:

قوله:(**والإيمان هو الإسلام وزيادة، قال الله عز وجل**: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات: ١٤].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت»):

رواه البخاري برقم (٨)، ومسلم(١٦) -٢٢ وهذا لفظ مسلم في رواية له، واللفظ المتفق عليه في حديث ابن عمر فيه تقديم الحج على الصوم.

قوله:(**فهذه حقيقة الإسلام**):

أي الانقياد والاستسلام.

وانظر تفسير القاسمي(١٥/ ١٣٩).

قوله:(**وأما الإيمان فحقيقته ما رواه أبو هريرة فيما قدَّمْنَاه**):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**» قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟

قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ**[٢] **رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**» ثُمَّ تَلَا ﷺ: ﴿**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي**

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان: ٣٤] قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ**»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ**».

رواه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩و١٠).

قوله:(**وروى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ رهطًا وأنا جالسٌ، وترك رسول الله ﷺ منهم رجلًا هو أعجبهم إليَّ، فقمتُ فقلتُ: مالك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنًا. فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلمًا»، ذكر ذلك سعد ثلاثًا، وأجابه بمثل ذلك، ثم قال: «إنِّي لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه خشية أن يُكَبَّ في النار على وجهه»**):

رواه البخاري برقم (٢٧) ومسلم برقم (١٥٠).

قوله:(**قال الزهري: فنرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل الصالح**):

صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٣٥١ برقم ٧٥٢).

قوله:(**قلنا: فعلى هذا قد يخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا إلى الكفر بالله عز وجل**):

قلت: هذا كما تقدم أن هذه الأدلة التي ذكرها المصنف دليل من قال بالتفريق بين مسمى الإسلام والإيمان، وأن الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان بالأصول الخمسة، ومن أدلة هذا القول حديث جبريل المشهور.

وهذا قول ابن عباس، والحسن البصري، وابن سيرين، والزهري، وابن مهدي، وابن أبي ذئب، ومالك، وحماد بن زيد، والإمام أحمد، وشيخ الإسلام، وابن كثير والقاضي أبي يعلى في مسائل الإيمان وغيرهم.

القول الثاني: أن معنى الإسلام والإيمان واحد، ومن أدلتهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾[الأنعام:١٢٥]، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[الذاريات:٣٦].

وهذا قول الإمام البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن إسحاق بن منده، وابن عبد البر، وجمهور الشافعية، والمالكية.

ويُجاب على الاستدلال بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ﴾[الحجرات:١٤]. وحديث سعد بجوابين:

أحدهما: أنه إسلام ليثابون عليه، ويخرجهم من الكفر والنفاق، وهذا يروى عن الحسن، وابن سيرين وغيرهما.

ثانيهما: أن هذا الإسلام هو استسلام خوف السبي والقتل مثل إسلام المنافقين، قالوا: وهؤلاء كفار، فإن الإيمان لم يدخل في قلوبهم، ومن لم يدخل الإيمان في قلبه فهو كافر، وهذا اختيار البخاري، ومحمد ناصر المروزي.

قال شيخ الإسلام: والسلف مختلفون في الشك في ذلك، وحقيقة الأمر أن من لم يكن من المؤمنين يقال له فيه أنه مسلم ومعه إيمان يمنعه من الخلود في النار، وهذا

متفق عليه بين أهل السنة، لكن هل يطلق عليه اسم الإيمان؟ هذا هو الذي تنازعوا فيه: فيقال أنه مسلم، ولا يقال: مؤمن، وقيل: يقال مؤمن.

قال: والتحقيق أنه يقال: مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

قال: وعلى هذا فالخطاب بالإيمان يدخل فيه ثلاث طوائف:

١- المؤمن حقًا.

٢- والمنافق في أحكامه الظاهرة، وإن كان في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وهو في الباطن ينفى عنه الإسلام والإيمان، وفي الظاهر يثبتان له ظاهرًا.

٣- ويدخل فيه الذين أسلموا، ولم يدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم، لكن معهم جزء منه وإسلام يثابون عليه.انتهى من لوامع الأنوار (١/ ٤٢٦-٤٢٧).

القول الثالث: بأنهما إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا:

قال الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٥):

فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن الأسماء ما يكون شاملًا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالًا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض

أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده.

فإذا قورن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي.

وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة؛ قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل:

قال كثير من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله، إذا ذكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى آخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعًا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل، وعمهم.

وقد ذكر هذا المعنى أيضًا الخطابي في كتابه معالم السنن(١) وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

إلى أن قال: وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذٍ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق.

والتحقيق في الفرق بينهما: أن الإيمان هو تصديق القلب بإقراره ومعرفته.

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣١٣).

والإسلام: استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله تعالى في كتابه الإسلام دينًا.اهـ.

وهذاهو الحق الذي لايعول على سواه، وبه يكون الجمع بين الأدلة والعمل بها جميعًا.

راجع مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧٤-٤٨٠)، والتمهيد (٣/ ٢٢٦).

ثمرة الخلاف في التفريق بين الإسلام والإيمان:

ثمرة هذا الخلاف هو مسألة الاستثناء في الإيمان، هو: هل يجوز للرجل أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟

وذلك من حيث دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

انقسم الناس في هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام بين واجب ومحرم ومنهم من يمنعه باعتبار ويجيزه باعتبار:

القسم الأول: من يوجبه، وأشهر من ذهب لهذا القول الكلابية، والأشاعرة، وطائفة من أهل الحديث كأبي يعلى الحنبلي، ولهم في ذلك مأخذان:

أحدهما: أن الإيمان ما مات عليه صحابه وإلا فلا عبرة به.

ثانيهما: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، وإذا قال الإنسان:أنا مؤمن بدون ذكر استثناء يكون زكى نفسه.

القسم الثاني: من يحرمه، وهم الماتريدية، والأحناف، والمرجئة، قالوا: من استثنى في إيمانه فهو شاك، ومن شك في إيمانه كفر، ويسمون من يستثنى في إيمانه الشكاكة.

القسم الثالث: وهو الحق وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو أن الاستثناء في الإيمان جائز لا على الشك كما يقول المرجئة، ولا على تزكية نفس، كما تقول الأشاعرة، ولكن باعتبار حسن الخاتمة أنه يختم له إيمانه، وأيضًا طلبًا لكمال الإيمان.

راجع شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٩٤-٤٩٨)، وزيادة الإيمان ونقصه، وحكم الاستثناء فيه (ص٤٦٣-٥٣٧).

الإيمان بخروج الدجال

قوله:(**ونؤمن بأن الدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، كما أخبر رسول الله ﷺ، وصحَّ عنه**):

قال ابن منظور في لسان العرب (٤/ ٢٩٣):

دجل: الدجيل والدجالة القطران، والدجل شدة طلي الجرب بالقطران ودجل البعير طلاه به؟

وذكر القرطبي في التذكرة (ص٥٤٨-٥٤٩): أن الدجال في اللغة يطلق عليها عشرة وجوه وذكرها.

وقال ابن منظور في لسان العرب (٤/ ٢٩٤):

الدجال: المموه الكذاب وبه سمي الدجال، والدجال هو المسيح الكذاب، وإنما دجله لسحره وكذبه قال ابن سيده: المسيح رجل من يهود يخرج في آخر هذه الأمة سمي بذلك؛ لأنه يدجل[1] الحق بالباطل، وقيل: لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه، وقيل: لأنه يغطي على الناس بكفره، وقيل: لأنه يدعي الربوبية سمي بذلك لكذبه، وكل هذه المعان متقاربة.

---

(١) أي يُغطي.

قال ابن خالويه: ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبي عمرو قال: الدّجّال: المموه.

وخروج الدجال أحد أشراط الساعة الكبرى، وأدلة خروجه كثيرة منها:

روى الإمام مسلم برقم(٢٩٣٧) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ:«مَا شَأْنُكُمْ؟»

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا».

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ:«لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ

فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

وَعَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ، قَالَ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ**».

فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ، تَصْدِيقًا لِحُذَيْفَةَ.

رواه البخاري برقم (٧١٣٠) ومسلم(٢٩٣٤-١٩٣٥).

وحديث أبي سعيد عند البخاري برقم (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨) قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ: وَالله مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ».

وفي صحيح مسلم برقم (٣٩٤٢) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ الله ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ»، وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ الله يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ، وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ فِهْرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ،

فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ حَدَّثَنِي: أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟

فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ.

قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟

قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ.

قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟

قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟

قَالُوا نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ

فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ، فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ؟

قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟

قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟

قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ؟

قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟

قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟

قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟

قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟

فَأَخْبَرْنَاهُ: أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ العَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ: لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

صفات الدجال:

١- أعور:

ففي صحيح البخاري برقم (٧١٢٧)، ومسلم(١٦٩) و(٤/ ٢٢٤٥) عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا

وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ أَعْـوَرُ، وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

وفي البخاري برقم (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِـيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِـأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَـيْنَ عَيْنَيْـهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ».

وفي البخاري برقم (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩) و(٤/ ٢٢٤٧) عَنْ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْـرَيْ النَّـاسِ الْمَسِـيحَ الـدَّجَّالَ فَقَـالَ: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وفي حديث حذيفة عند مسلم (٢٩٣٤) قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «الـدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ».

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٢/ ٤٠٣-٤٠٤):

قوله ﷺ: «أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية» فروي بالهمز، وبغير همـز، فمـن همز معناه ذهب ضوؤها، ومن لم يهمز معناه ناتئة بارزة.

ثم إنه جاء هنا أعور العين اليمنى، وجاء فى رواية أخرى أعـور العـين اليسرـى، وقد ذكرهما جميعًا مسلم في آخر الكتاب، وكلاهما صـحيح، قـال القـاضي عيـاض رحمه الله:

روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز، وهو الذى صححه أكثـرهم، قـال: وهو الذى ذهب إليه الأخفش، ومعناه ناتئة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها.

قال: وضبطه بعض شيوخنا بالهمز، وأنكره بعضهم، ولا وجه لإنكاره، وقد وصف فى الحديث بأنه ممسوح العين، وأنها ليست جحراء ولا ناتئة، بل مطموسة، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها، وهذا يصحح رواية الهمز، وأما ما جاء فى الأحاديث الأخر جاحظ العين وكأنها كوكب، وفى رواية لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة في حائط، فتصحح رواية ترك الهمزة، ولكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا: بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة، هي العوراء الطافئة بالهمز، وهى العين اليمنى، كما جاء هنا، وتكون الجاحظة والتى كأنها كوكب، وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز، وهى العين اليسرى، كما جاء فى الرواية الأخرى، وهذا جمع بين الأحاديث والروايات فى الطافية بالهمز وبتركه.

وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما عوراء فإن الأعور من كل شيء المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عينى الدجال معيبة عوراء؛ أحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها، هذا آخر كلام القاضي وهو فى نهاية من الحسن والله أعلم.اهـ.

٢- شديد جعودة شعر الرأس:

كما تقدم في حديث النواس عند مسلم أنه شاب قطط.

٣- كثير الشعر:

كما في حديث حذيفة بن اليمان عند مسلم (١٩٣٤)-١٠٥ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

وفي هذا الحديث أنه ممسوح العين (وهي الجحراء) عليها ظفرة غليظة؛ قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٦٦-٢٦٧):

هي بفتح الظاء المعجمة والفاء، وهي جلدة تغشى البصر، وقال الأصمعي: لحمة تنبت عند المآقي. اهـ

والمآقي جمع موق وهو: طرف العين.

٤- مكتوب بين عينيه كافر:

كما في حديث ابن عمر، وحذيفة، وأنس: «يقرؤه كل مؤمن».

٥- جسيم:

ففي صحيح البخاري برقم (٧١٢٨) ومسلم برقم (١٦٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يَنْطُفُ، أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ

أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ».

وكذا في حديث النواس عند مسلم، وقد تقدم.

ومعنى جسيم: أي عظيم الجسم.

وفي الحديث المشهور بحديث الجساسة، وهو حديث فاطمة بنت قيس المتقدم: «فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ».

وفي حديث هشام بن عامر قال:سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ».

رواه مسلم برقم (٢٩٤٦)، ومعنى جعد الرأس أي أن شعر رأسه شديد التواؤه واجتماع بعضه إلى بعض وهو بخلاف السبط.

وبقية الكلام على الدجال يُراجع في كتابي «**الفقه الأكبر بشرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**».

الإيمان بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام

قوله:(وأنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيأتيه وقد حصر المسلمون على عقبة أفيق، فيهرب منه، فيقتله عند باب لد الشرقي.

ولُدّ من أرض فلسطين بالقرب من الرملة على نحو ميلين منها):

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[النساء:١٥٩].

وروى البخاري برقم (٣٤٤٩) ومسلم (١٥٥) – ٢٤٤، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟».

وفي صحيح مسلم برقم (١٥٦) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ الله هَذِهِ الْأُمَّةَ» .

وهذا من أدلة نزوله عليه السلام ومكان نزوله.

وروى الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢١٣٧) من حديث النواس حديثًا طويلًا، وقد تقدم وفيه: «ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا

فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ».

لكن قوله المصنف رحمه الله: «وقد حصر المسلمين على عقبة أفيق» هو من حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةُ أَمْصَارٍ: مِصْرٌ بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ، وَمِصْرٌ بِالْحِيرَةِ، وَمِصْرٌ بِالشَّامِ، فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ، فَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ فَيَهْزِمُ مَنْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، فَأَوَّلُ مِصْرٍ يَرِدُهُ الْمِصْرُ الَّذِي بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُشَامُّهُ نَنْظُرُ مَا هُوَ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ، وَمَعَ الدَّجَّالِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ السِّيجَانُ، وَأَكْثَرُ تَبَعِهِ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمِصْرَ الَّذِي يَلِيهِ فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُشَامُّهُ وَنَنْظُرُ مَا هُوَ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ بِغَرْبِيِّ الشَّامِ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَقَبَةِ أَفِيقٍ، فَيَبْعَثُونَ سَرْحًا لَهُمْ فَيُصَابُ سَرْحُهُمْ فَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَتُصِيبُهُمْ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُحْرِقُ وَتَرَ قَوْسِهِ فَيَأْكُلُهُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّحَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَاكُمْ الْغَوْثُ ثَلَاثًا، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا لَصَوْتُ رَجُلٍ شَبْعَانَ، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام عِنْدَ

صَلاةِ الْفَجْرِ فَيَقُولُ لَهُ أَمِيرُهُمْ: رُوحَ اللهِ تَقَدَّمْ صَلِّ فَيَقُولُ: هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَرَاءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَتَقَدَّمُ أَمِيرُهُمْ، فَيُصَلِّي، فَإِذَا قَضَى صَلَاتَهُ أَخَذَ عِيسَى حَرْبَتَهُ فَيَذْهَبُ نَحْوَ الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، فَيَضَعُ حَرْبَتَهُ بَيْنَ ثَنْدُوَتِهِ فَيَقْتُلُهُ، وَيَنْهَزِمُ أَصْحَابُهُ فَلَيْسَ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ يُوَارِي مِنْهُمْ أَحَدًا حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ لَتَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ هَذَا كَافِرٌ».

رواه أحمد في المسند(٤/ ٢١٦-٢١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٣٦-١٣٧)، والطبراني في الكبير برقم(٩/ ٨٣٩٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٨).

وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وله شاهد عَنْ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا قَدْ حَذَّرَ الدَّجَّالَ أُمَّتَهُ هُوَ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى ظُفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَخْرُجُ مَعَهُ وَادِيَانِ أَحَدُهُمَا جَنَّةٌ وَالْآخَرُ نَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، مَعَهُ مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُشْبِهَانِ نَبِيَّيْنِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمَا وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ أَلَسْتُ أُحْيِي وَأُمِيتُ؟ فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُ الْمَلَكَيْنِ: كَذَبْتَ مَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا صَاحِبُهُ فَيَقُولُ: لَهُ صَدَقْتَ، فَيَسْمَعُهُ النَّاسُ فَيَظُنُّونَ إِنَّمَا يُصَدِّقُ الدَّجَّالَ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهُ فِيهَا فَيَقُولُ: هَذِهِ قَرْيَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الشَّامَ، فَيُهْلِكُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ عَقَبَةِ أَفِيقَ».

رواه الطيالسي كما في مسنده برقم(١١٠٦)، وابن أبي شيبة برقم (١٩٣٢٥) (١٥/ ١٣٧-١٣٨)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٢١-٢٢٢)، والطبراني في الكبير (٧) برقم(٦٤٤٥) كلهم من طريق حشرج حدثني سعيد بن جهمان عن سفينة به.

وحشرج وهو ابن نباته الأشجعي صدوق يهم كما قال الحافظ في التقريب: إلا أنه له تفردات .

لكن الذهبي في الميزان (١/ ٥٥١): ذكره ابن عدي في كلامه وسرد له عدة أحاديث مناكير وعجائب .اهـ.

قلت ذكره ابن عدي في الكامل (٢/ ٤٣٩-٤٤٢): وذكر هذه الأحاديث مما أنكر عليه.

قال ابن كثير في النهاية (١/ ٧١):

تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به، ولكن في متنه غرابة ونكارة، والله أعلم . اهـ.

قلت: فالحديث لايصح، وذكر حصار الدجال للمسلمين على عقبة أفيق منكر وهو مخالف للأدلة الصحيحة الأخرى فمنها:

الأول: حديث النواس بن سمعان عند مسلم برقم (٢٩٣٧) وتقدم، وليس فيه ذكر أن الدجال يحاصرهم، وفيه أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال بباب لد.

الثاني: حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٨٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ

الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

الثالث: حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ».

رواه مسلم برقم (٢٩٤٠).

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (١٨/ ٢٧١):

قوله: «فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين» أما المنارة فبفتح الميم، وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق، ودمشق بكسر الدال وفتح الميم،

وهذا هو المشهور وحكى صاحب المطالع كسر الميم، وهذا الحديث من فضائل دمشق، وفي عند ثلاث لغات كسر العين وضمها وفتحها، والمشهور الكسر.

وأما المهرودتان فروى بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور ومعناه لابس مهروذتين: أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة. اهـ

ولدُّ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥/ ١٥):

قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى ابن مريم الدجال فيقتله.

وأما عقبة أفيق فقال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/ ٢٣٣):

أفيق: بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وقاف قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة أفيق، والعامة تقول: أفيق، تنزل من هذه العقبة إلى الغور، وهي الأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين. اهـ

والرملة: قال يا قوت الحموي في معجم البلدان (٣/ ٦٩):

والرملة واحدة الرمل مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها في خربت الآن وكانت رباطًا للمسلين، وهي في الأقليم الثالث. اهـ.

وبقية أشراط الساعة تُراجع في كتابي «**الفقه الأكبر بشرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**».

لطم موسى لملك الموت عليهما السلام

قوله:(**ونؤمن بأن ملك الموت أُرْسِلَ إلى موسى عليه السلام، فصكَّه**):

هذا من الأخبار الماضية، والأمور الغيبية الماضية التي يجب الإيمان بها كما ورد الشرع الصحيح بها.

قال النووي في «شرح مسلم»: (١٥/ ١٢٧): هو بمعنى: لطمه.

وفي الرواية الثانية: «وفقأ عينه» بالهمزة. اهـ

قوله:(**ففقأ عينه**):

أي كسرها، وقيل: قلعها وبخقها. كما في «لسان العرب» (١٠/ ٢٩٦).

قوله:(**كما صحَّ عن رسول الله ﷺ**):

رواه البخاري برقم(٣٤٠٧)، ومسلم(٢٣٧٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ: فَالْآنَ».

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[السجدة:١١].

قوله:(**لا ينكره إلَّا ضالٌّ مبتدع، راد على الله ورسوله**):

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٤٢-٤٤٣):

قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟

والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذٍ، وإنما بعثه إليه اختبارًا، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميًا دخل داره بغير إذنه، ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه، وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟

ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة، وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة، وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله، فلهذا استسلم حينئذٍ.

وقال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانًا للملطوم.

وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير، فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن.

قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب، وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط؟

فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا.

وزعم بعضهم أن معنى قوله: «فقأ عينه» أي أبطل حجته، وهو مردود بقوله في نفس الحديث: «فرد الله عينه»، وبقوله: «لطمه وصكه» وغير ذلك من قرائن السياق.

وقال ابن قتيبة: إنما فقأ موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عينًا حقيقة، ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية، وقيل على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره، وهذا هو المعتمد، وجوز ابن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر، وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث. اهـ

وإنكار هذا الحديث أو رَدُّهُ زيغ وانحراف شديد.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٢٨):

قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكر تصوره.

قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟

قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحانًا للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة، ويقال: عورت الشئ إذا أدخلت فيه نقصًا .

قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: «فرد الله عينه» فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيدًا.

والثالث: أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقوء عينه، لا أنه قصدها بالفقوء، وتؤيده رواية (صكه) وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة، وغيره من المتقدمين، واختاره المازري، والقاضي عياض قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقوء عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيًا بأنه ملك الموت!

فالجواب: أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم بخلاف المرة الأولى، والله أعلم. اهـ

فالذين أنكروا أو ردوا هذا الحديث هم الملاحدة، ولا ترى مؤمنًا بالله واليوم الآخر يسعه في هذا الحديث وأمثاله أوغيره مما ثبت به النقل إلا التسليم.

الإيمان بذبح الموت

قوله:(ونؤمن بأن الموت يؤتى به يوم القيامة فيذبح، كما روى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: (نعم)[1] هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيُذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم:٣٩]):

الحديث رواه البخاري برقم (٤٧٣٠) ومسلم برقم (٢٨٤٩).

هذا من الأخبار المستقبلة، والأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها كما ورد الشرع الصحيح بها.

وقوله: «فيشرئبون»: قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٤٥٥):

أي يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه، وكل رافع رأسه مشرئب. اهـ

والأملح هو الأبيض الذي خالطه سواد. قاله الكسائي. وقال ابن الأعرابي: هو الأبيض الخالص.

---

(١) ليس في (ط).

وهذا الحديث ذكره أهل السنة في كتب العقائد ردًا على أهل البدع الذين ينكرون هذا، قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٨٢-١٨٣):

قال المازرى: الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة، وقال بعض المعتزلة: ليس بعرض، بل معناه عدم الحياة، وهذا خطأ؛ لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[الملك:٢]، فأثبت الموت مخلوقًا، وعلى المذهبين ليس الموت بجسم في صورة كبش أو غيره فيتأول الحديث على أن الله يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثالًا لأن الموت لايطرأ على أهل الآخرة.

فضيلة نبينا محمد ﷺ

قوله: (**فصل. ونعتقد أن محمدًا المصطفى**):

روى مسلم في صحيحه برقم (٢٢٧٦) عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وفي مسند الإمام أحمد(٦/ ٢٥) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عِيدٍ لَهُمْ، فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ يُحْبِطْ اللهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ»، قَالَ فَأَسْكَتُوا، مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ؟ ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «أَبَيْتُمْ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ».

ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ، فَقَالَ: ذَلِكَ الرَّجُلُ: أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونَ فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنْكَ، وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ، وَلَا مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ، وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ.

قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِالله أَنَّهُ نَبِيُّ الله الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَاةِ، قَالُوا: كَذَبْتَ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَذَبْتُمْ لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ أَمَّا آنِفًا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ مَا أَثْنَيْتُمْ، وَلَمَّا آمَنَ كَذَّبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ، فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ»، قَالَ فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَنَا، وَعَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ الله وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الأحقاف:١٠].

هذا حديث صحيح.

قوله:(خير الخلائق، وأفضلهم، وأكرمهم على الله عز وجل، وأعلاهم درجة، وأقربهم إلى الله وسيلة، بعثه الله رحمة للعالمين، وخصه بالشفاعة في الخلق أجمعين.

روى جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعِثت إلى الناس عامة»):

رواه البخاري رقم (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

وفي صحيح مسلم برقم (٥٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ،

وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ».

قوله: **(وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع – وكانت تعجبه– فنهش منها نهشة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»، وذكر حديث الشفاعة بطوله):**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي

دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ- وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا -نَفْسِي- نَفْسِي- نَفْسِي-، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ

البَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم(١٩٤).

قوله:(**وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي يوم القيامة بابَ الجنة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بكَ أُمرتُ أن لا أفتح لأحدٍ قبلك»**.

رواه مسلم):

رواه مسلم برقم (١٩٧).

قوله:(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشَفَّعٍ».

رواه مسلم، وأبو داود):

رواه مسلم برقم (٢٢٧٨)، وأبو داود برقم (٤٦٧٣)، وأحمد (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٤).

وليس عندهم قوله «ولا فخر» في حديث أبي هريرة وإنما جاءت في حديث أنس عند أحمد (٣/ ١٤٤)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٧٦٩٠) من طريق عمرو وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب عن أنس به.

ورواه نحوه الترمذي رقم (٣٦١٠) الربيع بن أنس عن أنس به. وهو صحيح.

وفي حديث أبي سعيد عند أحمد (٣/ ٢)، وابن ماجه رقم (٤٣٠٨).

وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد (١/ ٢٩٥ و٢٨١) من طريق علي بن زيد هذا عن أبي نضرة عن ابن عباس فذكره مرفوعًا.

وهو متابع فقد رواه الترمذي برقم (٣٦١٦) زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس به فذكره.

وزمعة بن صالح وقد تصحف عند الترمذي في طبعة دار الفكر إلى زمعة بن أبي صالح وهو الجندي ضعيف.

وسلمة بن وهرام حسن الحديث إلا إذا روى عنه زمعة بن صالح.

فالظاهر ضعف حديث ابن عباس لكنه في الباب.

وجاء في حديث أبي بكر رواه أحمد (١/ ٥) وهو حسن.

فهذه الزيادة وهي «ولا فخر» صحيحة لا مطعن فيها، لكن في غير حديث أبي هريرة، والحمد لله.

الصحابة رضي الله عنهم

قولـه:(ونعتقـد أن خـير هـذه الأمـة وأفضـلها بعـد رسـول الله ﷺ صـاحبه الأخص):

روى البخاري في صحيحه برقم(٣٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وعند البخاري أيضًا برقم (٣٦٥٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَـالَ: خَطَـبَ رَسُـولُ الله ﷺ النَّـاسَ، وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِـكَ الْعَبْـدُ مَـا عِنْـدَ الله»، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُـولُ الله ﷺ عَـنْ عَبْـدٍ خُـيِّرَ، فَكَـانَ رَسُولُ الله ق هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِـنْ أَمَـنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَـيْرَ رَبِّي لَاتَّخَـذْتُ أَبَـا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْـجِدِ بَـابٌ إِلَّا سُـدَّ إِلَّا بَـابَ أَبِي بَكْرٍ».

رواه البخاري برقم (٣٦٥٤)، ومسلم(٢٣٨٢).

وروى البخاري برقم (٤٦٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ».

وكذا عند مسلم (٢٣٨٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

وفي صحيح البخاري برقم(٣٦٦٢)، ومسلم(٢٣٨٤) عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»، فَعَدَّ رِجَالًا.

وعند البخاري برقم (٣٦٦٠) عَنْ عَمَّارٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ.

قوله:**(وأخوه في الإسلام)**:

عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ عَائِشَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ، فَقَالَ: «**أَنْتَ أَخِي فِي دِينِ اللهِ وَكِتَابِهِ وَهِيَ لِي حَلَالٌ**».

رواه البخاري برقم (٥٠٨١).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠].

قوله: **(ورفيقه في الهجرة، والغار أبو بكر الصديق):**

قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤١].

وفي صحيح البخاري برقم(٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا».

وعند البخاري برقم(٣٩٠٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ -وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ- فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ؛ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟ فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ

رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ.

فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ»، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ، وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الْخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ. قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ.

وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيَا خِرِّيتًا، وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.

قَالَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ، أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي، فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ

يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا»، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ.

وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ

رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ الْمَنْزِلُ».

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: « هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ».

وَيَقُولُ: «اللهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ، فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ»، فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي.

وعند البخاري برقم(٣٦٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩) -٧٥، في كتاب الزهد عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرْ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَالَ عَازِبٌ: لَا حَتَّى تُحَدِّثَنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟

قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا، حَتَّى أَظْهَرْنَا، وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُ، فَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرْتُهُ، فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «بَلَى»، فَارْتَحَلْنَا، وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا».

قوله: **(وزيره في حياته)**:

أخرج البخاري برقم (٦٨٧) ومسلم برقم (٤١٨) عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ.

قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ

قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» فَقُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا -: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ قَالَ: «أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ»، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ.

قَالَ: عُبَيْدُ الله فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: هَاتِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٧٩) ومسلم (٤١٨) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ»

قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَهْ إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.

وروى البخاري برقم(٦٧٨)، ومسلم(٤٢٠) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ:« مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَعَادَتْ، فَقَالَ: «مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ»، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٨٠)، ومسلم(٤١٩) من طريق الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فنكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ.

وعند البخاري برقم (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ الْتَفَتَ فَرَأَى رَسُولَ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ امْكُثْ مَكَانَكَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ الله ﷺ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ، مَنْ رَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ الْتُفِتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ».

قوله: **(وخليفته بعد وفاته)**:

روى البخاري برقم (٣٦٥٩)، ومسلم(٢٣٨٦) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ -كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ- قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ».

وعند مسلم (٢٣٨٥) عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ، وَسُئِلَتْ مَنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٢١٧) عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَارَأْسَاهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكِ لَوْ كَانَ، وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ وَأَدْعُو لَكِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَا ثُكْلِيَاهْ، وَاللهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلَلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ».

وروى مسلم برقم(٢٣٨٧) ما يتعلق بأبي بكر رضي الله عنه فقط.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٢١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمٍ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى يَدْبُرَنَا- يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ- فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ هَدَى اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَانِيَ اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ الزُّهْرِيُّ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ: اصْعَدْ الْمِنْبَرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٢٢١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِوَفْدِ بُزَاخَةَ: تَتْبَعُونَ أَذْنَابَ الْإِبِلِ حَتَّى يُرِيَ اللهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ أَمْرًا يَعْذِرُونَكُمْ بِهِ.

وهذا هو ما أجمعت عليه الأمة أعني خلافته وفضله.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٦٩٨-٦٩٩):

اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها تثبت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي.

وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها تثبت بالاختيار والدليل على إثباتها بالنص أخبار... ثم ذكر الأدلة وقد قدمت ذكرها.

وأما حديث عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ الله ﷺ، فَأَثْنَوْا عَلَيْه، فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا.

رواه البخاري برقم(٧٢١٨)، ومسلم(١٨٢٣).

وقول عَائِشَةَ وَسُئِلَتْ مَنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.

رواه مسلم (٢٣٨٥).

قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاوية (٢/ ٧٠٥):

الظاهر – والله أعلم – أن المراد أنه لم يستخلف بهذا مكتوب، ولو كتب عهدًا لكتبه، بل قد أراد كتابته، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» وخلافته رضي الله عنه كانت بالإجماع. اهـ

قوله: **(عبد الله بن عثمان عتيق بن أبي (قحافة) [١])**:

هو أبو بكر عبد الله، ويقال عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوئي القرشي التميمي رضي الله تعالى عنه .

روى عن النبي ﷺ.

وروى عنه خلق من الصحابة، وقدماء التابعين من آخرهم أنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وقيس بن أبي حازم، ومرة بن الطيب.

انتهى من سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٧) الطبعة الجديدة المحتوية على الجزء المفقود.

قال المزي في تهذيب الكمال (١٥/ ٢٨٣):

أمه أم الخير، وأسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بنت تيم بن مرة أسلم أبواه. اهـ.

قال العامري في الرياض المستطابة (ص١٤٠):

بينه وبين مرة ستة أباء كالنبي ﷺ موافقه في النسب كالعمر، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه أسلمت، ولم يتفق لأحد من الصحابة له من إسلام أبويه، وبنيه وبني بنيه.

كان اسمه عبد الله، وكنيته أبو بكر، ولقبه عتيق الصديق.

وهو أول من لقَّب في الإسلام، وغلب عليه وعلى أبيه الكنية دون الاسم.

وجملة من في الصحابة من اسمه عبد الله مائتان وعشرون رجلًا ليس فيهم عبد الله بن عثمان عنده. اهـ.

---

(١) في (ط): «قحابة»، وهو غلط فاحش.

قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ٢):

أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ مؤنسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، ووزيره الأحزم عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي قد أفردت سيرته في مجلد وسط. اهـ.

وهذا ما يجب على كل مسلم اعتقاده في أبي بكر رضي الله عنه أنه خلفية رسول الله ﷺ، وأفضل الخلق بعد الأنبياء وصهر الرسول ﷺ.

وفضائله كثيرة قد أفردها غير واحد من العلماء بالتصنيف، ولو زبرتها لطال المقام، وليس هذا مقصودنا والحمد الله.

وَعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

رواه البخاري (٣٦٧٥).

وهو عند مسلم (٢٤١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ».

قوله: **(ثم بعده الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب الذي (أعزَّ الله به)** [١]**، وأظهر الدين)**:

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عبدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين.

---

(١) في (خ): «أعزه الله».

أمه حنتمة بنت هاشم ذي الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزم، وقيل حنتمة بنت هشام، وهو أشهر والأول أصح. اهـ.من تهذيب الكمال (١٢/ ٣١٧).

وروى عن النبي ﷺ.

روى عنه علي، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة، وعدة من الصحابة.

كنيته أبو حفص، ولقبه الفاروق، واستشهد في آخر ذي الحجة وهو يصلي بالناس صلاة الفجر سنة (٢٣).

وفي صحيح البخاري (٣٨٦٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ».

قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟

قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٨٧) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ حِينَ قُبِضَ كَانَ أَجَدَّ وَأَجْوَدَ حَتَّى انْتَهَى مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٣٩٨)عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ».

وعند الحاكم المستدرك (٣/ ٨٣) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٩٢) عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ.

قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِضَاهُ؛ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ؛ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ

بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي؛ فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ.

وقد استخلفه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ففي صحيح البخاري برقم (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا.

قال النووي في شرح هذا الحديث (١٢/ ٤١٠-٤١١):

حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت، وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه؛ فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ من هذا، وإلا فقد اقتدى بأبي بكر.

وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة.

وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالستة.

وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة، ووجوبه بالشرع، لا بالعقل، وأما ما حكي عن الأصم أنه قال: لا يجب، وعن غيره أنه يجب بالعقل لا بالشرع، فباطلان.

أما الأصم فمحجوج بإجماع من قبله ولا حجة له في بقاء الصحابة بلا خليفة في مدة التشاور يوم السقيفة، وأيام الشورى بعد وفاة عمر رضي الله عنه؛ لأنهم لم يكونوا تاركين لنصب الخليفة بل كانوا ساعين في النظر في أمر من يعقد له.

وأما القائل الآخر ففساد قوله ظاهر لأن العقل لا يوجب شيئًا، ولا يحسنه ولا يقبحه، وإنما يقع ذلك بحسب العادة لا بذاته.

وروى ابن حبان كما في الإحسان برقم(٦٨٧٩) عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمت.

قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدًا إلى المسجد فنادى أندية قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبأ، فقال عمر كذب، ولكني أسلمت وآمنت بالله وصدقت رسوله، فثاوروه، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم حتى فتر عمر وجلس، فقاموا على رأسه فقال عمر: افعلوا ما بدا لكم فوالله لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركتموها لنا، أو تركناها لكم، فبينماهم كذلك قيام عليه إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص قومسي فقال: ما بالكم؟

فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبأ! قال: فمه امرؤ اختار دينًا لنفسه أفتظنون أن بني عدي تسلم إليكم صاحبهم؟

قال: فكأنما كانوا ثوبًا انكشف عنه، فقلت له بعد بالمدينة: يا أبت من الرجل الذي رد عنك القوم يومئذ؟ فقال: يا بني ذاك العاص بن وائل.

وهو حسن.

وذكره البخاري برقم (٣٨٦٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ وَقَالُوا: صَبَا عُمَرُ، وَأَنَا غُلَامٌ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ، فَقَالَ: قَدْ صَبَا عُمَرُ، فَمَا ذَاكَ؟ فَأَنَا لَهُ جَارٌ. قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ تَصَدَّعُوا عَنْهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ.

وقد تقدم في فضائل أبي بكر، بعض فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قوله: **(ثم بعده ذو النورين أبو عبد الله عثمان بن عفان)**:

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أبو عمرو، ويقال أبو عبد الله، ويقال أبو ليلى الأموي أمير المؤمنين ذوا النورين.

أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

انتهى من تهذيب الكمال (١٩/ ٤٤٥).

قال العامري في الرياض المستطابة (ص١٥٦):

وهو أقرب العشرة بعد علي نسبًا إلى رسول الله ﷺ. اهـ.

لقب بذي النورين لزواجه ببنتي الرسول ﷺ (رقية، وأم كثلوم) تزوج برقية، فلما توفيت تزوج بعدها أم كلثوم.

قال العامري في الرياض المستطابة (ص١٥٦):

لقب عثمان (ذا النورين) لجمعه بين ابنتي الرسول ﷺ قيل ولم يتزوج ابنتي نبي غيره.

وجملة من الصحابة اسمه عثمان ثلاثة عشر ليس فيهم من أبوه عفان غيره.اهـ.

وقد تقدم في فضائل أبي بكر، بعض فضائل عثمان رضي الله عنه.

قوله:(**الذي جمع القرآن**):

من مناقبه الكبار، وحسناته العظام أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي دارسها جبريل رسول الله ﷺ في آخر عمره.

وكان سبب ذلك لما اختلف جماعة من الناس في القرآن، وكان بعضهم يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطَّأ الآخر، وكان بسبب الاختلاف والفرقة الذي حصل في القرآن قام عثمان رضي الله عنه بجمع المصحف.

فأمر عثمان رضي الله تعالى عنه بكتابة مصحف واحد على حرف واحد، وأمر أن يجتمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ماسواه.

استدعى المصاحف التي كان كتبها أبو بكر الصديق، وجمعها في مصحف واحد. راجع البداية والنهاية (١٠/ ٣٩٣) طبعة هجر.

قول:(**وأظهر العدل والإحسان**):

وفي البخاري برقم (٣٦٩٦) عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الْوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، فَانْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ فَهَاجَرْتَ الْهِجْرَتَيْنِ،

وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ الله ﷺ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الْهِجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ، وَبَايَعْتُهُ، فَوَاللهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟

أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ، فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه برقم (٥٦٧) عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَذَكَرَ نَبِيَّ الله ﷺ وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكًا نَقَرَنِي ثَلَاثَ نَقَرَاتٍ، وَإِنِّي لَا أُرَاهُ إِلَّا حُضُورَ أَجَلِي، وَإِنَّ أَقْوَامًا يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضَيِّعَ دِينَهُ وَلَا خِلَافَتَهُ، وَلَا الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، فَإِنْ عَجِلَ بِي أَمْرٌ فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ.

وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَامًا يَطْعَنُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنَا ضَرَبْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ الله الْكَفَرَةُ الضُّلَّالُ، ثُمَّ إِنِّي لَا أَدَعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الكَلَالَةِ مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ

الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ»، وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ اللهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَى أُمَرَاءِ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَعْدِلُوا عَلَيْهِمْ، وَلِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيَقْسِمُوا فِيهِمْ فَيْئَهُمْ، وَيَرْفَعُوا إِلَيَّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا.

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه برقم (٣٧٠٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا؟ أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَا: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَ قَالَا: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللهُ لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ: اسْتَوُوا حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوْ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي، أَوْ أَكَلَنِي الْكَلْبُ حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَدَّمَهُ فَمَنْ

يَلِي عُمَرَ، فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لا يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ سُبْحَانَ الله سُبْحَانَ الله.

فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي؟ فَجَالَ سَاعَةً، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلَامُ الْمُغِيرَةِ قَالَ: الصَّنَعُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ- أَيْ إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا- قَالَ: كَذَبْتَ، بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ، فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى الله لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلَامَ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ.

يَا عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا الْمَالَ.

انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ قَالَ: ارْفَعُونِي فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ، قَالَ: الْحَمْدُ للهِ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ، فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوْ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ.

فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ؛ فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ، وَقَالَ:

أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَنْ يُقْبَلَ

مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الْإِسْلَامِ وَجُبَاةُ الْمَالِ وَغَيْظُ الْعَدُوِّ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ، وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ.

فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ فَأُدْخِلَ فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالَا: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ، فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ.

قوله:(ثم ابن عمِّ رسول الله ﷺ وختنه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم (أجمعين) [١]):

تقدم بعض الأدلة في فضله، وأنه مع أصحابه على هذا الترتيب، وهو ابن عم النبي ﷺ يلتقي معه في عبد المطلب.

واسمه علي بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحسن القرشي الهاشمي ابن عم رسول عليه وسلم وزوج بنت رسول الله ﷺ وخير بناته بل خير نساء العالمين فاطمة رضي الله عنها.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية كانت من المهاجرات، وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ.

وروى عن النبي ﷺ، وعرض عليه القرآن وأقرأه.

روى عن أبي بكر، وعمر، وزوجته فاطمة وغيرهم.

وري عنه أبو بكر الصديق، وعمر، وبنوه الحسن والحسين، ومحمد، وعمر وغيرهم كثير.

استخلفه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك على المدينة، ففي صحيح البخاري برقم (٤٤١٦)، وسلم (٢٤٠٤) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ

---

(١) زيادة «أجمعين» ليست في (ط).

شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ».

وعند البخاري برقم (٢٩٧٥)، ومسلم(٢٤٠٧) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.

و بنحوه عند البخاري برقم (٢٩٤٢)، ومسلم(٢٤٠٦) عن سهل بن سعد.

وعند مسلم برقم (٢٤٠٥) عن أبي هريرة.

وفضائله كثيرة، وقد أفرد الإمام النسائي رحمه الله جزءًا في فضائل علي رضي الله عنه سماه الخصائص طبع مفردًا، وطُبع ضمن الكبرى، فراجعه إن شئت.

قوله:(**فهؤلاء الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون**):

أي خلفاء رسول الله ﷺ ومن عداهم فملك وليست بخلافة على منهاج النبوة.

وثبت في مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٧٣) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ

تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ».

وعن سفينة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا**».

قال سفينة: «أمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وعمر رضي الله عنه عشرًا، وعثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة وعلي رضي الله ستًا».

رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٠ و٢٢١)، وابنه عبدالله في «زوائد فضائل الصحابة» رقم (٧٩٠)، وفي «السنة» رقم (١٤٠٢ و١٤٠٣ و١٤٠٤ و١٤٠٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٨١ و١١٨٥)، وفي «الآحاد والمثاني» رقم (١١٣ و١٣٩ و١٤٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» رقم (٣٤٤٩).

هذا حديث صحيح.

فلكونها – أي خلافتهم – كانت على منهاج النبوة فهم راشدون، وتقدم معنى راشد، وهم أرشد هذه الأمة بعد نبيها في الفضل والخلافة وغيرهما.

والأئمة المهديون:

قال ملا على القاري في مرقاة المفاتيح(١/ ٤٠٩):

أي الذين هداهم الله إلى الحق قيل هم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأنه عليه الصلاة والسلام قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد انتهى بخلافة علي رضي الله عنه.

قال بعض المحققين ووصف الراشدين بالمهديين؛ لأنه يوقع الخلق في الضلالة من حيث لا يشعرهم. اهـ.

قوله:(**ثم الستة الباقون من العشرة: طلحة بن (عبيد الله)** [١]**، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم(أجمعين)**[٢]**، فهؤلاء العشرة الكرام البررة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، فنشهد لهم بها كما شهد لهم بها، اتِّباعًا لقوله وامتثالًا لأمره)**:

لحديث رِيَاحِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، فَحَيَّاهُ الْمُغِيرَةُ، وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ، فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ -ثَلَاثًا-أَلَا أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ لَا تُنْكِرُ وَلَا تُغَيِّرُ، فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرْوِي عَنْهُ كَذِبًا يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ»، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ.

---

(١) في (خ): «عبد الله».

(٢) ليست في (ط).

قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ مَنْ التَّاسِعُ؟ قَالَ نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ وَاللهِ الْعَظِيمِ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَاشِرُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِينًا قَالَ: وَاللهِ لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبِّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام.

رواه أحمد (١/ ١٨٧)، وأبو داود برقم (٤٦٥٠) وغيرهم من طريق رياح بن الحارث عن سعيد بن زيد، ويارح بن الحارث ورى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه العجلي كما في تهذيب التهذيب على أنه لم ينفرد به فقد تابعه عبد الرحمن بن الأخنس عند أحمد (١/ ١٨٨) وغيره وعبد الرحمن بن الأخنس روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات فهو مجهول الحال.

وجاء من حديث عبد الرحمن بن عوف رواه أحمد (١/ ١٩٣)، والترمذي برقم(٣٧٤٧)، وأبو يعلي برقم (٨٣٥) من طريق عبد العزيز الدراوردي عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه فذكره أن العاشر أبو عبيدة بن الجراح.

وقال الترمذي: وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا وهذا أصح.

قلت: وهو حسن، ورجح الدارقطني في العلل(٤/ ٤١٦-٤١٨) حديث عبد الرحمن بن عوف وسلامته من العلة.

والحديث بالطريقين صحيح بلا مرية.

وقد جُمع هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة في بيتين:

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... في جنة الخلد نصًا زادهم شرفا

هم طلحة وابن عوف والزبير مع أبي عبيدة والسعدين والخلفا

قوله:(**وقد شهد رسول الله ﷺ لثابت بن قيس**):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[الحجرات:٢] جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ:« يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

رواه البخاري برقم (٣٦١٣)، ورواه مسلم(١١٩) وهذا لفظه.

قوله:(**وعبد الله بن سلام**):

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ الْآيَةَ[الأحقاف:١٠].

رواه البخاري برقم (٣٨١٢)، ومسلم(٢٤٨٣).

قوله:(**ولبلال بن رباح**):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي

الْجَنَّةِ؟» قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ، أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

قَالَ أَبُو عَبْد الله: دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ.

رواه البخاري برقم (١١٤٩)، ومسلم(٢٤٥٨).

قوله:(**والجماعة من الرجال والنساء من أصحابه**):

كعكَّاشة بن محصن الأسدي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

رواه البخاري برقم (٦٥٤٢)، ومسلم(٢١٦).

قوله:(**وَبَشَّرَ خَدِيجَةَ بِبيتٍ (في الجنة)** [١] **من قصب لا صخب فيه ولا نصب**):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا رَسُولَ الله، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**».

رواه البخاري برقم(٣٨٢٠) ومسلم برقم (٢٤٣٢).

---

(١) ليست في (ط).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.

رواه البخاري برقم (٣٨١٩) ومسلم برقم(٢٤٣٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ.

رواه مسلم برقم(٢٤٣٤).

والقصب هو قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر، وقال أهل اللغة: القصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف. قالوا: ويقال لكل مجوف قصب.

وأما الصخب: فهو رفع الصوت المختلط.

وأما النصب: المشقة والتعب.

راجع شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٩٦).

قوله:(**وأخبر أنه رأى الرُّمَيْصَاءَ بنت مِلْحَان في الجنة**):

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ**».

رواه البخاري برقم(٣٦٧٩) ومسلم برقم (٢٤٥٧).

وَعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ**».

رواه مسلم برقم (٢٤٥٦).

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٦/ ٢٢٩):

أما الخشفة فبخاء مفتوحة، ثم شين ساكنة معجمتين، وهي حركة المشي وصوته، ويقال أيضًا بفتح الشين.

والغميصاء: بضم الغين المعجمة، وبالصاد المهملة، ممدودة ويقال لها الرميصاء أيضًا، ويقال بالسين، قال ابن عبد البر: أم سليم هي الرميصاء والغميصاء، والمشهور فيه الغين، وأختها أم حرام الرميصاء، ومعناهما متقارب، والرمص والغمص قذى يابس، وغير يابس يكون في أطراف العين، وهذا منقبة ظاهرة لأم سليم.

قوله:(**فكل من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة شهدنا له، ولا نشهد لأحدٍ غيرهم، بل نرجوا للمحسن، ونخاف على المسيء، ونكِلُ علم الخلق إلى خالقهم**):

أما من ثبت الدليل على تعيينه أنه من أهل الجنة فلا يسعنا إلى التسليم والانقياد والإذعان، وأما من لم يدل دليل على تعيينه أنه في الجنة فلا نعينه، لكن نشهد للصحابة عمومًا أنهم في الجنة، وكذا المؤمنون بالجملة في الجنة.

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته:

ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٣٧٨):

يريد: يريد أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة، كالعشرة رضي الله عنهم،

وإن كنا نقول إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم لأن الحقيقة باطنة وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين.

وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء، ولمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين(١) أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير، فقال النبي ﷺ: «**وجبت**» ومر بأخرى فأثنى عليها بشر، فقال: «وجبت»، وفي رواية كرر وجبت ثلاث مرات، فقال عمر يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أثنيتم عليه خيرًا، وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**».

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٦٧) ومسلم برقم (٩٤٩) عن أنس رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**»، قالوا: بـم يـا رسـول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن، والثناء السيء**»[١] فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة، وأهل النار.اهـ.

والقول الثاني هو الصحيح، الذي تدل عليه الأدلة.

قوله:(**فالزم رحمك الله**):

لزوم الشيء عدم مفارقته.

قوله:(**ما ذكرت لك من كتاب ربك العزيـز، وكـلام نبيـك الكـريم، ولا تَحِـدْ عنه**):

أي ولا تمل عن إتباع كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ لقول أحد أيًا كـان في الرفعـة أو الضعة أو لفعله، فترى شخصًا ما يخالف الدليل وتتبعه، أو تحسن به الظن فتقول لعله ما فعله إلا لمعرفته بالدليل الذي يخفى عليَّ، واعلم أن الحجـة في الـدليل لا فـيما سـواه مـن أقوال الرجال، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢].

وقال جلا في علاه: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[الحشر:٧].

قوله:(**ولا تبتغ الهدى في غيره**):

ولا تطلب الهداية والرشاد في غير الكتاب والسنة.

---

(١) ضعيف، رواه أحمد (٣/ ٤١٦) عن أبي زهير الثقفي رضي الله عنه، وفي سنده أبو بكـر بـن أبي زهير مجهول حال، ويغني عنه سابقه من حديث أنس.

قوله:(**ولا تغتر بزخارف المبطلين**):

فاحذر أخي المسلم أن تنخدع بتزيين أهل الباطل لباطلهم، ويندر أن ترى مبطلًا إلا وهو يزين باطله للناس ظاهرًا أو باطنًا، سرًا أو جهرًا، هنا أو هناك، عندك أو عند غيرك، ولذا فاحذر هؤلاء، وليكن قائدك ورائدك هو الدليل، ولا تنخدع بتحسين أهل الباطل للقبائح والمعاصي والمنكرات.

قوله:(**وآراء المتكلفين**):

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

صحيح، رواه البيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٦٢)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦).

وهو صحيح.

فعلم أهل الكلام جهل، وجهلهم الذي يجهلونه هو العلم الذي فاتهم، وهم أصحاب آراء فاسدة، بل هذا هو أساس علمهم وتكلف وتطلع، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٥٧].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٧٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا.

قوله:(**فإنَّ الرشد**):

والرشد ضد الغي، ويقال راشد ورشيد إذا أصاب وجه الأمر والطريق، وأرشده الله أي هداه، قال تعالى:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢].

قوله:(**والهدى**):

الهداية أربعة أقسام هي:

١-الهداية العامة المشتركة بين الخلق كلهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه:٥٠].

٢-هداية البيان والدلالة والإرشاد والتعريف لنجدي الخير والشر، والنجاة والهلاك، وهذه الهداية تستلزم الهدى التام، وهذه الهداية يتصف بها الأنبياء والرسل، والدعاة إلى الله، قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢].

٣-هداية التوفيق والإلهام: وهي المستلزمة للاهتداء، فلا تخلف عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى:﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[النحل:٩٣].

٤-غاية الهداية: وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس:٩].

وقال الله تعالى عن أهل النار: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[الصافات:٢٢-٢٣].

راجع بدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٨).

قوله:(**والفوز**):

الفوز: هو النجاء والظفر بالأمنية والخير، قال تعالى:﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**﴾[النبأ:٣١]، انظر لسان العرب (٩/ ٣٤٧).

قوله:(**والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله**):

أي الطمأنينة، والسعادة فيما ورد به الشرع الحكيم، قال الله تعالى:﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[الرعد:٢٨].

قوله:(**لا فيما أحدثه المحدثون**):

أي ابتدعه أهل البدع.

قوله:(وأتى به المتنطعون):

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلَكَ المتَنَطِّعُونَ**» قَالَهَا ثَلَاثًا.

رواه مسلم (٢٦٧٠).

والمتنطعون هم: المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، كما في شرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٣٧).

قوله:(من آرائهم المضـمحلة، ونتـائج عقـولهم الفاسـدة، وارضَ بكتـاب الله، وسنة رسوله، (بدلًا) (١) **من قول كل قائل، وزخرف وباطل):**

المضمحلة: الضحل هو القريب القعر، والضحل هـو المـاء الرقيـق عـلى وجـه الأرض ليس له عمق.

والمضمحل مكان يقل فيه الماء من الضحل كما في لسان العرب (٨/ ٢٧).

والمراد هنا أن هذه الآراء عاطلة.

---

(١) في (ط): «عوضًا».

فَصْلٌ فِي فَضَائِلِ الاتِّبَاعِ(١)

قوله:(**روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «نحمد الله تعالى ونثني عليه بما هو أهله»، ثم يقول: «من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل الله فلا هادي له، إنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». ثم يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وكان إذا ذكر الساعة احمرَّت وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش صبحكم مساكم». ثم قال: «من ترك مالًا فلأهله، ومن ترك دَيْنًا أو ضياعًا فإليَّ وعليَّ، وأنا ولي المؤمنين».**

رواه مسلم):

رواه مسلم برقم: (٨٦٧).

قوله:(**والنسائي**):

رواه النسائي في المجتبى في كتاب صلاة العيدين (٣/ ١٨٨-١٨٩ برقم:١٥٧٨).

قوله:(**ولم يذكر مسلم: «وكل ضلالة في النار»**):

---

(١) العناوين من وضعي إلا هذا العنوان فمن وضع مؤلفه رحمه الله، وفي (ط) «فضل» بدل: «فضائل».

هذه اللفظة شاذَّة، رواها النسائي كما تقدم في المجتبى برقم: (١٥٧٨)، والآجري في الشريعة برقم(٢/ برقم ٤٠٨)وفي الكبرى في كتاب العلم من الكبرى (٣/ ٤٤٩-٤٥٠ برقم: ٥٨٩٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٤٣) برقم: (١٧٨٥).

ومن طريق: عتبة بن عبدالله شيخ النسائي عن ابن المبارك عن سفيان، وابن خزيمة من طريق أنس بن عياض، كلاهما عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر، فذكر الحديث بهذه الزيادة.

وروى الحديث الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣١١): قال حدثنا مصعب بن سلام، و(٣/ ٣١٩)، قال حدثنا يحيى، و(٣/ ٣٣٨)، قال: حدثنا عبدالله بن الوليد و(٣/ ٣٧١)، قال حدثنا وكيع عن سفيان، وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٧٦-٣٧٧)، قال: أخبرنا سعيد بن منصور، قال: أخبرنا عبدالعزيز بن محمد.

والإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧)- ٤٣ من طريق عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي، وبرقم (٨٦٧)- ٤٤ من طريق سليمان بن بلال، وبرقم (٨٦٧)- ٤٥ من طريق وكيع عن سفيان.

والرامهرمزي في الأمثال برقم (٨) من طريق الثقفي، والدارمي في سننه برقم (٢١٢) من طريق يحيى بن سليم، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤/ برقم: ٢١١١) من طريق عبدالوهاب الثقفي، وبرقم (٢١١٩) من طريق وهيب، وابن ماجه برقم (٤٥) من طريق عبدالوهاب الثقفي، وابن الجارود في المنتقى برقم (٢٩٧) من

طريق الثقفي، وبرقم (٢٩٨) من طريق سليمان بن بلال، وابن حبان كما في الإحسان برقم (١٠) من طريق الثقفي، ورواه البيهقي في السنن (٣/ ٢٠٦-٢٠٧) من طريق الثقفي، ومحمد بن كثير عن الثوري، وعبدالعزيز بن محمد، و(٣/ ٢١٣) من طريق سليمان بن بلال، و(٣/ ٢١٤) من طريق سليمان بن بلال، و(٣/ ٢١٤) من طريق وكيع عن سفيان.

كلهم عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، فذكر الحديث، وليس فيه لفظة: «**وكل ضلالة في النار**».

وقد رواه البغوي في شرح السنة (١٥/ ٤٢٩٥)، من طريق إبراهيم بن عبدالله الخلال عن ابن المبارك به.

ولم يذكر هذه الزيادة، لكن تقدم أنه رواه ابن المبارك، ووكيع، عن سفيان ومحمد بن كثير.

فالخلاصة: أن هذه الزيادة رواها ابن المبارك، عن سفيان، عن جعفر به، وتابع ابن المبارك متابعة قاصرة أنس بن عياض على ذكرها، وقد رواها وكيع ومحمد بن كثير بدون ذكر هذه اللفظة؛ فالراجح عن سفيان بدونها، شذ بها على سفيان ابن المبارك.

وقد تابع هذه الرواية الجماعة عن جعفر بدون ذكرها، فهي شاذة.

وعلى ابن المبارك نفسه خلاف: فرواه شيخ النسائي عتبة بن عبدالله عنه بهذه الزيادة، وعتبة بن عبدالله -وهو اليحمدي- ثقة، ورواه عند البغوي إبراهيم بن

عبدالله الخلال، وهو صدوق؛ فالرواية عن ابن المبارك بذكرها أصح، وهي عند النسائي، هذا إن ثبت سند البغوي، فكيف إذا لم يثبت سند البغوي، وابن المبارك يعتبر شاذًّا، هو وأنس بن عياض؛ خالفوا رواية الجماعة بدون ذكرها، والله أعلم.

قوله:(**روى زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فإنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل، فأجيبه، وأنا تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن تركه وأخطأه، كان على الضلالة، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاث مرات. رواه مسلم**):

رواه مسلم برقم (٢٤٠٨).

قوله:(**وروى العرباض بن سارية السلمي رضي الله تعالى عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها (العيون)** [١]**، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، (فما)**[٢] **تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله تعالى، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم (بعدي)** [٣] **فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**

---

(١) في (ط): «الأعين» .

(٢) في (ط): «فماذا».

(٣) ليس في (خ).

(المهديين) [١]**، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**.

رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث صحيح.

ورواه ابن ماجه وفيه: «**وقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»):

صحيح، وله عن العرباض بن سارية رضي الله عنه سبع طرق:

الأولى: من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وإن عبدًا حبشيًا عضوا عليها بالنواجذ».

رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦) من طريقين، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٧٠-٧٣)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٣و٤٤)، والدارمي برقم (٩٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٥٤) وبرقم (٢٧و٣٠و٣٣و٤٨و٥٦) مختصرًا.

---

(١) ليس في (خ).

والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» برقم (١١٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٥-٩٦) والآجري في «الشريعة» رقم (٨٨و ٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ برقم ٦١٧و ٦١٨و ٦١٩و ٦٢٠)، وفي «مسند الشاميين» رقم (١١٨٠و٢٠١٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٧٩٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٤١)، والبغوي في «شرح السنة» برقم (١٠٢)، وأبونعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٠)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» رقم (٢٣٠٣و ٢٣٠٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٣٠٥-٣٠٦).

من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية فذكره.

هكذا عن عبد الرحمن بن عمرو رواه جماعة، وهم:

١- خالد بن معدان: عند أحمد (٤/ ١٢٦)، والمروزي رقم (٧٠و٧٣)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه رقم (٤٤)، والدارمي (٩٦)، والحاكم (١/ ٩٥-٩٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٨٥-١١٨٦)، واللالكائي (٨١و٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم ٦١٧و ٦١٨)، و«مسند الشاميين» رقم (١١٨٠)، والبغوي رقم (١٠٢)، وأبونعيم (٥/ ٢٢٠/ ١١٤-١١٥)، والبيهقي (٦/ ٥٤١)، والآجري (٨٦).

٢- ضمرة بن حبيب: عند ابن ماجه (٤٣)، والآجري (٨٨و٨٩)، واللالكائي (٧٩و٨٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» رقم (٢٠١٧)، و«الكبير» (١٨/ ٦١٩)، والحاكم (١/ ٩٦).

٣- يحيى بن جابر وهو الطائي: عند الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦٢٠) وابن أبي عاصم مختصرًا برقم (٣٠).

ورواه عكرمة بن عمار عن عوف الأعرابي عند الطحاوي برقم (١١٨٧) عن عبد الرحمن بن عمرو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ... فذكره.

وقد رواه الحارث بن أبي أسامة كما في زوائد مسنده رقم (٥٥) عن سعيد بن عامر عن عوف عن رجل سماه أحسبه سعيد بن خثيم عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فذكره.

قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٤٧٠): سعيد بن خثيم رجل من سليط عن رجل من أهل الشام عن رجل له صحبة: خطبنا النبي ﷺ نحو حديث العرباض بن سارية، قاله لنا موسى حدثنا جعفر بن حيان. اهـ

وكذا هو عند ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٣١٠) عن سعيد عن رجل من أهل الشام عن رجل من الصحابة نحوه. وعلى كل فطريق عوف تعتبر شاذة لأنه خالف ثلاثة وهم أرجح منه.

فالراجح طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي وهو مجهول حال كما في تهذيب التهذيب.

الطريق الثانية: من طريق عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر الكلاعي عن العرباض فذكره عند أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، وأبي داود برقم (٤٦٠٧)، وابن أبي عاصم مختصرًا برقم (٣٢و٣٧)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٧١)،

وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٥)، والآجري في «الشريعة» برقم (٨٦و ٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» رقم (٤٣٨)، وأبونعيم في «الحلية» (١٠/ ١١٤-١١٥)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٦٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ٤٧٢-٤٧٣) كلهم من طريق عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر عن العرباض فذكره.

وعبدالرحمن بن عمرو تقدم أنه مجهول حال، وحجر بن حجر انفرد بالرواية عنه خالد بن معدان، وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال ابن القطان: لا يعرف. كما في «تهذيب التهذيب». وقال الحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٧):(...من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام، منهم: حجر بن حجر الكلاعي). اهـ وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

فهو كما قال الحافظ إن شاء الله. فهذه الطريق حسنة. والله أعلم.

الثالثة: من طريق يحيى بن أبي المطاع عن العرباض فذكره.

رواه ابن ماجه برقم (٤٢) والمروزي في السنة (٧٢) وابن أبي عاصم برقم (٢٦، ٥٥).

والطبراني في الكبير (١٨/ رقم٦٢٢) والحاكم (١/ ٩٧) والمزي في تهذيب الكمال (٣١/ ٥٣٩).

ويحيى بن أبي المطاع صدوق، لكنه قد أنكر دحيم سماعه من العرباض كما في تهذيب التهذيب (١١/ ٢٤٤) فهو منقطع.

الرابعة: من طريق مهاصر بن حبيب عن العرباض فذكره.

عند الطبراني في الكبير (١٨/ رقم ٦٢٣) وابن أبي عاصم مختصرًا رقم (٢٨، ٢٩، ٥٩).

ومهاصر بن حبيب ذكره ابن حبان في ثقاته، في أتباع التابعين، لكن ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٤٣٩-٤٤٠) ذكر أنه روى عن أبي ثعلبة، وقال سئل أبي عنه فقال: لا بأس به.

قلت: فهذا إسناد ظاهره الحسن إن صح سماع مهاصر من العرباض، لكنه من أتباع التابعين، وذكر ابن أبي حاتم أنه روى عن أبي ثعلبة لا يدل أنه من التابعين.

إذن فهو منقطع.

الخامسة: طريق عبد الله بن أبي بلال عن العرباض فذكره.

عند أحمد (٤/ ١٢٧) والطبراني في الكبير (١٨/ رقم٦٢٤) وتصحف اسم عبد الله عند الطبراني إلى عبد الرحمن وصوابه عبد الله.

وهو مجهول عين تفرد بالرواية عنه خالد بن معدان.

السادسة: من طريق جبير بن نفير عن العرياض بن سارية فذكره.

عند الطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم٦٤٣).

وجبير بن نفير الحضرمي الحمصي: ثقة جليل مخضرم من الثانية.

السابعة: طريق خالد بن معدان عن العرباض فذكره.

عند الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» برقم (١١٨٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» برقم (٢٣٠٥)، وابن وضاح في «البدع» ص(٦٩).

ودعوى أنه سقط عبد الرحمن بن عمرو بن خالد والعرباض بعيد أن يكون سقط من النسخة من كل هذه الطبعات والكتب كما ادعاه محقق شرح مشكل الآثار للطحاوي، وحسان عبد المنان وزاد حسان قوله :وإما أن يكون بسبب ضعف عبد الله بن صالح كاتب الليث اهـ .

ولا يسلم له فقد توبع عند ابن عبد البر وابن وضاح.

فالحاصل أنها رواية وهي منقطعة لعدم إدراك خالد للعرباض.

فالحديث صحيح بمجموع هذه الطرق، وما من فقرة من فقراته إلا ولها ما يشهد لها من أدلة أخرى إما في الصحيحين أو خارجها.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٧/ ٤٤٠):

فعليه بسنتي: أي فليلزم سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها قاله القارى.

وقال الشوكاني في الفتح الرباني: إن أهل العلم قد أطالوا الكلام في هذا وأخذوا في تأويله بوجوه أكثرها متعسفة، والذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه هو: العمل بما يدل عليه هذا التركيب بحسب ما تقتضيه لغة العرب، فالسنة هي الطريقة؛ فكأنه قال: الزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين، وقد كانت

طريقتهم هي نفس طريقته؛ فإنهم أشد الناس حرصًا عليها وعملًا بها في كل شيء وعلى كل حال، كانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلًا عن أكبرها.

وقال ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذي (١٠/ ١٤٩-١٥٠):

وقوله: عضوا عليها بالنواجد: وهو آخر الأضراس التي يدل نباتها على الحلم، فمعناه: عضوا عليها بجميع الفم، ولا يكون تناولها نهسًا؛ وهو الأخذ بأطراف الأسنان، وضرب مثلًا لذلك العض بالفم لأنه مبتدأ الأكل.

وقد يضرب ذلك مثلًا في العلم بالدين، والعمل به، ففي الصحيح: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا الحديث، ومن ذاق عضَّ، ومن عضَّ مضغ، وهو الأكل، ومن أكل بلع، وهو استيفاء المقصود، والنفس في هذا المعنى مطول في الكتاب الكبير وهذه لمحته.

وقال المباركفوري في التحفة (٧/ ٤٤١-٤٤٢):

«عَضوا»: بفتح العين.

«عليها»: أي على السنة«بالنواجذ» جمع ناجذة، بالذال المعجمة، وهي الضرس الأخير، وقيل هو مرادف السن وقيل هو الناب.

قال الماوردي: إذ تكاملت الأسنان فهي اثنتان وثلاثون:

منها أربعة ثنايا، وهي أوائل ما يبدو للناظر من مقدم الفم.

ثم أربع رباعيات.

ثم أربع أنياب.

ثم أربع ضواحك.

ثم اثنا عشر أضراس، وهي الطواحن.

ثم أربع نواجذ وهي أواخر الأسنان.

كذا نقله الأبهري والصحيح أن الأضراس عشرون شاملة للضواحك والطواحن والنواجذ، والله أعلم.

والعض: كناية عن شدة ملازمة السنة، والتمسك بها؛ فإن من أراد أن يأخذ شيئًا أخذًا شديدًا يأخذ بأسنانه، أو المحافظة على الوصية بالصبر على مقاساة الشدائد، كمن أصابه ألم لا يريد أن يظهره فيشتد بأسنانه بعضها على بعض. اهـ.

قال ملا على القاري في مرقاه المفاتيح (١/ ٤٠٨):

فعليكم بسنتي: اسم فعل بمعنى الزموا أي: بالطريق الثابتة عنى واجبًا ومندوبًا.

وسنة الخلفاء الراشدين؛ فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالاضافة إليهم إما لعلمهم بها، أو لا ستنباطهم واختيارهم إياها.اهـ.

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٣-١٢٦):

وقد اختلف العلماء في إجماع الخلفاء الأربعة: هل هو إجماع أو حجة مع مخالفة غيرهم من الصحابة والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه. اهـ.

فالحق أنه ليس لأحد منهم سنة غير سنة رسول الله ﷺ.

فسنتهم هي سنة رسول الله ﷺ وفي هذا دليل على فهم القرآن والسنة بعضهم السلف الصالح اللذين أفضلهم الخلفاء الأربعة.

قال المناوي في فيض القدير (٣/ ٥٠٩):

(أخذ بعض المجتهدين من هذا الخبر أن إجماع الخلفاء الأربعة حجة، والصحيح عند الشافعية أنه غير صحيح). اهـ.

قال شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود (١٢/ ٢٣٥) طبقة دار الكتب العلمية:

وعضوا عليها بالنواجذ: جمع ناجذة بالذال المعجمة، قيل هو الضرس الأخير، وقيل هو مرادف السن، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها[١].

وقال الخطابي: وقد يكون معناه أيضًا الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه. اهـ.

قوله:**(وروى أبو الدرداء، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: «آلفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لَتُصَبَّنَّ الدنيا عليكم حتى لا يُزيغ قلب أحدكم إن أزاغه إلا هِيَهْ، وايم الله قد تركتكم على البيضاء ليلها ونهارها سواء».**

قال أبو الدرداء: صدق رسول الله ﷺ، تركنا على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء. (رواه ابن ماجه)[٢]**:**

---

(١) قاله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٦).

(٢) قوله: «رواه ابن ماجه»، ليس في (خ).

ضعيف، رواه ابن ماجه برقم (٥)، من طريق: الوليد بن عبدالرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، فذكره.

وفي سنده: هشام بن عمار، فيه ضعف؛ لاسيما مع اختلاطه.

وقد رواه أحمد (٦/ ٢٤)، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن عوف بن مالك، أنه قال: إن رسول الله ﷺ قام في أصحابه، فقال: «**الفقر تخافون...**»، وفيه: عنعنة بقية في شيخ شيخه.

وقد تابع خالدًا عبدالرحمن بن عائد عند الطبراني في مسند الشاميين برقم (٢٥٢٧)، إلا أن في سنده عمرو بن إسحاق، لم أجد له ترجمة، وعلقمة بن نصر بن خزيمة وأبوه لم أجد لهما ترجمة.

لكن للحديث شواهد أُخَر، منها: حديث عقبة بن عامر عند البخاري (١٣٤٤)، ومسلم(٢٢٩٦)، وحديث عمرو بن عوف عند البخاري (٨١٥٨)، ومسلم(٢٩٦١).

قوله:(**وروى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم بهما، أو عملتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»**.

رواه أبو القاسم الطبري الحافظ في السنن):

ضعيف، رواه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٩) بلاغًا، ورواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٥٠-٢٥١)، وأبو بكر الشافعي في الثلاثيات رقم (٦٢٥)، واللالكائي في

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٨٠) برقم: (٩٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣)، والدارقطني في السنن (٤/ ٢٤٥)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١١٤)، والخطيب في الفقيه والمتفقه برقم (٢٧٤-٢٧٥)، وفي سنده: صالح بن موسى الطلحي متروك.

وله شاهد من حديث ابن عباس، رواه الحاكم (١/ ٩٣)، وفي سنده إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه وهما ضعيفان.

وجاء من حديث عمر بن عوف، رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم (١٣١٩)، و(١٨١٦)، من طريق: كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعًا، وكثير متروك، وأبوه مجهول.

وجاء من حديث أبي سعيد، رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه برقم (٢٧٦)، وفي سنده: سيف بن عمر ضعيفٌ جدًّا،والصباح بن محمد بن أبي حازم، ضعيفٌ.

فالحديث ضعيفٌ.

قوله:(**وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في خطبته: إنما أنا مُتَّبِع، ولست بمبتَدِع**):

حسن، رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٣)، وفي سنده عبيدالله، وهو ابن عبدالرحمن بن رافع الأنصاري، ويقال: ابن عبدالله، مجهول حال، يرويه عن أبيه بالظن، وأبوه قال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل لابنه (٥/ ٢٣٢): صالح.

وللأثر طريق أخرى عند ابن جرير الطبري في التاريخ (٢/ ٢٤٤-٢٤٥) من طريق: سيف بن عمر، وتقدم قريبًا أنه ضعيف جدًّا.

وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في الأموال برقم (٨)، من طريق عروة بن الزبير، قال: خطب أبو بكر...، فذكره، وعروة ولد في خلافة عثمان، فلم يدرك أبا بكر، ولا زمن خطبته، وقد قال أبو حاتم: إنه عن أبي بكر مرسل، كما في تحفة التحصيل (ص٢٢٦).

وذكر له أبو عبيد طريقًا أخرى برقم (٩) من طريق: إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، أو غيره عن أبي بكر، نحو ذلك.

فالأثر بهذه الطرق حسنٌ، والحمد لله.

قوله:(**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد فُرضت لكم الفرائض، وسُنَّت لكم السنن، وتُركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالًا**):

صحيح، رواه مالك في الموطإ (٢/ ٨٢٤)، وعمر بن شبة في أخبار المدينة (٣/ ٩٠)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٣٤)، من طريق سعيد بن المسيب، قال: لما صدر عمر بن الخطاب من منى، أناخ بالأبطح...، ثم قدم المدينة، فخطب الناس...، فذكره، وفي آخره قال سعيد بن المسيب: فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر رحمه الله، هذه الخطبة لعمر في آخر شهر في حياته، وعُمْرُ سعيد بن المسيب يومذاك ثمان سنوات؛ فإنه ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر؛ لاسيما وقد قال المزي في تهذيب الكمال (١١/ ٧٣): قال أحمد بن حنبل: أدرك سعيد عمر، وسمع منه،

وإذا لم يقبل سعيد من عمر فمن يقبل؟ راجع إن شئت تحفة التحصيل (ص١٢٩).

فالأثر صحيح.

قوله:(**وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إنَّا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع، ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر**):

ضعيف، رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٨٦) برقم: (١٠٥، و١٠٦)، من طريق أبي جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، عن ابن مسعود، وأبو جعفر ضعيف، والمسيب بن رافع روايته عن ابن مسعود مرسلة كما في تحفة التحصيل (ص٣٠٤)، قاله أبو حاتم، وأحمد، والبيهقي.

قوله:(وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن». فسألت الزهري: ما هذا؟ فقال: من الله العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، أَمِرُّوا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت.

وفي رواية: فإنَّ أصحاب رسول الله ﷺ أَمَرُّوها):

ضعيف، رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٥/ ٣٦٠)، وهذا لفظه، والذهبي في السير (٥/ ٣٤٦)، قال: أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت.

وهو ضعيف، في سنده عنعنة الوليد بن مسلم.

قوله:(**وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله،**

ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنُّوا اهتدى، ومن استبصر بها بصر، ومن خالفها واتَّبَع غير سبيل المؤمنين ولَّاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا):

صحيح، رواه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ٣٥٧) برقم: (٧٦٦)، والآجري في الشريعة برقم (٩٢، ١٣٩، ٦٨٩)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٥٢) برقم: (٢٣٠-٢٣١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٩٤) برقم: (١٣٤).

فالحديث صحيح.

قوله:**(وقال الأوزاعي: اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكفَّ عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم)**:

صحيح، رواه الآجري في الشريعة برقم: (١٢٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٤) برقم: (٣١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٣)، و (٨/ ٢٥٤-٢٥٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥-٢٠٠).

قوله:**(وقال نعيم بن حماد: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله (به)[1] نفسه تشبيهًا)**:

---

(١) في (ط): «بن»، وهو غلط.

صحيح، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ١٦٣)، والذهبي في السير (١٠/ ٦١٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٣٢) برقم (٩٣٦) معلقًا.

وقال الذهبي في السير (١٣/ ٢٩٩): وما أحسن قول نعيم بن حماد الذي سمعناه بأصح إسناد عن محمد بن إسماعيل الترمذي، أنه سمعه يقول:...، فذكره.

وقال ابن قيم الجوزية في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٢١): قال البخاري سمعته يقول -يعني نعيمًا-:...، فذكره.

ورواه الذهبي في العلو برقم (٤٢٩).

قوله:(**وقال سفيان بن عيينة: كلُّ شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف ولا مثل**):

صحيح، رواه الدارقطني في كتاب الصفات صـ٧٠ـ برقم ٦١، والآجري في الشريعة (٢/ ٩٨٥برقم٥٧٦)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث صـ٢٤٧-٢٤٨ـ، واللالكائي برقم (٧٣٦)، وابن قدامة في ذم التأويل صـ٢٣٠ـ برقم (٢٢)، ضمن عقائد السلف.

قوله:(**وقال أبو بكر المروذي: سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية، والإسراء، وقصة العرش، فصححه أبو عبد الله، وقال:** (قد)[1]**تلقتها العلماء بالقبول، تمر الأخبار كما جاءت**):

---

(١) زيادة في (خ).

رواه ابن قدامة في ذم التأويل (ص٢٣٣ برقم٣٢)،ضمن عقائد السلف، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة(١/ ٥٦).

قوله:(وقال محمد بن الحسن الشيباني - صاحب أبي حنيفة-:

اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب، على الإيمان بالقرآن، والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا تشبيه، فمن فسَّر اليوم شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فإنهم لم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا، فمن قال بقول جهمٍ، فقد فارق الجماعة؛ لأنه وصفه بصفة لا شيء):

رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٧٤٠)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص٢٢٤-٢٢٥)،ضمن عقائد السلف، وفي سنده من لم أجد له ترجمة.

قوله:**(وقال عبَّاد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبدالله، فقلنا: إنَّ قومًا ينكرون هذه الأحاديث:** «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»[١]**، والرؤية، وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال: إنما جاء بهذه الأحاديث من جاء بالسنن في الصلاة، والزكاة، والحج، وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث):**

صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٧٣برقم ٥٠٨)، والدارقطني في الصفات صـ٧٣ـ برقم(٦٥)، وابن منده في التوحيد (٣/ ١١٦ برقم ٥٢٣).

---

(١) تقدم تخريج هذه الأحاديث.

قوله:(فهذه جملة مختصرة من القرآن، والسنة، وآثار من سلف، فالزمها، وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله، وصالح سلف الأمة ممن حصل الاتفاق عليه من خيار الأمة، ودعْ أقوال من كان عندهم محقورًا مهجورًا، مبعدًا مدحورًا،، ومذمومًا ملومًا، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم، وجنحوا إلى اتِّباعهم، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدا، فطوبى للغرباء». رواه مسلم وغيره):

رواه مسلم برقم(١٤٥) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وبرقم (١٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قوله:(وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستفترق أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة».

وفي رواية: قيل فمن الناجية؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

رواه جماعة من الأئمة):

صحيح وقد جاء عن جماعة من الصحابة :-

الأول حديث عبد الله بن عمرو : -

رواه الترمذي برقم (٢٦٤١)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٦٠)، والآجري في «الشريعة» برقم (٢٣و ٢٤و ٢٥)، والحاكم في «المستدرك»

(١/ ١٢٨-١٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٤٦و١٤٧)

من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي عن عبدالله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذوا النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل...» الحديث.

وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم: ضعيف. وعبدالله بن يزيد هو أبوعبدالرحمن الحلبي: ثقة. وصحابي الحديث: عبدالله بن عَمْرو بن العاص. لا كما قال المصنف: (عبد الله بن عُمَرَ بن الخطاب).

والحديث ضعيف من أجل عبد الرحمن بن زيادضعيف.

وزيادة«ما أنا عليه اليوم وأصحابي »من هذه الطريق، ومن حديث عمرو بن عوف، وضعفه شديد كما سيأتي.

الثاني حديث أبي هريرة رضي الله عنه:-

رواه أحمد (٢/ ٣٣٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٦و٦٧)، وأبوداود برقم (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأبويعلى (٥٩١٠ و٥٩٧٨ و٦١١٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٦٢٤٧و٦٧٣١)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٨) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا.. فذكره.

ومحمد بن عمرو هو ابن علقمة: حسن الحديث. فالحديث حسن ، وليس عنده قوله «كلهم في النار ...إلخ».

الثالث حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه:-

رواه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم ١٢٩)، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » برقم (١٤٩) من طريق عباد بن يوسف، ثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره، إلا أنه قال: «الجماعة» بدل قوله: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». وهو صحيح .

الرابع حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:-

رواه أحمد (٣/ ١٢٠و١٤٥)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٤)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٥٤)، والآجري في «الشريعة» رقم (٢٥ ٢٧)، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١٤٨) عن أنس.. فذكره بدون ذكر زيادة «ما أنا عليه وأصحابي ». وهو صحيح.

الخامس والسادس والسابع رضي الله عنهم:-

رواه الطبراني في الكبير(٨/ برقم ٧٦٥٩) من طريق كثير بن مروان الفلسطيني عن عبد الله بن يزيد بن آدم عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس فذكرالحديث وفيه هذه الزيادة.

وكثير بن مروان ضعيف جدًا، وقد كذبه ابن معين كما في تعجيل المنفعة.

وقال ابن حبان في المجروحين(٢/ ٢٢٥):

(هو صاحب حديث المراء منكر الحديث جدًا لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب) ثم ذكر هذا الحديث في ترجمته مما أنكر عليه.

وعبد الله بن يزيد بن آدم ، قال أحمد :أحاديثه موضوعة ، وقال الجوزجاني : أحاديثه منكرة . كما في لسان الميزان.

الثامن حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:-

رواه محمد بن نصر المروزي في «السنة» رقم (٥٧)، والآجري في «الشريعة» (٢٨) من طريق موسى بن عبيدة عن ابنة سعد عن أبيها.. فذكره. وموسى بن عبيدة، هو الربذي: ضعيف.

التاسع حديث أبي أمامة رضي الله عنه:-

رواه ابن عاصم في «السنة» (٦٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ رقم ٨٠٣٥ و٨٠٥١ و٨٠٥٤)، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » رقم (١٥١)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٨٨) من طريق أبي غالب عن أبي أمامة.. فذكره. وهو حسن.

العاشر حديث معاوية رضي الله عنه:-

رواه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي برقم (٢٥٦٠)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٢و٦٥و٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٤و ٨٨٥)، وفي «مسند الشاميين» برقم (١٠٠٥و

١٠٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٨)، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » برقم (١٥٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٤١-٥٤٢)

من طريق صفوان بن عمرو، حدثني أزهر بن عبدالله عن أبي عامر عبدالله بن لحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان.. فذكره. ووقع عند الدارمي: عن أبي عامر عن عبدالله بن لحي. وزيادة عن ابن أبي عامر وعبدالله بن لحي خطأ. وهو حسن. من أجل أزهر، وبقية رجاله ثقات.

الحادي عشر حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه:-

رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٩) من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده.. فذكره. وإسماعيل: ضعيف، وكثير: متروك، وأبوه: مجهول عين.

فحديث عمرو بن عوف ضعيف جدًا.

فالحديث صحيح ، دون زيادة «ما أنا عليه وأصحابي»فهي ضعيفة، وعمومات الأدلة الثابتة كلفظ «الجماعة» وغيرها، تدل على ما دلت عليه والله أعلم.

قوله:(واعلم – رحمك الله– أن الإسلام وأهله أُتُوا من طوائف ثلاث:

فطائفة ردَّت أحاديث الصفات، وكذبوا رواتها، فهؤلاء أشدُّ ضررًا على الإسلام وأهله من الكفار):

الطائفة الأولى: هم الجهمية، ومن سلك مسلكهم.

وأخرى قالوا بصحتها وقبولها، ثم تأولوها، فهؤلاء أعظم ضررًا من الطائفة الأولى):

الطائفة الثانية: وهم الأشاعرة؛ أهل التأويل؛ وهو في الحقيقة تحريف.

٣- والثالثة جانبوا القولين الأولين، وأخذوا بزعمهم (ينزهون) [١] وهم يكذبون، فأداهم ذلك إلى القولين الأولين، وكانوا أعظم ضررًا من الطائفتين (الأَوَّلَتَين) [٢]):

الطائفة الثالثة: و لعله أراد المفوضة؛ فإن الظاهر أنهم هم، وهذا مسلكهم.

قوله:**(فمن السنة اللازمة، السكوت عمَّا لم يرد (به) [٣] نصٌّ عن الله ورسوله، أو يتفق المسلمون على إطلاقه، وترك التعرض له بنفي أو إثبات. فكما لا يثبت إلا بنص شرعي، كذلك لا ينفى إلا بدليل سمعي):**

السنة اللازمة: هي السنة المفروضة قال مكحول:

السنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة، وتركها كفر وسنة الأخذ بها فضيلة، وتركها إلى غير حرج.

حسن، رواه الآجري في الشريعة برقم(١٠٨)، والدارمي في المقدمة برقم(٦٠٩).

---

(١) في (خ): «وآرائهم».

(٢) في (خ): «الأولين» بدل:« الأولتين ».

(٣) في (خ): «فيه».

وعلى هذا يدل قول عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ: خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمًا بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَت الشَّمْسُ وَبَدَت النُّجُومُ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لَا يَفْتُرُ وَلَا يَنْثَنِي الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتُعَلِّمُنِي بِالسُّنَّةِ لَا أُمَّ لَكَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالمغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَقِيقٍ: فَحَاكَ فِي صَدْرِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَأَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَسَأَلْتُهُ فَصَدَّقَ مَقَالَتَهُ.

رواه مسلم برقم (٧٠٥)-٥٧، فهذه السنة من المفروض.

ومن السنة ما يرادف الواجب عَنْ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**صَلُّوا قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ**»، قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**لِمَنْ شَاءَ**»؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً.

رواه البخاري برقم (١١٨٣) وهذا لفظه، ومسلم برقم (٨٣٨).

أي كره أن يُظن وجوبها.

والسنة التي هي مرادفة للمستحب أدلتها كثيرة شهيرة.

قوله:(نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لما يرضيه من القول والعمل والنية، وأن يحيينا على الطريقة التي يرضاها، ويتوفانا عليها، وأن يلحقنا بنبيه وخيرته من خلقه محمد المصطفى وآله وصحبه، ويجمعنا معهم في دار كرامته، إنه سميع قريب مجيب. وكل حديث لم نضفه إلى من أخرجه؛ فهو متفق عليه؛ أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بعون الله تعالى هذا المعتقد المرضي بقلم الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الرحمن بن حيدر الزبيري بلدًا الحنبلي مذهبًا السلفي اعتقادًا.

غفر الله له ولوالديه آمين.

وذلك في بلد بغداد، في جامع المرجانية رزقنا الله تعالى حسن النية مني.

في ١١ شعبان سنة ١٢٢٣(١):

والحمد لله على التمام، ونسأل الله حسن الختام، «**سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**»، ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود:٨٨].

---

(١) في (ط): « آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

الموضوعات